المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية التربية بمكة المكرمة
قسم التربية الإسلامية والمقارنة

تحديد أهداف نظام الإسلام في التربية
في ضوء سنن الله
في التغيير ، والتمكين ، والتدافع الحضاري

إعداد

وجدي بن أحمد بن حمزة خاشقجي

إشراف

أ . د . محمد جميل بن علي خياط

بحث تكميلي لنيل درجة الماجستير في الأصول الإسلامية للتربية

مقدم إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة

جامعة أم القرى—كلية التربية بمكة المكرمة

الفصل الدراسي الأول ١٤٢٠هـ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اعتراف بالفضل

اعترافا بالفضل لأهله فإني أزجي عيون الشكر وأجزله

إلى سعادة الأستاذ الدكتور محمد جميل بن علي خياط المشرف على هذه الدراسة

وإلى جامعة الملك عبد العزيز التي مكنتني من إعدادها

وإلى جامعة أم القرى التي أتاحت لي فرصة الدراسة والعطاء

وإلى أساتذتي أعضاء هيئة التدريس بجامعة أم القرى

وإلى المؤسسات العلمية والمعلوماتية المساندة لمسيرة البحث العلمي والقائمين عليها

إليهم جميعا شكري وتقديري

إهداء

إلى والديّ اللذين كانا سبب وجودي ، وكانت دعواتهم المباركة سبب توفيقي .

وإلى زوجتي التي شاركتني عناء هذا العمل بدعواتها الصادقة وجهدها المتفاني .

وإلى أبنائي اللذين أرجو فيهم تحقق آمالي وذاتي ، كما أتضرع إلى الله سبحانه وتعالى بأن يكونوا من حملة مسؤولية التغيير الحضاري الإسلامي .

وإلى إخواني جميعاً ؛ من ساندني بعطائه الروحي بدعواته ، ومن ساندني منهم بعطائه المعنوي بتوجيهاته .

وإلى جميع قادة التغيير الإسلامي ، ممن مضوا مقبولين إن شاء الله ، ومن سيأتي منهم في مستقبل الأيام موفقين بعون الله .

جدول المحتويات

الفصل الثاني : السنن الإلهية

الفصل الثالث : علم التغيير التربوي

الفصل الرابع : تحديد الأهداف التربوية العامة

في ضوء سنن الله في التغيير ، والتمكين ، والتدافع الحضاري

الخاتمة

الفهارس ٥

جدول الأشكال

ب

ت

ث

ج

ص

ط

ع

ف

ق

ك

ل

م

الفصل التمهيدي

مدخل للدراسة

الفصل التمهيدي

مدخل للدراسة

التمهيد للمشكلة

لا يكاد الإنسان يقف عن كدحه[(١)]، فهو في سعي وعناء دائمين، منذ وجوده على وجه الأرض، بل كدحه ضرورة لبقائه واستمراره عليها، وذلك مصداق قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحًا فَمُلَـٰقِيهِ ۝٦ ﴾ [الانشقاق ٦/٨٤]، وقوله ﷻ: ﴿ لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَـٰنَ فِي كَبَدٍ ۝٤ ﴾[(٢)] [البلد ٤/٩٠]، وعن هذا الكدح والجهد والبذل الإنساني – الذي يمثل تفاعل الإنسان مع الكون وما حواه – تنتج الحضارة، فهي كما عرفها أبو خليل (١٤١٥هـ–١٩٩٤م): ~محاولات الإنسان الاستكشاف والاختراع والتفكير والتنظيم والعمل على استغلال الطبيعة، للوصول إلى مستوى حياة أفضل، وهي حصيلة جهود الأمم كلها { (ص ٢٠)، كما أنه يرى: ~أن الحضارة لا

---

(١) قال الأصفهاني – ت ٤٢٥هـ رحمه الله تعالى – (١٤١٢هـ–١٩٩٢م): ~الكدح: السعي والعناء { (ص ٧٠٤).

(٢) قال الأصفهاني – ت ٤٢٥هـ رحمه الله تعالى – (١٤١٢هـ–١٩٩٢م): ~والكبد: المشقة {، ثم قال معلقا على آية البلد: ~تنبيها أن الإنسان خلقه الله تعالى على حالة لا ينفك من المشاق ما لم يقتحم العقبة ويستقر به القرار { (ص ٦٩٥).

تعني هذا الجانب المادي فقط ، بل إنها تشمل الجانب الروحي العقائدي الفكري التشريعي أيضا ، وبالتالي تشمل نظرة متكاملة منسجمة إلى : الكون ، والإنسان ، والحياة { (ص٢٠) ، بل منسجمة إلى النظام[٣] العام الإلهي في العالم الأكبر ووحدة السنن التي قام بها ؛ وهذا ما أدركه الأميري –ت ١٤١٢هـ رحمه الله تعالى – (١٩٨٣م) في تصوره لمفهوم الحضارة حيث عرفها بأنها : ~ تحقيق غرض الوجود البشري في إعمار الأرض وفق نواميس الله [ﷻ] وتنفيذا لمراده بأسمى شكل يمارس فيه الإنسان الخليفة إنسانيته ويوفر سعادته { (ص ٤٠)

.

وقد بين رضا – ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م رحمه الله تعالى – (د . ت) أن الله ﷻ ~ خلق العوالم[٤] أطوارا بسنن ثابتة وتقدير منظم لم يكن منه جزافا ، وقد أرشد الكتاب

---

[٣] ذكر الفيروز آبادي – ت ٨١٧هـ رحمه الله تعالى – (١٩٨٧م) أن معنى النظم والنظام في اللغة : التأليف ، وملاك الأمر ، والسيرة ، والهدي ، والعادة (ص ١٥٠٠) ، وفي المعجم الوجيز (١٤١٦هـ–١٩٩٥م) زيادة معان هي : الترتيب والاتساق ، والطريقة (ص ٦٢٣) . ونظم الله ﷻ لهذا العالم الأكبر الذي هو ملاك أمره ، فيه من روعة التأليف ، وعظم الترتيب والاتساق ، ودقة الصنعة وبديعها ما يدل دلالة واضحة أن لهذا الكون المُبدَع مُبدِعاً بيده ملكوت كل شيء ولا يفعل إلا ما سبقت به الحكمة وفق نظامٍ عامٍ واحدٍ ارتضاه النظام الإلهي المعبر عنه بالسنة .

[٤] عن قوله تعالى : ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ﴾ [الفاتحة ١/ ٢] قال ابن كثير –ت ٧٧٤ هـ رحمه الله تعالى – (د.ت) : ~ ... والعوالم أصناف المخلوقات في البر والبحر ، وكل قرن منها وجيل يسمى عالما أيضا { (ج١ ، ٣٩) ، وهو في ذلك موافق لما ذهب إليه الطبري –ت ٣١٠هـ

الحكيم إلى هـذه الحقـائق العامـة – الثابتـة في نفـسها ... – بمثـل قولـه : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَـٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمـــر ٥٤/٤٩] ، وقولـــه : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ﴾ [الفرقـان ٢٥/٢] { (ج٨ ، ص ٤٤٨) ، وبمقـدار هـذا الانـسجام يتحقـق التكامل في منظور الحضارة ، مما ينعكس بالضرورة على تحقيق التوازن والشمول والتكامـل بين مجموع جوانبها المتعددة ، ويظهر ذلك جلياً في بنيـة نظامها[٥] العـام – المنبثق عن النظام العام

رحمـه الله تعـالى – حيـث قـال : ~ والعـالمون جمـع عـالم . . . ، والعـالم اسـم لأصـناف الأمـم ، وكـل صـنف منها عـالم ، وأهـل كل قـرن من كل صـنف منها عـالم ، ذلك القـرن وذلك الزمـان ، فـالإنس عـالم ، وكل أهـل زمـان منهم عـالم ذلك الزمـان ، والجن عـالم ، وكـذلك سـائر أجنـاس الخلـق ، كل جـنس منـها عـــالم زمانـــه ، ولـــذلك جمـــع فقيـــل عـــالمون { (ج١ ، ص ٦٢–٦٣) . ولقـــد تتبع ســـراج الـــدين (١٤١١هـ–١٩٩١م) جملـة مـن العـوالم الـتي ذكـرت في القـرآن الكـريم حيـث قـال معلقـا علـى آيـة الفاتحـة : ~ فيـه دليـل علـى كثـرة العـوالم وسـعتها وعظمتـها ، فـالعوالم كـثيرة لا يعلـم عـددها إلا الله تعـالى الـذي خلقهـا [ثـم عـدد أنواعـا منـها] { (ص ص ١١–١٢) . وجميـع هـذه العـوالم – الـتي خلقهـا الله تعـالى بقـدر دقيـق وتقـدير مـنظم لم يكـن منـه جزافـا – خاضـعة لـسننه سـبحانه الثابتـة المطـردة الـشاملة لجميـع أجناسها وأصنافها .

[٥] يقـول الجـابري (١٤١٤هـ–١٩٩٤م) : ~ إن طبيعـة أي تجمـع هـي أنـه قـائم علـى أفـراد ونظـم وأنـه يتخـذ مـع الوقـت تـشكيلاً معينـاً يتعـارف عليـه الأفـراد ويحـاولون أن يكونـوا علاقـة بـالآخرين وبالأشـياء ضـمن الأوضـاع الـسائدة ، تناسـب مـصالحهم وأهـدافهم الشخـصية والجماعيـة . وعـادة مـا يمكـن تـصنيف الـنظم القائمـة في المؤسـسة [أو حـضارة مـا] تحـت ثـلاث مجموعـات هـي : الـنظم الـسياسية ...ثـم الأنظمة الثقافية ... وأخيرا الأنظمة التقنية { (ص ٤٨) .

الإلهي في العالم الأكبر – والذي يربط بين مجموعة من النظم التي تتفاعل وتتداخل فيما بينها مع محافظة كل نظام منها على خصوصيته واستقلاله ، ومن هذه النظم : النظام التربوي ، والنظام التعليمي ، والنظام الاجتماعي ، والنظام الاقتصادي ، والنظام السياسي ، والنظام الإعلامي ، ...وغيرها من النظم .

لقد ظهرت على مدار العمر البشري المديد ، العديد من الحضارات ، منها القديم ومنها الحديث ، ولكل حضارة منها نظرتها وتصورها الخاص نحو الكون والإنسان والحياة ، ومن ثم لها نظامها العام الذي أحكمت بناءه .

والحكم على حضارة ما بالصلاح أو عدمه لا يتأتى إلا بعد معرفة مدى استجابة نظرتها وتصورها لهداية الخالق ﷻ ، ومدى انسجام وارتباط نظامها العام بالنظام العام الإلهي في العالم الأكبر . فهداه سبحانه هو المعيار الذي يحتكم إليه ويعرف به الصواب من نقيضه ، لأن الإنسان الذي هو أحد أسس الحضارة – بما حباه الله ﷻ من وضع مكرم بين سائر مخلوقاته بقولـــــه : ﴿ ۞ وَلَقَدۡ كَرَّمۡنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَرَزَقۡنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ كَثِيرٖ مِّمَّنۡ خَلَقۡنَا تَفۡضِيلٗا ٧٠ ﴾ [الإسراء ١٧/٧٠] – عاجز عن تحقيق تلكم النظرة المتكاملة المنسجمة إلى الكون والإنسان والحياة في عمله الحضاري بمفرده ، فمع ما أوتي من قدرة وطاقة على اكتشاف ما خفي عنه ، إلا أنه مع ذلك فهو محدود القدرة ، وأبرز دلائل عجزه ، أن ذلكم الانسجام المنشود يفتقر إلى

رصيد معرفي غيبي لا يمكن أن يدركه بمفرده مهما أوتي من قدرة ، ويؤكد ذلك ابن عاشور – ت ١٣٩٠هـ رحمه الله تعالى – (١٤١٣هـ–١٩٩٢م) بقوله :

> ~ إن الحقائق كلها ، المتصلة بالمادة والمتصلة بما وراءها ، هي في متناول الإنسان ، يستطيع أن يتوصل إليها بمداركه العديدة المدرجة ، المستند بعضها إلى بعض ، في غير تنافر ، ولا تدابر ، ولا تناشز . . فالمدركات الغريزية ، ووراءها المدركات الحسية . . ثم المدركات الحسية ، ووراءها المدركات العقلية . . ثم المدركات العقلية ، تؤدي إلى المقدمات المفضية إلى تلقي المدركات الغيبية ، الآتية من طريق الوحي ، والى التسليم بها ، والإذعان لها ، وتبقى هذه المدركات متعاونة متساندة ، لا يمكن أن يحصل بطريق واحد منها ، ما يتناقض مع الحاصل من طريق مُدرك آخر ، إلا أن بعض ما يقصر عن الإحاطة به أحد هاتيك الطرق ، يمكن أن يتصل به طريق آخر منها ، حتى تنتهي إلى الإذعان للمدركات الحاصلة بالطريق الخارق للعادة ، وهو طريق الوحي { (ص ٢٠) .

ولذلك فإن خالق الإنسان سبحانه بعد أن أنعم عليه بنعمة الخلق والإيجاد والتي يذكره بها بقوله : ﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا ﴿٦٧﴾ ﴾ [مريم ٦٧/١٩] ثم جعل الأرض مستقره وأوجد له فيها متاعه حيث يقول له : ﴿ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [البقرة ٣٦/٢] ، وكذلك أنعم عليه بنعمة الهداية والإرشاد ليتبعها ، يقول سبحانه : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة ٣٨/٢] . ويقول سبحانه : ﴿ قَالَ

ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًاۢ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه ٢٠/١٢٣-١٢٤] .

إن الهداية الإلهية للإنسان عرفته بما غاب عنه من علم وسنن ربانية جارية ثابتة لا تتبدل ولا تتحول ولا تحابي أحدا ، أحكمت النظام العام للعالم الأكبر بقدرة وإرادة خالق قدير سبحانه وتعالى يصفها بنفسه فيقول : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر ٣٥/٤٣] ، كما أبانت له – أي الهداية الإلهية – طريق تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة وذلك باتباع سننه الإلهية ومراعاتها عند تشكيل نظم حضارته .

لذا فالحكم بصلاحية حضارته – أي الإنسان – يكون باستجابتها الكاملة في تصورها ونظرتها ونظامها العام لتعاليم تلك الهداية الإلهية واسترشادها بها ، وبما أن الحكم يصدر على الحضارة في مجموعها فإنه ينسحب بالضرورة على نظامها العام وبقية أنظمته التي يحويها .

ومن تلك الأنظمة ؛ « النظام التربوي » الذي يستهدف إنسان الحضارة الفاعل المؤثر في كافة الأنظمة الأخرى ، فإلى ذلك النظام التربوي يعود قيام الحضارات وسقوطها ، ورقيها وانحطاطها ، وقوتها وضعفها ، ذلك لأن وظيفته « التغيير » فهو عبارة عن منظومة عملية فاعلة تحويلية تهدف إلى إحداث تغيير في حال المستهدف – الإنسان – من حال إلى حال بناء

على مدخلات متعددة ، بنيت أو شكلت على ضوء مصادر وتصورات وأسس ومبادئ وقيم وأهداف معينة محددة .

ولأهمية النظام التربوي ومكانته بين بقية النظم الأخرى ، ما فتئ عقلاء الحضارات مراجعته وتقويمه بين الحين والآخر سواءً أكانت حضارتهم في حالة رقي وقوة ، أم تأخر وضعف ، ففي الأولى ؛ مراجعة من أجل تحقيق المزيد ، وفي الثانية ؛ استدراك وتصحيح خوفا من السقوط ، ومتطلبات تلك المراجعة تقتضي إعادة النظر في صحة مصادر المعرفة والثقة فيها ، وسلامة التصورات والأسس والمبادئ والقيم المبنية عليها ، ومن ثم سلامة الأهداف المستمدة منها ، إنها مراجعة من أجل التأصيل ، وتأصيل من أجل الحفاظ على الخصوصية الحضارية الخاصة بهم . ذلك أن لكل حضارة كما يرى عمارة (١٤٠٩هـ–١٩٨٩م) خصوصية ، كما أن بين جميع الحضارات الإنسانية مقدارا مشتركا عاما من المعرفة (ص ١٣) .

ولكن هذه المراجعة الدائمة لهذا النظام التربوي وسواه من الأنظمة ، لن تحقق الغرض المنشود منها – أيا كان – إلا إذا كانت في ضوء فقه حضاري ذي منهجٍ سديدٍ يتصف بما وصفه به الأميري – ت ١٤١٢هـ رحمه الله تعالى – (١٩٨٣م) بقوله : ~ فإن الفقه الحضاري اصطلاح جديد لمنهج سديد في البحث والعلم والفهم والسلوك ، يتوخى توفير الضمانات اللازمة لمعرفة الحقيقة الجلية وممارسة الحياة السوية { (ص ١٤) ، ويعتمد في الدرجة الأولى في مصادر المعرفة على الهداية الإلهية المبثوثة في خطاب الله تعالى – القرآن الكريم – وخطاب

رسوله ﷺ – السنة النبوية المطهرة – الموثوق بهما وفي صحة محتواهما ، ودراسة السنن الإلهية الواردة فيهما .

وعن أهمية هذا الفقه الحضاري المنشود يقول الأميري (١٩٨٣م) :

~ ولما كانت معرفة الحقيقة هي التي تبصر بكنه الوجود . . بسر الحياة وسيرها ، وأهدافها وغايتها ؛ وبمقام الإنسان ، كرامة وجدارة فيها ، وسلطانا وهيمنة عليها ، وتكليفا ومسؤولية عنها ، وممارسة رشيدة لها ، وإفادة سعيدة منها ...

لما كانت معرفة الحقيقة هي التي توفر أجواء كل ذلك وتعين عليه ، تأكدت لنا ركنية هذه المعرفة ، وحتميتها ... فهي مرتبطة ملتصقة بالوجود في ذاته ، بفحواه وجدواه ، بكشف كينونته الإلهية ، ونواميسه الربانية ، وبيان الأسس الإيمانية التي تجلي الأقدار ، وتقيم الروابط ، وتحكم الروابط ، بين الخلاق الحكيم العليم ، بديع السموات والأرض ، وبين مخلوقاته كافة ، التي سود عليها « الإنسان الخليفة » وجعلت كلها مسخرات له . . وإن المنهج الأمثل الأقدر على إيصال الإنسان إلى هذه المعرفة ، لجدير بأن يبالغ في التحري عنه ، والحرص على كشفه ، ثم اعتماده بكل الجد والجوهرية ، لأنه لصيق وثيق الاتصال بالمعرفة ذاتها ، وكشف الحقيقة في كلياتها وجزئياتها ... ومن هنا قامت في نفسي الأهمية الكبرى للفقه الحضاري { (ص ص ١٤–١٥) .

تعريف المشكلة

لقد أسس الإنسان المسلم حضارته على أسس راسخة حددها سفر (١٤٠٩هـ) بأنها : ~ ركائز الوحي ، وهداية الحق ، وإلهام القيم ... ولديها [أي الحضارة الإسلامية]

القدرة الكاملة على أن تعالج كل أدواء الإنسانية ، من تخلف ، وفراغ ، وخلل ، وانحطاط { (ص ١٢٠) ، فكانت بذلك حضارة صالحة نتيجة استجابتها الكاملة في تصورها ونظرتها ونظامها العام لتعاليم الهداية الإلهية واسترشادها بها ، وبالتالي فإن كل نظام تقيمه وتحكم بناءه يعتبر نظاما صالحا .

ولكن عندما دبّ الخلل في منهج التعامل مع تلك الهداية الإلهية ، فأصبحت تطلب بلا جهد ولا سعي ، أو تطلب للتبرك فحسب ، إلى غير ذلك من مظاهر الخلل ، إضافة إلى تضخم حجم التحديات التي تواجهها حضارة المسلمين ، مع الانفتاح على نظم الحضارات الأخرى والعبّ منها بلا ضوابط تحافظ على خصوصيتها الحضارية ، عندما حدث ذلك دبّ الضعف في تلك الحضارة وتخلفت عن مكانتها بين بقية الحضارات ، وتقدم عليها غيرها [٦] .

---

[٦] أبان الجابري (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) عن ظواهر التردي والتخلف في واقع العالم الإسلامي ، وبناء عليها دعا لعملية تغيرية حمّل مسؤوليتها الأمة بقياداتها ومؤسساتها ومفكريها وعلمائها وقواها الشعبية (ص ص ١٩-٢٥) . وكذلك تناول فرحان وزملاؤه (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) واقع التربية في البلاد الإسلامية ، وأخطار غير الإسلامية التي تسللت إلى الواقع الإسلامي (ص ص ١-٦) . وكذلك تناولها الكيلاني (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) تحت مصطلح « الآبائية ، والاغتراب » (ص ص ١٥- ٢١) . وكذلك تناول المودودي -ت ١٣٩٩هـ رحمه الله تعالى - (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) العيوب الجوهرية في نظم التربية الإسلامية والحاجة إلى تغيير مناهج التعليم (ص ص ٥-٢٠) .

إن ما جرى لحضارة الإنسان المسلم من انحسار ، وما أصبحت فيه من مأزق حرج ، جرى بموجب سنن الله ﷻ الثابتة المطردة التي لا تحابي أحداً ، ولذلك فإن من الأهمية بمكان لإخراج الأمة الإسلامية من أزمتها ، العودة إلى الهداية الإلهية والاسترشاد بها ، لتأصيل ومراجعة كافة نظمها الحضارية تأصيلاً إسلامياً وإعادة صياغتها وتشكيلها وفق دلالات السنن الإلهية ومقتضياتها .

ومن تلك النظم « **النظام التربوي** » والذي يعتبر أهم نظام ضمن مجموعة نظم النظام العام لحضارة الإنسان المسلم المنفذ لتلك النظم بمختلف مجالاتها وميادينها ، بل إن الأمل في إخراج الأمة الإسلامية من أزمتها الحضارية معقود عليه ، مما يتطلب مراجعته وتأصيله في ضوء معطيات الوحي . ولذلك يقول محمد قطب (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) :

> ~ لابد من دراسة مستوعبة للسنن الربانية ، ولابد من دراسة التاريخ من خلال تلك السنن ، لتكون هذه الدراسة جزءًا من التربية المطلوبة لإنشاء « الإنسان الصالح » الذي يهدف الإسلام إلى إخراجه إلى الوجود ، وأن المتدبر لكتاب الله [ﷻ] ولسنة رسوله ﷺ ليجد عناية ملحوظة بإبراز تلك السنن وتوجيه النظر إليها ، واستخراج العبرة منها ، والعمل بمقتضياتها لتكوين المجتمع المسلم المستقيم على أمر الله { (ص ٨٦) .

كما يؤكد الكيلاني (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) أهمية فقه السنن بقوله : ~ ...إن مؤسسات التربية والفكر والدعوة تحتاج أن تفرز علوما جديدة لفهم السنن والقوانين التي توجه إخراج الأمة

والمحافظة على عافيتها وكيفية تحويل هذه العلوم إلى تطبيقات عملية في ميادين التربية والإدارة ، وفي أخلاق العاملين فيها ومؤهلاتهم وعلاقاتهم { (ص ٤٤٩) .

إن دراسة السنن الربانية والاسترشاد بها في العملية التربوية مهم جدا في عملية التغيير المنشود ، فعملية التغيير – التي هي وظيفة التربية – ما هي إلا قضية مستقبل يؤكدها الجابري (١٤١٤هـ–١٩٩٤م) بقوله : ~ إن دراسة التغيير استشراف للمستقبل ، والولوج في عملية التغيير بناء للمستقبل[٧] { (ص ٣٤) ، والتغيير المطلوب إحداثه في الأمة الإسلامية لإخراجها من مأزقها الحضاري مرهون بأن تفقه الأمة الإسلامية وظيفة السنن الإلهية ، فهي كما يقول أمزيان (١٤١٣هـ– ١٩٩٢م) :

> ~ تكشف عن أسباب الخلل وتزيل الستار عن أسباب الدمار وتثير في الإنسان فطرة الخير والصلاح ، وتدعوه إلى الاستقامة ومراجعة مواقفه والعمل على ضبط حركاته ، ومن جهة

---

[٧] يقول سفر (١٤٠٩هـ) : ~ وكما أن للتاريخ علم له مؤلفاته وبحوثه ، فقد أصبح للمستقبل علم « المستقبليات **Futurology** » له علماؤه ورواده ، الذين يسعون إلى استشراف آفاقه ، والبحث في كنهه المجهول ، من خلال مبادئ وأسس علمية ، تحكم عملية التوقع للمستقبل ؛ إذ لم تعد الدراسات المستقبلية ترفا عقليا ، يتلهى به بعض المثقفين ، فرارا من الواقع ومشكلاته المعقدة ، بحثا عن عالم أفضل بل إن لها فائدة عملية مباشرة ، من حيث التمكن من معرفة النتائج البعيدة المدى ، لما يجري في بلادنا الآن ، وما نتخذه من قرارات ، وما نمارسه من تغيير في العادات ، وما ننشئه أو ندعمه من علاقات ، وبمعنى آخر : قرارات الحاضر بما لها وما عليها ترسم آفاق المستقبل بما له وما عليه { (ص ٥٧) .

> أخرى تكشف هذه السنن عن تجربة تاريخية كاملة تجد فيها الشعوب والجماعات ما ينير طريقها ويفتح بصيرتها للوقوف على أنواع السنن الفاعلة في الجماعات والمجتمعات بالنظر إلى سيرها والوقوف على نتائج اختيارها ، وهي سنن لا تخرج عن كونها هادية أو مدمرة [أي مهلكة] ، فالسنن الهادية تهدي إلى الحق والى الطريق المستقيم وهو ما تعبر عنه الآية : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النساء ٤/٢٦] .
>
> أما السنن المدمرة [المهلكة] فتقود إلى الباطل كما قال تعالى : ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ ﴾ [إبراهيم ١٤/٢٨-٢٩] .
>
> فالجماعات والأمم التي تختار طريق السنن الهادية وتحدد هدفها على أساس هذا الاختيار لابد وأن تنتهي إلى الاستقرار والعمارة والاستمرار في حمل الخلافة ، وبالمقابل فإن الشعوب التي تختار طريق السنن المدمرة [المهلكة] لابد وأن تنتهي إلى الدمار [والهلاك] والخراب والانمحاء من التاريخ { (ص ص ٢٨٨-٢٨٩) .

لذلك فإن على الأمة الإسلامية أن تفقه سنن الله في التغيير لتحسن مواجهة التحديات الداخلية التي تعيقها ، وأن تدرك أيضا أن الغاية من هذا التغيير هو أن تنال شرف التمكين في الأرض وتملك زمامه لتعود إلى موقع الشهادة على الناس والقيادة لهم على وفق مراد الله تعالى ، وذلك يتأتى لها بأن تفقه سنن الله في التمكين سواءٌ أكان تمكينا ماديا أم معنويا . ولكي تحافظ على هذا التمكين المنشود ؛ عليها أن تحافظ على خصوصيتها الحضارية – بصفتها أمة

مسلمة – بين بقية الحضارات المعاصرة ، فتفقه لذلك سنن الله في التدافع الحضاري ، لتحسن مواجهة التحديات الخارجية وصدها حتى لا تتمكن من النيل من خصوصيتها الحضارية .

إن تحقيق تفقه الأمة الإسلامية لهذه السنن الإلهية هو جزء مهم من الفقه الحضاري المطلوب منها تحقيقه وبذل الجهد فيه ولن يتم فقه هذا الجزء من خلال معجزة خارقة تنقلها من حال إلى حال نقلة خارقة ، ولكنه يتم من خلال تخطيط [٨] سليم واع ، يدرس في البدء واقع الأمة الإسلامية ويعرف داءها ، فإذا عرف أن سبب الانحسار الحضاري الذي تعيشه هو العدول عن الانضباط والانسلاك بالسنن الإلهية ، تحتم بذلك دراسة تلك السنن وتحديد أهداف النظام التربوي في ضوئها باعتباره المسؤول في الدرجة الأولى عن إخراج الأمة من أزمتها الحضارية ، حيث يعد لها من خلال مؤسساته التربوية المباشرة وغير المباشرة إنسانها القادر على مواجهة التحديات وإزالة العوائق ، ويتقن العمل لنيل التمكين ، ويذب عنها غوائل الانمحاء ، والضعف ، والتبعية .

---

[٨] عرف نشوان (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) التخطيط بأنه ~ تحديد الغايات والأهداف الأساسية والإجراءات والتدابير للوصول إلى هذه الغايات والأهداف ، وهو بذلك ليس غاية بقدر ما هو وسيلة لتحقيق أهداف التنظيم . فهو أحد ركائز العمل المنظم الرشيد الذي يجب أن يتصف به كل جهد جماعي أو فردي...[و] يتضمن التخطيط : تحديد الأهداف ، والإجراءات والوسائل والأنشطة اللازمة ، والتقويم . فهذه الأبعاد الثلاثة تعتبر الهيكل التنظيمي لأي خطة { (ص ص ٢٧-٢٨) .

فإذا تضافرت الجهود على تحديد تلك الأهداف التربوية ، وتفاعلت جميع أنظمة حضارة الإنسان المسلم المختلفة مع بعضها البعض من أجل تحقيقها ، أصبح من الميسور تحديد المدخلات المختلفة للعملية التربوية كتهيئة المحاضن التربوية ، واستخدام الأساليب والوسائل المناسبة لتحقيق تلك الأهداف ، وأزيلت العوائق والمشتات من أمامها ، عندئذ تكون العملية التربوية المخطط لها في ضوء سنن الله ﷻ قادرة – بإذن الله تعالى – على صنع مستقبل الحضارة الإسلامية الزاهر ، من خلال كافة أنظمتها ، وخصوصا نظامها التربوي ، وتكون قد سارت فعلا بخطوات حثيثة نحو تحقيق الشهود الحضاري بالشهادة على الناس والقيادة لهم .

أهداف الدراسة وتساؤلاتها

تهدف هذه الدراسة إلى إذكاء عملية تأصيل الأهداف العامة لنظام الإسلام في التربية من خلال تحديدها في ضوء سنن الله المؤثرة في قضايا – موضوع – التغيير ، والتمكين ، والتدافع الحضاري ، بحيث تكون هذه الأهداف التربوية العامة على قدر كبير من الوفاق مع تلك السنن الإلهية ، ومع شخصيتنا الحضارية بصفتنا مسلمين ، وآخذة في الاعتبار واقعنا المعاصر ومشكلاتنا التربوية ، ومن ثم إبراز العلاقة بين العمل التربوي المعاصر كبعد تطبيقي – بمختلف محاضنه ، ومؤسساته ، ومجالاته ، وممارساته ، وأساليبه – ، وبين الأهداف التربوية العامة والمحددة في ضوء السنن الإلهية كبعد نظري ، ويُؤمَل من هذا التزاوج بين البعد النظري والتطبيقي إثراء الخبرة التربوية في بناء نظرية تربية إسلامية تتصف بالواقعية ويمكن أن يصدر عنها نظام تربوي إسلامي ذو طبيعة تنفيذية .

ولتحقيق ذلك وضع للدراسة التساؤل الرئيس التالي :-

- ما هي الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية والمحددة في ضوء سنن الله سبحانه وتعالى : في التغيير ، والتمكين ، والتدافع الحضاري ؟ .

ويتفرع عن هذا السؤال التساؤلات التالية:-

١. ما موقع الأهداف بين مكونات نظام الإسلام في التربية ، وما أهمية تحديدها ، وما خصائصها ، وما مصادر استمدادها ؟ .
٢. ما دور السنن الإلهية في تحديد الأهداف التربوية العامة ؟ .
٣. ما أهمية العلم بالسنن الإلهية في عملية التغيير التربوي ؟ .

ونظرا لأن هذا البحث ما هو إلا بحث تكميلي محدود فليس المراد من أهدافه وتساؤلاته الاستقصاء الشامل لكافة الأهداف التربوية التي يمكن تحديدها في ضوء السنن الإلهية ، ولكنه جهد تبعيضي يهدف إلى تحديد بعضها ، استنادا على الصيغ الصريحة في دلالتها على السنن الإلهية ذات العلاقة بموضوعات هذه الدراسة الثلاث ، وبما يبرز دورها في تحديد الأهداف التربوية ، وبما يكفي ليكون دعوة للباحثين التربويين لمواصلة الجهد واستكمال المسيرة للتأمل في سائر الصيغ الأخرى .

أهمية الدراسة

تبرز أهمية هذه الدراسة من خلال النقاط التالية :-

١. أنها حلقة من حلقات عملية التأصيل الإسلامي للنظام التربوي ، تتناول أحد أبعاده المهمة وهو « الأهداف » بتأصيلها في ضوء السنن الإلهية باعتبارها القانون الإلهي الثابت المطرد ، والذي هدفت نصوص الإسلام إلى تجليته .

٢. أنها حلقة من حلقات عملية التخطيط اللازمة لإخراج الأمة الإسلامية من أزمتها الحضارية ، فهي تتناول أحد أبعادها المهمة وهي : « تحديد الأهداف »، فالخروج من المأزق الحضاري لا يأتي كما يقول الأميري -ت ١٤١٢هـ رحمه الله تعالى-(١٩٨٣م) : ~ اعتباطاً وأملاً ودعاءً [٩] لأن أقدار الله مرتبطة بنواميسه فلابد من عظيم العمل لتحقيق عظيم الأمل { (ص ٤٢) .

لذا يعتبر أبو صالح (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) أن :

~ (... تحديد « الأهداف » من أهم العناصر الأساسية - بل أولها - للتخطيط في أي ميدان ، لتأثيره في

---

[٩] من مظاهر الاستعانة بالله تعالى « الدعاء » بل هو ركيزة أساسية وخطوة أولى لتحقيق النجاح في أي عمل ، وليس ذكر الدعاء هنا فيه تقليل من شأنه ، فشأنه عظيم ، ولكن العتاب يوجه إلى من يأخذ بالدعاء فقط ويقعد عن اتخاذ الأسباب بالعمل وينتظر الخوارق ، فهذا خلل بارز في التفكير الخوارقي ، والمنهج السديد هو الجمع بين الدعاء والعمل .

عناصره الأخرى ، من تحديد السياسات والأنشطة والممارسات ، وفي تحديد الإمكانات البشرية والمادية المطلوبة وفي التأكد من مدى سلامة السير في الاتجاه الصحيح عند التنفيذ والمتابعة ، وفي تحقيق عملية التقويم ، التمهيدي ، والتطويري ، والنهائي ، والتتبعي) (١٠) ، وفي زرع الثقة والطمأنينة للإحساس بالسير قدما نحو تحقيق الأهداف المحددة ، وعند تحقيق كل منها { (ص ٧٩٠) .

٣ . أن المؤسسات التنظيمية في الوسط الإسلامي المعاصر في حاجة ماسة إلى رسم سياساتها المختلفة في ضوء أهداف نظام الإسلام في التربية ، ولا سيما أن هذه المؤسسات لديها وسائل ووسائط تربوية تحتضن وتؤثر في فئات الأمة المختلفة .

٤ . أنها تعزز مفهوم النظام بإبراز أهمية تناسق وانسجام النظام العام للحضارة الإنسانية مع النظام العام الإلهي الأكبر من خلال دراسة سننه ﷻ في خلقه .

حدود الدراسة

إن للدراسة حداً موضوعياً يتعلق بالأهداف التربوية ، وبالسنن الإلهية .

أما الأهداف التربوية فإنها تصنف وتحدد مستوياتها وفق اعتبارات مختلفة ، ذكر الخطيب (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م ، ص ٥٣ ، ص ١٠٢ ، ص ١٤٥) أهمها وهي :-

---

(١٠) ما بين قوسين هلالين في النص المقتبس ، أشار الكاتب إلى أنه مقتبس من : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، وحدة البحوث التربوية ، تقويم البرامج التربوية في الوطن العربي ، الكويت : المركز العربي للبحوث التربوية لدول الخليج (١٩٨١م) ، ص ص ٣٣-٣٨ .

١ . تصنيف الأهداف على أساس عموميتها ، وتصنف إلى عدة أقسام وهي :-

أ . الأهداف العامة للتربية .

ب . أهداف المرحلة التعليمية .

ج. أهداف الصف الدراسي .

د . أهداف المجالات الدراسية .

٢ . تصنيف الأهداف على أساس جوانب الخبرة ، ولهذا التصنيف أهمية كبيرة في العملية التعليمية .

٣ . تصنيف الأهداف على أساس جوانب الأداء [السلوك] .

وتأسيسا على ما سبق فإن الأهداف التربوية التي يراد تحديدها في ضوء السنن الإلهية ستندرج تحت تصنيف الأهداف على أساس عموميتها وبالتحديد ضمن مستوى الأهداف العامة للتربية ، وآمل أن يتواصل الجهد مستقبلا في النزول بهذه الأهداف إلى مستويات أدنى تتناسب والموقف التربوي الذي يراد تفعيله .

أما حديث القرآن عن السنن الإلهية فقد جاء بصيغ وأساليب متنوعة في مواضع متعددة حصرها الحميد (١٤١٤هـ-١٩٩٣م ، ج١ ، ص ص ١٢٤-١٣٥) فيما يأتي :-

١ . الصيغ الصريحة : وهي التي ورد ذكر السنة أو السنن بلفظها الصريح وذلك في مواضع عدة بلغت أحد عشر موضعا .

٢. الألفاظ والصيغ التي تدل على قضاء الله وقدره الكونيين، ومن تلك الألفاظ لفظ الحكم كقوله تعالى: ﴿ قَٰلَ رَبِّ ٱحۡكُم بِٱلۡحَقِّۗ وَرَبُّنَا ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١١٢﴾ ﴾ [الأنبياء ٢١/١١٢] . ومنها : لفظ الإرادة كقوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ﴿١٦﴾ ﴾ [الإسراء ١٧/١٦] . ومنها : لفظ الكتابة كقوله تعالى: ﴿ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ﴾ [المجادلة ٥٨/٢١] . ومنها : لفظ كلمات الله كقوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ حَقَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓاْ أَنَّهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [يونس ١٠/٣٣] ، ومنها : لفظ الإيتاء كقوله تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ ﴾ [البقرة ٢/٢٤٧] .

٣. الأساليب الشرطية: وهي على ضربين :-

أ. الأساليب الشرطية الصريحة كقوله تعالى: ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾ [النساء ٤/١٢٣] .

ب. الأساليب الشبيهة بها، وهي المتضمنة لمعنى الشرطية لكن بغير أدوات الشرط، وذلك كأسلوب القسم، والاسم الموصول، وصيغة الأمر وجوابها، وما جاء بصيغة الجزم، كالوعد والوعيد الإلهيين، ومن أمثلة ذلك قوله تعالى: ﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴿٧﴾ ﴾

[إبراهيم ١٤/٧] وقد اجتمع في هذه الآية أسلوب القسم والشرط ، وتقدم القسم فوقع الجواب له ، وأغنى عن جواب الشرط .

وعن أهمية الأساليب الشرطية يقول الحميد (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) :

> ~ وفي القرآن الكريم من كلا الضربين أمثلة وفيرة ، خصوصا ما يتصل بسنن الله في الأمم ، مما يظهر بجلاء قيمة خاصة لمثل هذه الأساليب ، وبالتالي كونها ركيزة وأساسا في منهج القرآن في عرض السنن ... إن سنن الله في الأمم هي مجموعة الحوافز والكوابح ، أي مجموعة الضوابط التي تضبط حركة الجماعات البشرية عن طريق إبراز الجزاء المناسب للحدث ، ثوابا أو عقابا . وأساليب الشرط الصريحة أو ما فيها معنى الشرط في مقدمة الأساليب التي تبرز ترتب الجزاء (السنة) على مقدمتها وسببها (الحدث) بصورة مباشرة ، وربط ما بين الفعل والجزاء بهذا الأسلوب ذو أثر بليغ ، يحدثه تقارب ما بين المقدمة والنتيجة في ذهن السامع ، ويغذيه شعوره الأكيد بأن هذا الجزاء مسبب عن هذا الحدث ، بصورة لا تقبل التأويل { (ج ١ ، ص ١٣١) .

ولما كانت هذه الدراسة التربوية تعني بقضية تغيير حال الإنسان المسلم المعاصر ليقوم بدوره في تغيير حال حضارته المعاصرة ويزيل عنها ما أصابها من وهن وضعف أطمع خصومها في التداعي عليها للنيل منها ، ومن ثم العمل على تحقيق شرف التمكين لها في الأرض ، مما يحتم عليه بعدئذ الحفاظ على إنجازه الحضاري فيدفع عنه غوائل السوء ، لذا فإن كل نص يفيد سنة إلهية وهو صريح في دلالته على قضايا « التغيير » و « التمكين » و « التدافع الحضاري » سيكون أصلا لتحديد الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في

التربية ، وسيتم تناول هذه النصوص الصريحة بالقدر الذي يؤكد أهمية الاستقراء الشامل لكامل نصوص السنن الإلهية ضمن عمل تتضافر عليه جهود جماعية جادة ومتعاونة .

منهج الدراسة

نظرا لطبيعة المجال الذي تنتمي إليه هذه الدراسة ، حيث تنتمي إلى مجال الدراسات الأصولية بالمعنى الذي حدده أبو العينين (١٤٠٨هـ–١٩٨٨م) بقوله : ~ ونعني به تلك الدراسة التي تتجه إلى استنباط واستخراج المبادئ والأسس النظرية للتربية الإسلامية ، وإطارها الفكري وما يتصل به من أهداف وقيم ، وطرائق تربوية وتعليمية ؛ من خلال دراسة القرآن الكريم والسنة المطهرة باعتبارهما المنبعان الرئيسان ، وما دار في فلكهما من اجتهادات العلماء { (ص ١٢) .

لذا فإنني سأعتمد في هذه الدراسة – بعد توفيق الله وتسديده – على المنهج الأصولي والذي بين أمزيان (١٤١٣هـ–١٩٩٢م) المقصود به بقوله :

> ~ فالمقصود بالمنهج الأصولي هو ذلك المنهج الذي نهجه علماء الإسلام في صياغة أفكارهم وثقافاتهم وتصرفاتهم وفق الأصول الشرعية الكلية حتى تأخذ الصفة الدينية التي تستمد شرعيتها من عقيدة التوحيد ، وهو الميزان الذي توزن به كل المنطلقات والتصورات وتضبط به كل الآراء والفلسفات والمعتقدات مهما تعددت منابعها ومفاهيمها ، وهو مجموع هذه الموازين التي تحفظ به قدسية الوحي وعصمة الرسالة من فقدان معالمها لتظل الرؤية المهيمنة على العقل المسلم هي رؤية الوحي ويظل الزمام الذي يتمسك به العقل المسلم هو زمام الرسالة ، وهو الضامن

> لاستمرارية الوحي بالمجهود البشري ، الغاية منه جعل الهيمنة على أفعال الإنسان للوحي ، وصبغة الحياة بالصبغة الشرعية ، وتحقيق معنى الألوهية في الأرض ، وأخيرا فالمنهج الأصولي هو السياج الذي استخدمه علماء المسلمين للحفاظ على جوهر الإسلام من الذوبان والحفاظ على الذات الإسلامية وصقل الشخصية الإسلامية ونفض كل العلائق الأجنبية عنها { (ص ٤٠٠) .

وقد وضع القرضاوي (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) معالم وضوابط لفهم أصلي هذا المنهج الأصولي – الكتاب والسنة – ويمكن تلخيصها فيما يلي (ص ص ١٥٥– ٢٧٤) :-

١. التجرد لطلب الحق .
٢. ربط النصوص بعضها ببعض .
٣. الإيمان بكمال الشريعة وعدم تناقضها .
٤. رد المتشابهات إلى المحكمات .
٥. فهم النصوص الجزئية في ضوء المقاصد الكلية .
٦. الاعتصام بالنصوص القطعية .
٧. التمسك بعصمة الأمة وإجماعها اليقيني .

كما سماه يالجن (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) « منهج البحث التأصيلي في مجال التربية » وعرفه بقوله : ~ هو مجموعة من المهارات البحثية على النهج الإسلامي للوصول إلى حقائق تربوية { (ص ٦٩) ، ثم بين أساسيات هذا المنهج من خلال عرض أهم خطواته الإجرائية والتي أجملها في النقاط التالية (ص ص ٧٠-٧٦) :-

١ . أن يكون الباحث متخصصا في مجال المعرفة التي يؤصلها . ففي مجال التربية يحتاج على حد قول النقيب (١٩٩٦م) إلى :

> ~ معرفة واسعة بالميدان التربوي على مستوى التراث ، ومستوى الفكر العالمي والواقع التربوي المعاش ، واكتساب روح نقادة متجاوزة لتلك المعارف قادرة على الأصالة والإبداع ، وامتلاك المهارات البحثية المتعارف عليها بين علماء التربية ، كل ذلك من خلال روح إسلامية أصيلة تقيس كل شيء وترده إلى الأصول الإسلامية التي ترشده إلى النموذج التربوي الإسلامي أو النمط المثالي لما يجب أن تكون عليه التربية لإنسان القرآن والسنة في هذا العصر{ (ص ١٤٩) .

٢ . البدء بالاستدلال بالقرآن الكريم .

٣ . الاستدلال بالحديث الشريف .

٤ . الجمع بين القرآن والسنة في الاستدلال إن أمكن .

٥ . الرجوع إلى مصادر المعرفة التشريعية الأخرى .

٦ . الرجوع إلى قواعد أصول الفقه .

٧ . الاعتماد على مبادئ العلم أو قواعده .

٨ . الاعتماد على الأصول الإسلامية وأهمها : الأصول الاعتقادية ؛ والتشريعية ؛ والأخلاقية والاجتماعية ؛ والنفسية والروحية والإنسانية ؛ والاقتصادية ؛ والثقافية ؛ والعلمية والمعرفية ؛ والفكرية والمنطقية والمنهجية ؛ والتراثية والتاريخية ؛ والسياسية والإدارية .

٩ . الرجوع إلى التراث الإسلامي وآراء العلماء المسلمين واسهاماتهم .

١٠ . الاستفادة من توجيهات الإسلام العامة إلى طرق دراسة الحقائق ووجوه الاستفادة منها .

تلك وجهة نظر يالجن نحو إجرائية التأصيل ، ومع تثميني وتقديري لها إلا أنها تحتاج إلى مزيد من الوضوح والتحديد بما يجب أن تكون عليه الخطوات الإجرائية والتي يمكن أن أورد جهدا موفقا فيها أقترحه صافي (١٩٩٥م) تتمثل في وضعه منهجية تناسب الدراسات الإنسانية تتألف من أربعة خطوات إجرائية للاستدلال من نصوص الوحي بشقيه – الكتاب والسنة – ؛ ألخصها على النحو التالي (ص ص ٣٢–٣٦) :–

١ . التعرف على كافة النصوص التنزيلية ذات العلاقة بالموضوع .

٢ . فهم دلالات نصوص الوحي ، منفردة ومضافة إلى بعضها البعض ، بالاعتماد على قواعد اللغة العربية ، وتحديد معانيها من خلال ربطها بسياقات ثلاثة : السياق النصي باعتبار السابق واللاحق ، والسياق الخطابي بمقارنتها بمثيلاتها في خطاب القرآن والسنة ، والسياق الحالي بمعرفة أسباب النزول والورود .

٣ . تحديد العلة التي استدعت قيام الحكم الثاوي فيها .

٤ . ربط الأحكام والتصورات التنزيلية بعضها ببعض وتجريدها للوصول إلى القواعد الكلية التي تنتظمها .

وجدير بالذكر أن صافي لم يقتصر عند اقتراحه للمنهجية الأصولية للدراسات الإنسانية على المصدر التنزيلي – نصوص الوحي – كمصدر وحيد وإنما أضاف أيضا المصدر التاريخي ، باعتبار أن الأول استدلال نصي والثاني استدلال فعلي ، ويرمي من ذلك على حد قوله :–

> ~ إن تطوير منهجية متوازنة يجب أن يرمي إلى تحقيق غايتين : الأولى تضمين المنهجية المنشودة طرقا إجرائية تمكننا من استنباط قواعد عامة وقوانين كلية انطلاقا من الوحي والتاريخ على السواء ، والثانية تأمين تكامل بين القواعد والقوانين المستنبطة من المصدر التنزيلي وتلك المستقرأة من المصدر التاريخي { (ص ٣٢) .

في ضوء ما تقدم فإن الخطوات التي سأتبعها لتحديد الأهداف التربوية العامة في ضوء سنن الله في التغيير والتمكين والتدافع الحضاري ، – وهي بعض خطوات المنهج التأصيلي – ما يلي:–

١. استقراء الآيات القرآنية والتي تتضمن سنة إلهية معتمدا في ذلك على الصيغ التي ذكرها الحميد (١٤١٤هـ–١٩٩٣م ، ج١ ، ص ص ١٢٤–١٣٥) وتقدمت الإشارة إليها عند الحديث عن حدود الدراسة ، بالإضافة إلى المعالم المبدئية لاستنباط السنن الإلهية والتي وضعها جمعة (في هيشور ، ١٤١٧هـ–١٩٩٦م ، ص ص ١٣–١٤)[11] ، وقد استعنت في

---

[11] أنظر تلك المعالم في الفصل الثاني من الدراسة بعنوان : السنن الإلهية ، عند الحديث عن أنواعها .

ذلك – بعد الله سبحانه وتعالى – ببرنامج القرآن الكريم لشركة العالمية (صخر) على الحاسب الآلي .

٢ . استقراء الأحاديث النبوية من الكتب التسعة وغيرها ، وقد استعنت في ذلك – بعد الله سبحانه وتعالى – ببرنامج الحديث الشريف المشتمل على الكتب التسعة لشركة العالمية (صخر) على الحاسب الآلي .

٣ . رجعت إلى كتب التفسير لا سيما للعلماء المتأخرين الذين اجتهدوا في كشف السنن الإلهية ، وكذلك كتب شروح الحديث النبوي للوقوف على دلالات النصوص السننية التي أمكن استقراؤها ، بالإضافة إلى بعض كتب المعاصرين التي أفردت السنن الإلهية بالدراسة والتحليل .

٤ . اجتهدت – قدر الإمكان – في ترتيب النصوص السننية في نسق موضوعي ، واستخلصت منها ما يتعلق بالسنن الثلاث التي هي محور الدراسة .

٥ . اجتهدت في تحليل النصوص السننية المختارة تحليلا تربويا ، مع العمل على ربطها بآلية علم التغيير التربوي ، ومن ثم استخلصت منها الأهداف التربوية العامة وصغتها صياغة عامة .

أما منهج التوثيق في هذه الدراسة فهو يسير وفق ما أقره مجلس كلية التربية بجامعة أم القرى – رعاها الله – في جلسته الخامسة عشر بتاريخ ١٤٠٨/١١/١٥هـ في قراره الحادي

عشر ، ولكن مع بعض التعديلات الضرورية لتناسب طبيعة المصادر والمراجع الإسلامية وهي:-

١ . ذكر تاريخ وفاة المؤلف . مثال : يقول سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) .

٢ . عند اشتراك مؤلفان في اللقب أميزهما بالاسم الأول . مثال : قال محمد قطب (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) .

٣ . إن كانت مؤلفة المرجع امرأة أذكر الاسم كاملا لتستقيم الجملة . مثال : قالت زينب عطية محمد (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) .

٤ . وضع النص القرآني بين قوسين معززين وأذكر اسم السورة ورقمها ورقم الآية . مثال : قال تعالى : ﴿ نص الآية ﴾ [اسم السورة رقمها /رقم الآية] .

٥ . وضع النص النبوي بين قوسين صغيرين ، واعتمد في توثيق النص على كتب السنة النبوية ذات الطبعات المرقمة الأحاديث – إن وجدت – وإلا أذكر عنوان الكتاب والباب – حسب طريقة المؤلف – وهو توثيق شائع ، أو أذكر رقم المجلد والصفحة . مثال : قال عنها المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه مسلم –ت ٢٦١هـ رحمه الله تعالى – (١٩٧٢م) : « نص الحديث » (ح٢٦٥٨-٢٥) . ويلاحظ أن لفظ (مسلم) هو اسم الشهرة وليس اللقب ، كما أن (ح٢٦٥٨-٢٥) أي حديث رقم ٢٦٥٨ – الرواية رقم ٢٥ .

٦. إذا كانت الطبعة المقتبس منها بدون تاريخ أشير إلى ذلك بعد ذكر لقب المؤلف برمز (د.ت). مثال: وقد بين رضا – ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م رحمه الله تعالى – (د. ت).

٧. إذا كان الاقتباس لنقاط مرقمة أذكر رقم المجلد والصفحة بعد سنة النشر. مثال: قال محمد قطب (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م، ج ٢، ص ٣٣) ما يلي:-

أ-

ب-

٨. ان كان الاقتباس من عدة صفحات متالية أذكر رقمي الصفحة الأولى والأخيرة وبينهما شرطة؛ مثال: (ص ص ١٥ – ٢٠)، أما إن كان من صفحات متفرقة فأذكر أرقام الصفحات وبينهما فاصلة؛ مثال: (ص ٣٤،٢٠،١٥).

٩. إن كان الاقتباس من مصدر بواسطة ولم أتمكن من الرجوع للمصدر فإنني أوثق النص بالمصدر المقتبس منه (الواسطة). مثال: يرى **Abraham Maslow** (في الكيلاني، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م): ~ النص المقتبس { (ص ٢٢٩).

١٠. إن أدرجت داخل النص المقتبس كلاما مني جعلته بين قوسين مربعين [. .].

١١. إن كان الاقتباس من مصدر مؤلف من قبل هيئة علمية فإنني أذكره باسمه دون جهة النشر. مثال: وفي المعجم الوجيز (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ~ النص { (ص ٦٢٣).

مصطلحات ومفاهيم الدراسة

احتوت الدراسة على عدد من المصطلحات والمفاهيم مما يستدعي توضيحها وهي:-

أولا : نظام الإسلام في التربية

وهو الذي حدد أبو صالح (١٤١٦هـ-١٩٩٥م ، ص ص ٧٨٤-٧٨٥) مفهومه في النقاط التالية :-

١. النظام التربوي الذي جاء به الإسلام ليكون أداة التغيير الثقافي والاجتماعي في جميع المجتمعات البشرية ، وأداة صياغة الإنسان وتوجيه ورعاية جوانب نموه بما ينسجم مع فطرته... .

٢. وهو النظام التربوي الذي فرض الله على المسلمين أن يربوا أنفسهم وأولادهم عليه ، ويوجهوا أهاليهم ويرعوهم في ضوئه دون غيره من الأنظمة التربوية الكافرة الملحدة ، أو العلمانية اللادينية المنحرفة .

٣. وهو النظام التربوي الذي افترض الله على حكام المسلمين ، والقائمين على شؤون التربية والتعليم ومؤسساته المباشرة وغير المباشرة أن يعملوا على تحقيق غاياته وأهدافه ، من خلال تلك المؤسسات التربوية ومناهجها وأنظمتها وتطبيقاتها .

ثانيا :الهدف التربوي العام

أوضح الخطيب (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) - بعد أن استقرأ عددا من معاجم اللغة العربية وقواميسها - أن المعنى اللغوي للهدف في مجمله يعني : ~ الغاية ، أو المرمى ، أو الغرض ، أو البغية ، أو القصد الذي نسعى للوصول إليه { (ص ٢٠) . وتأسيسا على هذه المعاني ، إضافة إلى إدراكه أن وظيفة التربية الأساسية هي تغيير الأفراد إلى الأفضل ، ذكر جملة من التعريفات للهدف التربوي . ولكن لما كانت هذه الدراسة تدور في فلك الأهداف العامة للتربية والتي تأتي في المستوى الأول ضمن تصنيفات الأهداف التربوية ، لذا كان بيان تعريف « الأهداف التربوية العامة » على وجه التحديد مقصود لذاته ، وقد عرفها الخطيب (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) بأنها : ~ عبارات عامة ، ترسم الصورة المستقبلية للفرد في ضوء نظام قيمي واجتماعي معين وتصاغ هذه العبارات بشكل شامل وبصورة غير إجرائية { (ص ٥٤) .

ثالثا :السنن الإلهية

يرى زيدان (١٤١٣هـ - ١٩٩٣م) أن السنن الإلهية هي ذلك القانون العام الدقيق الثابت الصارم الذي لا يخرج عن أحكامه شيء في هذا العالم بكل ما فيه ومن فيه من نبات وجماد وحيوان وإنسان وأجرام سماوية ، وما يصدر عن هذه الموجودات وما يتعلق بها وما يحل فيها ، وما يقع من حوادث كونية كنزول المطر وهبوب الرياح ، وثوران بركان وتعاقب الليل والنهار ، وما يحصل للإنسان من أطوار خلقه وتكوينه في بطن أمه وما يحدث له وللأمة من

شقاء وسعادة ورفعة وسقوط وعلو وانحطاط وقوة وضعف وبكاء وفناء ونحو ذلك ، فكل ذلك الذي تقدم ذكر وجوده وحدوثه في العالم لا يقع صدفة ولا خبط عشواء وإنما يقع ويحدث وفق ذلك القانون العام ، وله وجهان ؛ الأول : هو الذي تخضع له جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية ، ويخضع له كيان الإنسان المادي . والثاني : هو الذي يتعلق بخضوع البشر له باعتبارهم أفرادا وأمما وجماعات بمعنى خضوع تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا ، وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم وفقا لأحكام هذا القانون بوجهه الثاني .

وستتناول هذه الدراسة الوجه الثاني من هذا القانون العام باعتبار تعلقه بالإنسان الذي هو موضوع التربية ، إضافة إلى ذلك أن هذه الدراسة لن تتناول جميع هذه السنن أو القوانين وإنما ستقتصر على بعض السنن المتعلقة بقضايا «التغيير» و «التمكين» و «التدافع الحضاري» .

إن هذه القوانين الإلهية أشبه ما تكون بالقوانين في العرف العلمي ، والتي تطلق كما يقول وافي (١٤٠٤هـ-١٩٨٤م) على : ~ الأصول العامة التي تبين ارتباط الأسباب بمسبباتها والمقدمات بنتائجها اللازمة ؛ أو بعبارة أخرى : التي تنبئ بحدوث نتائج معينة لازمة إذا حدثت أسباب خاصة وترجع النتائج الحادثة إلى أسبابها { (ص ٢٠٨) . ولذلك يمكن صياغة

السنن الإلهية على شكل معادلات تلازميه تبرز نوعا من العلاقة السببية ، ويَبِينُ فيها اطراد الحكم الإلهي في متماثلين إيجابا وسلبا ، فتكون بذلك في صورة « قانون » [١٢] .

رابعا :التدافع الحضاري

التدافع بين الحضارات أمر حتمي لازم ، فهو يشكل ظاهرة مستمرة ، فكل حضارة تسعى إلى الهيمنة والتمكين والغلبة على الحضارات الضد ، ودعوى التعايش بين هذه الحضارات تحت منظور الإنسانية المشتركة دعوة نظرية مجردة عن الواقع ، يشهد لذلك الحروب المتعددة على مر تاريخ الحضارات .

وهذه الظاهرة أطلق عليها سفر (١٤٠٩هـ) « ظاهرة الضغط الحضاري » وعرفها بأنها : ~ وجود حضارة ضاغطة ، ومجتمع مضغوط ، وميل حضاري GRADIENT { (ص٢٦) .

وبمدافعة المجتمع المضغوط الأقل حضارة للمجتمع الحضاري الضاغط تتشكل ظاهرة « التدافع الحضاري » ، حيث يعمل المجتمع المضغوط على حماية خصوصيته الحضارية ، وتأخذ هذه الحماية في رأي سفر (١٤٠٩ هـ) شقين : ذاتي وخارجي (ص ص ١٢٠ – ١٢٣) أسقطهما على مدافعة الأمة المسلمة لحضارة العصر على النحو الآتي :

[١٢] لقد أبدع أمزيان (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) في شرح الصيغة القانونية للسنن الإلهية في مبحث « أهمية الوحي في صياغة القوانين الاجتماعية » مع ذكره نماذج منها (ص ص ٢٨٢–٢٩٩) .

- أما الشق الذاتي : فيعني به أن يتسم الفرد ، بأعلى سمات الحرص ، واليقظة والتبصر ؛ حتى يحمي مجتمعه ، ويحرس المنجزات الحضارية لأمته ، وحتى يظل التجاوب الواعي منه لكل ما يمر به مجتمعه من تحولات وتغيرات ، ذا أثر متجدد ، ومردود فعال ، يفرض حول المجتمع سياجا من الضمانات ، لحماية قيمه الصالحة ، من الذبول والزوال .

- أما الشق الخارجي : فيلعب دورا مهما في درء الأخطار القادمة من وراء الحدود بجميع أشكالها ، وفي منعها من غزونا ، والتسلل إلينا من خلف الثغور . وهذا أمر يجب أن يعنى بالقدرة على بناء أنظمة منيعة ، وأجهزة دفاع قوية ، تذود عن حمى المنجزات الحضارية كلها : عسكريا ، واجتماعيا ، ونفسيا ، وثقافيا ، وتربويا ، وسياسيا ، ...الخ .

خامسا :الأصالة والتأصيل

حدد الجمال (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) مفهوم الأصالة لغة واصطلاحا ، أما لغة : ~ الأصل : كرم النسب ، وأصل الشيء : أسفله وأساسه الذي يقوم عليه ، ومنشؤه الذي ينبت منه ، وما يبنى عليه غيره ، وما يستند وجود ذلك الشيء إليه ، فالأب أصل للولد ، والنهر أصل للجدول ، وجمعه أصول ، والأصالة في الرأي جودته ، وفي الأسلوب ابتكاره ، وفي النسب عراقته ، وأصلت الشيء تأصيلا : جعلت له أصلا ثابتا يبنى عليه { . أما في الاصطلاح : فقد بين أنه من المصطلحات الحديثة في الفكر الإسلامي ثم نقل عدة نماذج من التعريفات الحديثة له ، وقد قرر عودتها في النهاية إلى مدلوله اللغوي في أغلب الأحيان منها

تعريف القرضاوي : ~ الأصالة هي : ضرورة العودة إلى الإسلام عقيدة وشريعة ، قيما وأخلاقا ، وثقافة ، وحضارة ، لنسعد في دنيانا ، ونفوز في أخرانا { (ص ص ٤٣١-٤٣٢) .

وهناك جملة من المصطلحات الحديثة ذات العلاقة بمصطلح « التأصيل والأصالة » ، مثل مصطلحات « الأسلمة » و « التوجيه الإسلامي » و « العودة إلى التراث » و « الصياغة الإسلامية » ، وتستخدم هذه المصطلحات - في الأغلب - مع قضايا العلم والمعرفة ، وجميعها ذات مدلول واحد تقريبا يتضمن الدعوة للعودة إلى أصول الإسلام وهما الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة وإحلالهما موضع الصدارة في التوجيه والإرشاد في كل مناحي الحياة : السلوكية والعلمية والعملية ...الخ .

وفي قضايا التربية استخدم أبو صالح (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) مصطلح « أسلمة التربية » وحدد مفهومها بأنها : ~ العمل على العودة للأخذ بالتربية الإسلامية : أسسا وأصولا وعلوما وتطبيقا ، وتحديد ما يمكن أخذه من التربية بمعايير مستمدة من التصورات العقائدية للإسلام ، ومن غايات التربية الإسلامية ، وأهدافها ، وقيمها ، وأساليب التفكير فيها ، ومن حاجات المجتمعات الإسلامية ومتطلباتها التنموية { (ص ص ٧٨٨-٧٩٠) .

أما يالجن (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) فقد عرّف عملية التأصيل في مجال التربية بقوله : ~ بناء علوم التربية على نهج الإسلام { (ص ٣٦) .

سادسا : الثقافة الإسلامية

حدد الطريقي (١٤١٥هـ) مفهوم الثقافة لغة واصطلاحا ؛ أما لغة فأصلها مادة (ثقف) في معاجم اللغة العربية ومجمل معانيها الواردة في لغة العرب :

أ . الحذق والفهم. ب . سرعة التعلم.

ج. التسوية. د . التأديب والتهذيب.

أما اصطلاحا فقد تطور مفهوم الثقافة في استعمالات المحدثين والمعاصرين وأخذ معاني واسعة وتعريفات عدة ولكن يمكن القول أن الثقافة ~ هي الجانب الفكري في حياة الفرد والأمة؛ علما ومعرفة، وتصورا وعقيدة{ (ص ص ١١–١٤) . وهو المفهوم المصطلح عليه في هذا البحث.

الدراسات السابقة

البحث العلمي حلقات متصلة متشابكة لا تصدق عليه مقولة التثبيط بأن السابق لم يترك للاحق شيئًا ، فالعلم لا منتهى له ، وعلم البشر محدود . ولذلك فإن من الأهمية بمكان تحديد موقع أي عمل علمي في مسيرة البحث العلمي ، ولذلك قمت بالاتصال « بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بالرياض » و « مكتبة الملك فهد الوطنية بالرياض » و« المعهد العالمي للفكر الإسلامي بأمريكا » و « مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي » ، إضافة إلى تتبع المكتبة التربوية من خلال بعض الكشافات الحصرية ، والدوريات المتخصصة ، والأساتذة المتخصصين ؛ فأسفر التقصي عن عدم وجود دراسة علمية أكاديمية

تربوية سابقة عملت على تحديد أهداف نظام الإسلام في التربية في ضوء السنن الإلهية ، إلا أنني وجدت جهودا سابقة وظفت السنن الإلهية في تناولها التربوي ومن زوايا أخرى غير الأهداف التربوية ، ويمكن اعتبار هذه الجهود بأنها « دراسات تربوية سابقة » وسأستعرض منها ثلاث دراسات فقط ، هي الوحيدة التي وقفت عليها ، إضافة إلى ذلك فقد وجدت جهودا سابقة كثيرة تناولت السنن الإلهية ولكن من منظور تقريري تفصيلي شارح لها ، تلمسها من خلال المصادر الإسلامية ودراسة التاريخ وتحليل أحداثه ، وهذه الجهود يمكن اعتبارها «دراسات تأصيلية سابقة » . وسأستعرض منها دراسة علمية واحدة فقط لأنه وردت فيها إشارات سريعة ومجملة ربطت بين السنن الربانية والأهداف التربوية .

ولتحديد موقع هذه الدراسة يجدر مراجعة الدراسات السابقة – التربوية والتأصيلية – والتعليق على كل دراسة بما يبين إسهاماتها في الدراسة الحالية .

الدراسة الأولى

جهد علمي غير منشور ، لإكمال متطلبات نيل درجة الماجستير ، قام به : مدهش علي خالد أحمد – (١٤٠٩هـ–١٩٨٩م) بعنوان : **«الأهداف التربوية في القصص القرآني»** بإشراف الدكتور محروس سيد مرسي تقدم به إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة .

وهدف فيه الباحث إلى توضيح طبيعة الأهداف في التربية الإسلامية ، وخصائصها وأنواعها ، والتعرف على مكانة القصة بين أساليب التربية الإسلامية ، والدور الذي تؤديه في تحقيق الأهداف التربوية الإسلامية من خلال القصص القرآني .

أما منهجه في البحث فقد اتبع فيه أسلوب تحليل المحتوى ، والمنهج الاستنباطي . وقد اشتمل البحث على خمسة فصول بالإضافة إلى الفصل التمهيدي ، وتتضمن ما يلي :-

الفصل التمهيدي : ويتضمن المقدمة ، وموضوع البحث ، وتساؤلاته ، وأهدافه ، وأهميته ، ومنهجه ، والدراسات السابقة .

الفصل الأول : ويشمل مفهوم الأهداف ، ومصادرها ، وخصائصها ، وتحديدها ، وأنواعها ، وصياغتها .

الفصل الثاني : ويشمل القصة القرآنية ، ومفهومها في الأدب ، وفي القرآن الكريم ، وواقعها ، ومميزاتها من حيث الصياغة والمضمون ، وأنواعها في القرآن الكريم .

الفصل الثالث : ويتضمن مكان القصص القرآني بين الأساليب التربوية الأخرى .

الفصل الرابع : وقد أشتمل على الأهداف التربوية في القصص القرآني .

الفصل الخامس : ويتضمن النتائج والتوصيات .

وقد أوصى الباحث بجملة من التوصيات منها :-

١ . أن يقوم المسؤولون عن تخطيط المناهج ، وطرق التدريس ، بالتأكيد على الأخذ بالأسلوب القصصي القرآني في ضوء أهداف التربية الإسلامية .

٢ . أن تسهم وسائل الإعلام ، وخاصة من خلال برامج الأطفال في تناول القصص القرآني ، بما يبرز الأهداف التربوية الإسلامية المتضمنة فيه .

وبتأمل هاتين التوصيتين نجد أنهما تؤكدان على دور كل من السياسة التعليمية ، والسياسة الإعلامية في تحقيق أهداف التربية الإسلامية ، وأنه من المهم جدا تآزر كافة مؤسسات الدولة المسلمة على ذلك .

وعندما نتساءل عن موقع السنن الإلهية والأهداف التربوية المحددة في ضوئها في دراسة الباحث ؟ .

نجد أن فصول الدراسة الخمسة لم تتناول « السنن الإلهية » مع أن « القصص القرآني » مظنة تقرير تلك السنن ، إلا أن الباحث تناول القصص من بعد آخر هو التعرف على مكانها بين أساليب التربية الإسلامية والدور الذي تؤديه في تحقيق أهداف التربية الإسلامية من خلالها .

أما تحديد الأهداف التربوية والتي تناولها في الفصل الأول من الدراسة فهو محصور في بيان أهمية تحديدها باعتبارها جزء من عملية التخطيط التربوي .

ولذا ستفيد دراسة الباحث – إن شاء الله – في كتابة الفصل الأول من هذه الدراسة وهو بعنوان : « الأهداف التربوية العامة » .

ومن المعلوم أن الدراسات التربوية تتباين باختلاف المحور التربوي الذي تتناوله ، فالنظام التربوي له محاور وأبعاد عدة منها : مصادره ، وأسسه ، وأساليبه ، وأهدافه ، ومؤسساته .

وهذه الدراسة عنيت بمحور أهداف نظام الإسلام في التربية ، وعلى وجه الخصوص تحديد أهدافه في ضوء السنن الإلهية المتعلقة بقضايا «التغيير» و «التمكين» و «التدافع الحضاري» .

في حين أن دراسة الباحث السابقة كان محورها أساليب نظام الإسلام في التربية ، والذي يندرج ضمنه « أسلوب القصة » .

الدراسة الثانية

جهد علمي قام به : النحلاوي ، عبد الرحمن – (١٤٠٩هـ–١٩٨٩م) ، بعنوان : « التربية بالآيات » ، ط ١ ، دمشق – سورية : دار الفكر .

وهي من سلسلة « من أساليب التربية الإسلامية » والتي يقوم المؤلف على إخراجها وصدر منها « التربية بالعبرة » و « التربية بضرب الأمثال» .

ويهدف المؤلف من إعداد سلسلته تلك إلى معرفة الأساليب التربوية في القرآن الكريم والتي تربى عليها جيل صدر الإسلام (ص ١١) .

أما في كتابه «التربية بالآيات» فيهدف إلى : ~ طرح رؤية تربوية لأسلوب القرآن في عرض الآيات الكونية والتاريخية { (ص ٨) من خلال آياته — المقطع من القرآن الكريم — التي : ~ تحيط الإنسان كالسماوات والأرض والجبال ، واختلاف الليل والنهار والبراكين والزلازل ، وأمواج البحار والمحيطات ، والفلك التي تجري في البحر ، وما وهب الله الإنسان من سمع وبصر وقلب يعقل الحقائق . . . ، وكالرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض . وغيرها مما لا يحصيه إلا خالقه . وقد جمعت كلها في قوله تعالى : ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَـٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٥٣ ﴾ [فصلت ٤١/٥٣] { (ص ٣٢) . وهذه الآيات من القرآن الكريم هي التي سيتناولها ~ التحليل التربوي في هذا الكتاب { (ص ٣٣) ، من أجل تجلية أسلوب «التربية بالآيات» فهو ~ يربي عقل الإنسان وسمعه وبصره ومشاعره، بالآيات على حسن الإدراك ، وعلى الاستبصار واستخدام الحواس وإرهافها ، لتوصله إلى معرفة مسبب الأسباب ، ومعرفة الحق في كل النتائج والأسباب { (ص ٣٧–٣٨) ، ولذلك عرض المؤلف أسلوب «التربية بالآيات» عرضا تحليليا نفسيا تربويا ليبين ما فيه من (استدلال) و (استبصار) مرورا باستشعار المشكلة ، فتحديد جوانبها ، فحلها ، فتعميم الحل (ص١٠) ، ولهذا الأسلوب التربوي طرق وأشكال قام المؤلف بتصنيفها كما وردت في القرآن الكريم على ثلاثة

أسس هي : أساس أسلوب العرض ، وأساس الدلالة ، وأساس الموضوع (ص ١٠) ، وذكر تحت كل أساس نماذج من آيات القرآن الكريم تدل عليه وحللها تحليلا تربويا ، ولذلك لم يكن استقراء المؤلف لآيات القرآن الكريم مستوعبا لجميعها ، وإنما يكفيه منها نماذج محددة تدل على الأساس التصنيفي الذي اعتمده بما يبرز أسلوب « التربية بالآيات » .

والتساؤل القائم : ما موقع السنن الإلهية ، والأهداف التربوية المحددة في ضوئها في دراسة المؤلف ؟ .

قرر المؤلف ابتداء أن من الآثار التربوية لأسلوب « التربية بالآيات » تربية العقل على الإيمان بالسنن الكونية والقوانين الإلهية الثابتة (ص ٥٦) ، وكذلك يحث الإنسان على البحث عن السنن والقوانين الاجتماعية والتاريخية (ص ٥٨) . ثم أثبت المؤلف هذا الأثر التربوي عند تصنيفه لأسلوب التربية بالآيات على أساس موضوع الآيات القرآنية حيث قسم آيات الله في الآفاق إلى مجموعتين هما : الآيات الكونية ، والآيات التاريخية (ص ١٩٣-١٩٤) . وفي كلا المجموعتين تجري سننه تعالى المطردة .

أما آيات الله الكونية فقد تناولها المؤلف من زاوية أسس نظرة الإسلام إلى الإنسان والكون (ص ٢٠٧) فقط ومنها :

- مبدأ تعليل الحوادث الكونية ، والبحث عن أسبابها وغاياتها ، ونواميسها (ص ٢٠٨) .

- خضوع الكون لسنن سنها الله وفق مقادير قدرها (ص ٢١١) .

- وحدة نظام الكون نتيجة لازمة لتوحيد الخالق (ص ٢١٣) .

بمعنى أن وحدة نظام الكون ووحدة قوانينه وانطباقها في كل المتشابهات ، كل ذلك إنما نشأ من وحدة الخالق المسير المدبر لأمور هذا الكون ، والمخطط الحاسب لكل نواميسه وسننه (ص ٢١٩-٢٢٠) .

أما الآيات التاريخية وهي التي تؤخذ من أخبار الأمم السابقة البائدة (ص ٢٢١) فقد قرر المؤلف أن لها أهدافا تربوية إسلامية ومنها : الدلالة على سنن الله في الأقوام والحوادث والمواقف التاريخية ، لتترك أثرها في النفوس ، وليُفَسّر التاريخ في ضوئها (ص ٢٢٦) ، ثم ذكر نماذج منها متبعا كل واحدة منها بالدلالات التربوية المستنبطة منها ، وهي :-

- سنة الله في إهلاك المفسدين بسبب فسادهم وظلمهم عندما يقوم الصراع بينهم وبين دعاة الحق (ص ص ٢٢٧-٢٣١) .

- أن الله لا يعذب أهل القرى بذنوبهم إلا بعد أن ينذرهم ويرسل إليهم رسولا يبلغهم أوامر ربهم وينصح لهم ويدلهم على الصراط الذي يجب سلوكه في هذه الحياة (ص ص ٢٣١-٢٣٦) .

- أن الله جعل لكل أمة أجلا مقدرا عنده ، فإذا انتهى أجلها حل فناؤها ولا يمهلها (ص ص ٢٣٦-٢٣٩) .

- نصر الله لأنبيائه وللمؤمنين الموحدين المجاهدين حقا وقهره لأعدائه الكافرين المسرفين (ص ص ٢٣٩-٢٤٣) .

وبناء على ما سبق يلاحظ أن الحيز الذي شغلته « السنن الإلهية» في دراسة النحلاوي محدودة – مع أنها كثيرة جدا – ، وذلك لأنها ليست المحور الذي تدور حوله دراسته ، وإنما هي جزء مما تدل عليه آيات القرآن الكريم وإن كانت هي القضية الرئيسة التي يهدف خطاب الله تعالى إلى التوجيه إليها . فمحور دراسته هو أسلوب « التربية بالآيات » ؛ ولذلك نجده عندما يستعرض تصنيف آيات القرآن على أساس الدلالة يذكر منها الآيات الدالة على القدرة والقوة الإلهية (ص ص ١٢٥-١٤٢) فيجمع لها نماذج من الآيات القرآنية بهدف التدليل على القدرة والقوة الإلهية فحسب ليبين أسلوب « التربية بالآيات » ؛ مع أنها تتضمن توجيهات قوية إلى « السنن الإلهية » خصوصا الآيات الدالة على قدرة الله على الإعزاز والإذلال والنصر والخذلان (ص ص ١٣٠-١٣٤) .

ولذا فليست « السنن الإلهية » هي محور دراسته وإن ورد شيء منها في كتابه أثناء عرضه لأسلوب « التربية بالآيات » ، وهذا الفارق بين دراسة النحلاوي وهذه الدراسة

التي تهدف إلى توظيف «السنن الإلهية في التغيير، والتمكين، والتدافع الحضاري» بعد استقراء واسع لها في نصوص الوحي لتحديد أهداف نظام الإسلام في التربية على ضوئها .

ولكن من باب الاعتراف بالفضل، فإن لدراسة النحلاوي فضل السبق في إبراز «السنن الإلهية» وتناولها إجمالا من منظور تربوي وإن كان من خلال تقرير أسلوب «التربية بالآيات» ، بل وجدت فيها حثا غير مباشر دفعني إلى أهمية إفراد «السنن الإلهية» بدراسة تربوية مستقلة وبغرض تحديد الأهداف في ضوئها .

الدراسة الثالثة

جهد علمي قام به : سيد ، فتح الباب ، عبد الحليم (١٤١٢هـ-١٩٩١م) بعنوان : «الغايات والأهداف التربوية في القرآن والسنة» ، وهو أحد بحوث المؤتمر التربوي الذي عقد في عمان بالمملكة الأردنية الهاشمية بالتعاون بين كل من : جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية ، والمعهد العالمي للفكر الإسلامي ، وجامعة اليرموك ، وجامعة مؤته . وذلك في الفترة من ٢-٥ محرم ١٤١١هـ الموافق ٢٤-٢٧ تموز (يوليو) ١٩٩٠م وكان عنوانه «نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة» ، وقد نشرت أبحاثه في مجلدين بعنوان : «بحوث المؤتمر التربوي» .

يهدف الباحث إلى تحديد الغايات والأهداف التربوية في ضوء القرآن والسنة منطلقا في دراسته من نظرة تفرق بين غايات التربية وأهدافها . فالغايات عنده هي الهدف من

الأهداف ، وهي النقطة التي تلتقي عندها جميع شؤون التربية ، ومنها تتفرع أحوالها ، ويتفرع من هذه الغايات أهداف تابعة ثم أهداف فرعية بالضرورة ، وقد تختلف هذه الأهداف الفرعية باختلاف العصور والمجتمعات وفق تصورات هذه المجتمعات وظروفها ، ومع ذلك تظل الغايات هي هي ، ولذلك يرى أن الأهداف تتدرج فيما تحققه للفرد لتمكنه من تحقيق الغايات (ص ١٣٠-١٣١) .

إلا أن الباحث لم يحدد المنهج الذي سيستخدمه في استمداده للغايات والأهداف التربوية من القرآن والسنة ، حيث نجده يقرر مباشرة أن غاية غايات التربية هي : « الحرية » ثم يأخذ في تناول أبعادها ومقتضياتها ؛ فالحرية – حسب تصوره – مسؤولية فردية كما أنها مسؤولية جماعية (ص ١٤٣) ، ولكل منهما غايات فرعية أو كما سماها : « غايات وسلية » ويعني بها ~ غايات التربية التي تؤدي إلى تحقيق غاية الحرية فهي وسيلة إليها { (ص ١٤٣) وقد عدد جملة منها .

وبالتأمل في عمل الباحث يبدو كأنه جهد استنباطي مبني على استقراء مسبق لنصوص القرآن والسنة للوقوف على عللها ومقاصدها حيث نجده يقرر مباشرة غايات وأهداف التربية دون مقدمات .

أما عن موقع السنن الإلهية في عمل الباحث فليس له وقفة أمامها إلا عند حديثه عن غاية البحث عن العلم أو تعليم الفرد كيف يتعلم (ص ١٦٥-١٦٦) حيث عدها مما ينبغي أن

يتعلمه الفرد . وحسبي في عرض دراسة الباحث توضيح ذلك مما يبين الفرق بين دراسته وهذه الدراسة ، فدراسته هي أقرب ما تكون محاولة لتحديد الغايات والأهداف التربوية في ضوء مقاصد وعلل نصوص القرآن والسنة ، بينما هذه الدراسة تروم الوقوف أمام النصوص السننية الواردة فيهما والإفادة منها في تحديد الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية .

الدراسة الرابعة

الدراسات التأصيلية التي تناولت السنن الإلهية كثيرة لأهميتها ، فمنها ما كان دراسات علمية أكاديمية ، ومنها ما كان جهودا مستقلة ظهرت من خلال مؤلفات أو مقالات ، وسأستعرض منها الدراسة العلمية التالية لربطها بين موضوع السنن الإلهية والأهداف التربوية .

فهي دراسة علمية غير منشورة لنيل درجة الدكتوراه في الثقافة الإسلامية قام بها : راشد سعيد يوسف شهون (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) بعنوان : « السنن الربانية في التصور الإسلامي » بإشراف الأستاذ الدكتور طاهر راغب حسين ، وقد تقدم بها إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وذكر الباحث أن من الأسباب التي دعته إلى الكتابة في موضوع السنن ما يلي (ص ص: ح ـ ي) :-

١ . أن دراسة السنن الربانية يحتاج إليها المربي والمصلح والعالم والمفكر ، وهي تعطي لهؤلاء جميعاً مشكاة يستضيئون بها في دراساتهم وأبحاثهم ، وتعينهم على إدراك العلاقات السليمة التي تربط بين الأحداث ، وإيجاد الحلول المناسبة في معالجة مختلف المشكلات العلمية والاجتماعية والتربوية ، كما أنها تضعهم أمام التصور الصحيح للسنن الكونية و الإنسانية والتاريخية والتشريعية . كما أنها مدخل جديد للدعوة الإسلامية ، يقود كثير من العلماء إلى الإسلام ويزيدهم إيماناً بالله .

٢ . عدم تركيز بعض المؤسسات التربوية في العالم الإسلامي ، على مفهوم السنن الكونية وتفسيرها في ضوء أهدافها ، حيث اقتصرت على تعليم الدارسين مظهر الإعجاز اللغوي والأدبي ، ونظرت بحذر وريبة إلى أية دعوة تبرز مظهر الإعجاز الكوني للقرآن الكريم ، الذي يشكل أهمية قصوى في هذا العصر ، وتركت الباب مفتوحا لنماذج المؤسسات التربوية الغربية في أن تقدم العلوم الكونية ، وتشرح قوانين الوجود ، متجاهلة أبعاد العناية الربانية ومفهوم التسخير ، من خلال المنظومة الشاملة لحركة الكون والإنسان والحياة ، فمنعت ولادة الإيمان في نفوس الأجيال ، وجعلت علاقة الإنسان بالكون علاقة مفككة .

لهذه الأسباب وسواها يرى الباحث أن الأمة المسلمة : ~ بحاجة إلى إحياء فقه السنن الربانية ، وإعادة الرؤية الإسلامية لتصوره الصحيح ، كما جاء في القرآن والسنة ، وفهمه الصحابة والسلف ، وذلك ليمارس المسلم (استخلافه) الحضاري للطبيعة التي (سُخرت) له وفق تعاليمه ومعطياته { (ص : ج) .

لذا قام بإعداد دراسته هذه وجعلها في ثلاثة أبواب تضمنت ما يلي :-

الباب التمهيدي – وقد اشتمل على مدخل وثلاثة فصول :-

أما المدخل : فحدد فيه بعض المصطلحات ، ثم عقب بالفصول الثلاثة متناولا فيها : أنواع السنن ، وخصائصها ، وثمراتها النظرية والعلمية ، وتاريخ التصور المادي للسنن وأسسه .

الباب الأول : وموضوعه السنن الربانية في الكتاب والسنة ، وفيه ثلاثة فصول تناول فيها : أسسها ، ومصادرها ومنهج القرآن والسنة في بيانها والإرشاد إلى كشفها ، وأثر المنهج الإسلامي في توجيه الفكر الإنساني لمسألة السنن ، ثم ذكر نماذج من السنن الكونية والتاريخية في القرآن والسنة .

الباب الثاني : وموضوعه استعراض نماذج من جهود المفكرين المسلمين في الكشف عن السنن وتطبيقاتها في الماضي والحاضر . خص منهم تراث : ابن تيمية – ت ٧٢٨هـ – ، وابن خلدون – ٧٥١هـ – ، وسيد قطب– ت ١٣٨٧هـ –، ومالك بن نبي – ت ١٣٩٣هـ– رحمهم الله تعالى جميعا .

لقد قصر الباحث جهده على إيضاح التصور الإسلامي للسنن الربانية ، وهو جهد موفق ، وتقديرا لجهده واعترافا بفضله ؛ فإن له السبق في الربط بين السنن الإلهية والأهداف التربوية حيث قرر أن من الثمرات النظرية لدراسة السنن الإلهية توظيفها في تحقيق الأهداف التربوية (ص : ص) ، وأكد هذه الثمرة في بعض توصياته منها (ص ص ١٠٦٧–١٠٦٩) :-

١ . العمل على إحياء المفهوم الصحيح للبحث العلمي والتقني في الإسلام وبلورة نظرية إسلامية في علم « السنن الربانية » وتقنياتها ، وتربية الجماهير المسلمة تربية علمية أصيلة تقوم على الإيمان بأن المنهج التجريبي الذي بواسطته يكشف عن السنن الربانية باختلاف أنواعها هو قرآني المنهج . وأن الأخذ به لتطوير الحياة وعمارة الأرض هو ضرورة إسلامية .

٢ . تطهير التاريخ الإسلامي من ألوان التزييف الاستشراقي والتحريف المفرط وتوجيه الأجيال المسلمة إلى أهمية السنن التاريخية ، وتدريبهم على معرفة الانتفاع بها ، وتزويدهم برؤية موضوعية سليمة لتاريخنا ، وقراءته قراءة صحيحة في ضوء شرعنا ، وأن يتخذ وسيلة لتخرج طلاب يمتلكون القابلية على استقراء الظواهر وربط الأحداث بالسنن وتحليل الوقائع ومقارنة بعضها ببعض لإدراك طبيعة السنن والقوانين التي تحكم نشاط الجماعات البشرية وتطور الحضارات وسقوطها والاستفادة من دروسه وعبره وعظاته في تحقيق الأهداف التعليمية والتربوية وفي فهم الحاضر ، والتخطيط للمستقبل بأقل قدر من الأخطاء .

إن ربط الباحث بين السنن الربانية والأهداف التربوية ، ودعوته للمسلمين بإيجاب :

~ الاهتمام بهذه السنن ، وبذل كل ما يملكون في سبيل الكشف عنها ، واستخدامها في التطبيقات العلمية والعملية مرضاة لله وإعزازا لدينه وخدمة للإسلام والمسلمين حتى تخرج الأمة الإسلامية من منطقة الجاذبية الغربية وتمتلك حريتها وعزتها وكرامتها { (ص ١٠٦٧) ،

ليشحذ الهمة إلى أهمية إفراد السنن الإلهية بدراسة علمية مستقلة من منظور تربوي . وهذا ما تأمله هذه الدراسة التي اُستعرضت دراسة الباحث من أجلها . ولتحقيق تلك الثمرة التي ذكرها .

الفصل الأول

الأهداف التربوية العامة

الفصل الأول
الأهداف التربوية العامة

بين يدي الفصل

يستدعي الحديث عن الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية تقديم صورة واضحة عن مكونات « النظام التربوي » بهدف إبراز دور الأهداف ومكانتها منه .

وبما أن هذه الدراسة تروم تحديد أهداف نظام الإسلام في التربية ، فذلك يتطلب صياغة مفهوم « التربية » من منظور إسلامي؛ ولن يتسنى صياغته إلا بتجلية الخطوط العريضة لطبيعة « الإنسان » [١٤] من منظورها أيضا ، نظرا لكون إدراك كنه الطبيعة الإنسانية أساساً مهماً تبنى عليه معارف العلوم الإنسانية والاجتماعية ومنها « علم التربية» المستهدف للإنسان .

[١٤] من الدراسات القيمة في تناولها لطبيعة النفس الإنسانية مايلي : -الأصبهاني – ت ٥٠٢هـ رحمه الله تعالى - (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ، **تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين – الإنسان وجودا ، وقيمة، وغاية -** ، تقديم وتحقيق : د . عبدالمجيد النجار ، ط ١ ، لبنان – بيروت : دار الغرب الإسلامي . وأيضا ؛ العجمي ، أبو اليزيد – (١٤٠٤هـ -١٩٨٣م) ، **حقيقة الإنسان بين القرآن وتصور العلوم** ، مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي – كتاب دعوة الحق (٢٢) . وأيضا ؛ سرسيق ، إبراهيم ، محمد – (١٤٠١هـ -١٩٨١م) ، **النفس الإنسانية في القرآن الكريم** ، ط ١ ، السعودية – جدة : تهامة . وأيضا : الصباغ ، محمد ، لطفي – (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) ، **الإنسان في القرآن الكريم** ، ط ١ ، بيروت : المكتب الإسلامي .

ومما يجدر الالتفات إليه أن الحديث في هذا الفصل والذي يليه سيسلك أسلوباً تقريرياً بعيدا عن النقد والمقارنات ، مما يساعد على تقديم صورة واضحة عنهما تنعكس آثارهما على تيسير إدراك ما يرد في الفصول التالية لهما ، بالإضافة إلى كونهما بيانا للإطار النظري لموضوعهما حسب وجهة نظري .

أسلمة المصطلحات والمفاهيم

العلم حق مشاع لا يمنع عن طالبه! ، وواجب على المعلمين بذله لكل من يطلبه ، وبذلك أصبح العلم رحما بين أهله ، كما غدا تكافؤ الفرص التعليمية بين الأفراد مبدأ تعليميا بارزا ، ولقد جرت العادة في افتتاح دروس العلم تناول المصطلحات والمفاهيم بالتحديد والإبانة ، ويصاحب ذلك في الأغلب صعوبة تختلف في مقدارها حسب نوع المصطلح وميدانه ، مما أوجد في وقتنا المعاصر ما يسمى « بأزمة المصطلحات والمفاهيم» ، تلك الأزمة الحادثة بسبب عدم مراعاة أن تلك المصطلحات والمفاهيم إنما بنيت ضمن إطار عقدي ومعرفي خاص ، وبرصيد لغوي محدود ، وخبرة متراكمة ، لحضارات متباينة ذات خصوصيات مختلفة .

وللخروج من تلك الأزمة ، يجب علينا بصفتنا مسلمين ، لنا خصوصية حضارية مسترشدة بهدي السماء نستعين بها على أداء أمانة الاستخلاف في الأرض[١٥] وعمارتها ، يجب علينا أن نعيد صياغة تلك المصطلحات والمفاهيم[١٦] بعد دراستها وإدراكها ثم نقدها بتأنٍ ، لنتمكن من إدراجها ضمن إطارنا العقدي والمعرفي الخاص ، وبلغتنا الخاصة لغة القرآن الكريم ، ونفيد من تراكم الخبرة البشري العام الذي شكلها ، لاسيما وأن تقنية الاتصال الحديثة

[٢] بري الميداني (١٤١٦هـ ß ١٩٩٦م) أنه لا يصح أن يقال : الإنسان خليفة عن الله في أرضه ، فهي مقولة باطلة ، وإنما هو خليفة في الأرض أو مستخلف فيها ؛ بمعنى أنه خلق وأُنزل إلى الأرض وتكاثر فيها واستعمرها جيلا بعد جيل ، وخلفا عن سلف فيخلف بعضهم بعضا فيها .

[٣] أنشأت جامعة سيدي محمد بن عبد الله بالمغرب : ظهر المهراز ß فاس معهدا أسمته « معهد الدراسات المصطلحية » تحت مظلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، وعقد المعهد بالتعاون مع شعبة الدراسات الإسلامية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية : سايس ß فاس ندوة دولية بعنوان : « الدراسة المصطلحية والعلوم الإسلامية » في الفترة ٨-١٠ جمادي الثاني ١٤١٤هـ الموافق ٢٣-٢٥ نوفمبر ١٩٩٣م ودارت الندوة حول تسع محاور ، وصدر عنها أبحاث قيمة . ومن الدراسات القيمة أيضا في موضوع المفاهيم والمصطلحات والتي كانت نتيجة عمل دؤوب قام به فريق من الباحثين بإشراف الدكتور علي جمعة محمد والدكتور سيف الدين عبد الفتاح إسماعيل وبتكليف من المعهد العالمي للفكر الإسلامي استمر منذ ١٩٨٨م حتى نهاية ١٩٩٥م ونشره المعهد في جزأين عام ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م في طبعته الأولى بعنوان : « بناء المفاهيم - دراسة معرفية ونماذج تطبيقية » .

قربت بين أروقة علوم الحضارات ذات الخصوصيات المختلفة مما سيساعدنا على سعة الاستقراء والتتبع للمصطلحات والمفاهيم وظروف بنائها الزمانية والمكانية .

لقد كان لعلمائنا على امتداد تاريخ حضارتنا المبادرة في الاعتناء بالمصطلحات والمفاهيم وتصنيفات العلوم ، وبقيت مؤلفاتهم شاهدة على ذلك [١٧] ، بل إنها تحث علماءنا المعاصرين بمختلف تخصصاتهم العلمية على أداء واجبهم نحو المصطلحات والمفاهيم الوافدة إلينا والتي تم بناؤها خارج إطار الثقافة الإسلامية بأسلمتها والإفادة منها تحت مظلتها ، لاسيما ما كان منها متعلقا بالعلوم السلوكية والاجتماعية والإنسانية [١٨] ، والتي يعود الاهتمام بها على وجه الخصوص ، لأنها جعلت « الإنسان » – باني الحضارات – محور دراساتها وأبحاثها . وقد تنبه إلى ذلك العديد من المتخصصين ممن ينادون ببناء منهجية إسلامية [١٩]

[١٧] سرد النجار (١٩٩٢م) لائحة تحتوي على أهم المؤلفات المعنية بعلم تصنيف العلوم ومصطلحاتها ومفاهيمها ، وقد ساقها في نسق تاريخي فيه دليل على ما ذكرت (ص ص ٣٧–٣٨) .

[١٨] حدد أبو سليمان المقصود (١٤١٢ هـ ß ١٩٩٢م) بالعلوم السلوكية بأنها علم النفس وعلم الاجتماع وعلم الإنسان ، أما العلوم الاجتماعية والإنسانية فهي التربية والسياسة والاقتصاد وعلم الإدارة والإعلام (ص ١٨٨) .

[١٩] من أبرز المؤسسات المعنية بالمنهجية الإسلامية « المعهد العالمي للفكر الإسلامي » بأمريكا ، ويُصدر عددا من السلاسل العلمية منها « سلسلة المنهجية الإسلامية » ، كما عقد مؤتمره العالمي الرابع تحت عنوان : « المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية » في السودان في الفترة ١٥–٢٠

معاصرة تستلهم الماضي وتعايش الحاضر ويتطلعون إلى صناعة الحياة واستشراف المستقبل بها ، ومنهم النقيب (١٩٩٦م) قائلا عن نفسه : ولقد أدرك الباحث من خلال إشرافه العلمي على بعض الرسائل التربوية خطورة أن ينقل الباحث مفاهيمه من وراء البحار دون أن يدرس تاريخ استخدام المفهوم ، وظروف اشتقاقه ومدى مناسبة هذا المفهوم لحقل دراسته ~ (ص٩٦) .

كما يؤكد ذلك أبو سليمان (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) أثناء تحديده مسيرة المعرفة الإسلامية وجهودها للبناء العلمي والشمولي مقرراً أهمية المفاهيم عند العمل على تحقيق إسلامية العلوم الاجتماعية والإنسانيةß ومنها علم التربية ß والتي تعتمد على إسلامية العلوم السلوكية ، حيث يقول :

> فإذا لم تقرر في هذه المجالات أولا المفاهيم والفرضيات الإسلامية ومقومات المنظور الإسلامي فلا سبيل إلى إسلامية كاملة صحيحة مستقيمة لأي علم منها . ولا بد للباحث من الوقوع في التناقضات ومن زلل الفهم والرأي وتعثر المشورة والحل ~ (ص١٨٨) .

! !

!

جمادي الأول ١٤٠٧هـ الموافق ١٥-٢٠ يناير ١٩٨٧م ، ونشرت أبحاثه في مجلدين عن الدار العالمية للكتاب الإسلامي بالرياض ؛ عدة طبعات .

لم تذهب دعوى الاعتناء بالمصطلحات والمفاهيم بأسلمتها وصياغتها تحت إطار الثقافة الإسلامية سدى، بل لقد استجاب لها ثلة من العلماء والمتخصصين ممن جبلوا على طبائع تنفيذية إيجابية تحمل هم الأمة ، فاستشعروا عظم المسؤولية عليهم فبادروا إلى أداء واجبهم ، حتى غدت جهودهم منارات هدى ، وصار وجودهم مقومات أمة ، قال عنها المصطفى ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي – ت ٢٩٧هـ رحمه الله تعالىß (١٤٠٨هـ–١٩٨٧م) : « مثل أمتي مثل المطر لا يدرى أوله خير أم آخره » (ح٢٨٦٩) وحكم عليه الألباني (١٤٠٢هـß ١٩٨٢م) بقوله : صحيح ~ (ج٥ ، ص٢٠٣، ح ٥٧٣٠) ومن الواجب الإفادة من جهودهم في أسلمة المصطلحات والمفاهيم ß مع قلتها حاليا — في هذه الدراسة التربوية التأصيلية لمتابعة المسيرة وللمساهمة في إعداد لبنات نظام الإسلام في التربية .

وبما أن رحى هذه الدراسة تدور حول الإنسان بهدف تحديد أهداف نظام الإسلام في التربية – النظام الذي يستهدفه – فإنه من المهم التعرف على المفاهيم المتعلقة بطبيعة هذا « الإنسان » من منظور الثقافة الإسلامية ، لأن ذلك سيساعد كما يقول محمد قطب (١٤٠٠هـ–١٩٨٠م) : على إنشاء نظم وأفكار وسلوك ومشاعر ، تتفق مع هذه الحقيقة [الطبيعة] ولا تصادمها ولا تتعارض معها ، وعلى تربية أجيال من الناس بمقتضى الفطرة الصحيحة كما خلقها الله ~ (ص ص ١١–١٢) .

كما يؤكد أهمية معرفة طبيعة « الإنسان » أحد علماء النفس في الكتلة الشرقية وهو سوبوتسكي ١٩٩٠م (في طه ، ١٩٩٥م) حيث يرى : أن الإحاطة الكاملة بماهية

الإنسان هي من ضرب العلم المطلق الذي لا يتسنى للإنسان ، وسواءً أن كانت المفاهيم عن طبيعة الإنسان صحيحة أو مغلوطة فإنها تحدد الطريقة التي نربي بها أولادنا ، ومن ثم نحدد بها مصيرهم ~ (ص ٧٣) .

إن الذي نستطيع الجزم به عن اعتقاد ويقين هو أن كل محاولة لفهم ماهية الإنسان في بُعدٍ عن الهدي الإلهي ستؤدي بالضرورة إلى مفاهيم مغلوطة وغير صحيحة ، ومن ثم فإن ما يشتق عنها من طرائق تربوية ستكون طرائق وعرة مضللة . وقد ضلت فعلا في ذلك أمم وحضارات أبرزت دراسات أخرى حالها ومآلها .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن معرفة طبيعة « الإنسان » ابتداء يتماشى مع المراحل المتابعة لمسيرة بناء المعرفة الإسلامية « للتربية » والتي حددها أبوسليمان (١٤١٢هـ ß ١٩٩٢م) على النحو التالي :

> إن جهود إسلامية مختلف العلوم الاجتماعية تتوقف كشرط مسبق على سلامة مفهوم الباحثين للفطرة والطبيعة الإنسانية ، وحركية العلاقات السلوكية [ومنها علم النفس] . فإسلاميتها خطوة أولى أساسية لإسلامية العلوم الاجتماعية الأخرى كالتربية والسياسة والاقتصاد ~ (ص ١٨٨) .

ما طبيعة " الإنسان " وحقيقته ؟

إن بسط الإجابة على هذا السؤال بالتفصيل سيطيل السياق ، ولكن يكفي بما يناسب المقام ذكر الخطوط العريضة لتلك الطبيعة أو فكرة عامة عنها ، من منظور الثقافة

الإسلامية ، ومن الحكمة أيضا قبول ما يتوافق معها من علوم الحضارات الأخرى لقول النبي ﷺ فيما رواه الترمذيß ت ٢٩٧هـ رحمه الله تعالى -(١٤٠٨هـß ١٩٨٧م) : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها » (ح٢٦٨٧) وقال عنه : هذا حديث غريب ~ (ج ٥ ، ص ٤٩) ، ورواه أيضا ابن ماجةß ت ٢٧٥هـ رحمه الله تعالىß (د.ت ، ح٤١٦٩) .

ومما يجدر التنبيه إليه أن تلك الخطوط العريضة هي في أصلها متداخلة ومتقاطعة ولكن من الأنسب إظهارها منفردة لنتعرف بها على طبيعة « الإنسان » بوضوح ، وأثبتها في البدء إجمالاً كما يراها محمد قطب (١٤٠٠هـß ١٩٨٠م ، ص ٣٣) مع إضافة ما يبدو ضروريا لإيضاحها ، ثم بعد ذلك ينال كل خط منها تفصيلا يجليه:-

١. أنه مخلوق متفرد .

٢. وهو مخلوق خطير الشأن في دورة الحياة [أي له دور مهم] .

٣. وهو مخلوق مزود بطاقات [وصفات خاصة] .

٤. وهو مخلوق مشتمل على نقطة ضعف [أي يعتريه الضعف في بعض الأحيان] .

٥. وهو مخلوق ذو طبيعة مزدوجة .

ولكي تكتمل الطبيعة الإنسانية وضوحا فمن المهم إضافة الخط التالي إليها :-

٦. وهو مخلوق ذو فطرة خيرة .

وفيما يلي شرح مضامين هذه الخطوط:

أولاً- مخلوق متفرد

تظهر دلائل تفرده من خلال معرفة وضعه بين سائر مخلوقات الله ﷻ ، وكذلك معرفة ما قدره الله له في نفسه .

أما تفرده في وضعه فيتجلى في تكريم الله له وتفضيله على غيره ، حيث يقول جلّ ذكره : ﴿ ۞ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[الإسراء ٧٠/١٧] ، كما أن الله ﷻ أسجد له ملائكته ، فقال سبحانه :! ﴿! وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِأَدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[البقرة ٣٤/٢] .

كما يتجلى تفرده في وضعه في تسخير الله له سائر الكائنات ، فقال سبحانه : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ﴾[الجاثية ١٣/٤٥] .

أما تفرده فيما قدره الله له في نفسه فيتجلى في إحسان صورته ، قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ

وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ [غافر ٤٠/٦٤] ، وفي ظلها يقول سيد قطبß ت ١٩٨٧ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـß ١٩٧٨م) معلقا على هذه الآية الكريمة :

> فأما الإنسان ذاته فمن حسن صورته هذه الهيئة المتفردة بين سائر الأحياء ؛ وهذا الأكمال من ناحية الأجهزة لأداء وظائفه جميعا في يسر ودقة ؛ وهذا التوافق بين تكوينه والظروف الكونية العامة التي تسمح له بالوجود والحركة في هذا الوسط الكوني كما هو كائن ؛ وذلك كله فوق خاصيته الكبرى التي جعلت منه خليفة في الأرض ؛ مجهزا بأداء الخلافة الأولى : العقل والاتصال الروحي بما وراء الأشكال والأعراض .
>
> ولو رحنا نبحث دقة التكوين الإنساني وتناسق أجزائه ووظائفه – بوصفها داخلة في قوله تعالى : ﴿ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ ﴾ [التغابن ٦٤/٣] – لوقفنا أمام كل عضو صغير ، بل أمام كل خلية مفردة ، في هذا الكيان الدقيق العجيب ~ (ج٥ ، ص٣٠٩٣) .

إن هذا التفرد الخلقي المادي الذي يتميز به الإنسان يؤكده العلم مؤخرا ، فهذا أبراهام ماسلو Bcsbibn !Nbtmpx! رائد علم النفس الإنساني (في الكيلاني ، ١٤١٧هـ ß ١٩٩٧م) عندما حدد الإطار الحديث الذي توصل إليه علم النفس عن الطبيعة الإنسانية أكد ما يلي :

> في داخل كل فرد طبيعة بيولوجية أساسية هي إلى درجة معينة طبيعية وجوهرية وهي غير قابلة للتغير .

> كل طبيعة داخلية هي جزء متميز في كل فرد من ناحية ، ومن ناحية أخرى هي مشتركة في الجنس الإنساني كله ~ (ص ٢٢٩)

بل إن تفرد الإنسان لا يقتصر على الجانب البيولوجي المادي الذي قدره الله له ، بل يمتد إلى بعده الآخر وهو « الروح » أو باصطلاح علماء النفس « الأنا » أو « الذات » أو « Fhp » ، وهذا ما يقرره بروفسور أكلز Fdhft F/K/ ß ١٩٧٧م – أحد أشهر أساتذة العلوم العصبية في هذا العصر (في طه ، ١٩٩٥م) بقوله : إن لكل إنسان إحساس ذاتي متفرد « بالأنا » ~ (ص٧٠) ، ويعلق طه (١٩٩٥م) على ما قرره أكلز بقوله : فبهذا الوجود المستقل تتحكم النفس الواعية في النشاط العصبي حسب اهتماماتها وأغراضها المتجددة في كل حين ~ (ص ٧٢) .

وسواءٌ أنسب هذا « الوعي » إلى « روح » الإنسان أم إلى « نفسه » كأن نقول : « الروح الواعية » أو « النفس الواعية » ، فإن الذي يهم هنا هو تفرد «الإنسان» عن سائر المخلوقات بهذا «الوعي» أو « الإدراك » وفي ذلك يقول الكردي (١٤١٢هـ ß ١٩٩٢م) :

> إن الميزة الأساسية التي فضل الله بها الإنسان عن سائر المخلوقات ، أنه كائن عاقل أو مدرك أو مفكر ~ (ص ٥٩٩) . ثم يقرر بعد ذلك : أن الإدراك وظيفة الروح سواءٌ كان الإدراك عقليا أو حسيا ، ولا يمكن حصر الإدراك بصورة دقيقة في جزء معين دون غيره في الإنسان ، لأن الإنسان مخلوق من مادة وروح

، وتعمل كينونته الإنسانية بشكل متكامل ومتناسق وبسر لا يعلمه
إلا الله سبحانه ~ (ص ٦٠٤) .

ونحو هذا « الوعي الإنساني » الفريد نحت حسبما يخبر طه (١٩٩٥م) اتجاهات النظرية الجديدة في علم النفس حيث أعلن أبرز أساتذة العلوم الإنسانية في الغرب في يناير ١٩٩٣م أنه لا مفر من توجيه البحوث النفسية بصفة خاصة نحو دراسة ظاهرة الوعي الإنساني Ivnbo!Dpotdjpvtoftt وأن ذلك يفضي إلى البحث عن الخصائص الروحية للإنسان وأبحاث ما وراء الفردية ! Usbot!QfstpobmSftfbsdi، كما نحى إلى ذلك في تطور مشابه لفيف من أبرز الأكاديميين السوفيت في اجتماع لهم عام ١٩٨٨م ؛ حيث ظهر لهم أن من المهام العلمية الملحة هي عملية التأصيل في علم النفس وذلك بتحديد منهجي لمقدمات الوجود الأساسية ومنها خاصية العقل الفريدة ويتصل بها طبيعته اللامادية والتي بدون الإمعان فيها لا يمكن أن يتم إدراك معنى روحية الإنسان (ص ٧٣) .

كما يؤكد مآل علم النفس مؤخراً بدري (١٤١٥هـ ß ١٩٩٥م) بقوله :

بدأ علم النفس منذ بداية النصف الثاني من هذا القرن يهتم اهتماما متزايدا بالعمليات المعرفية والتفكير . فعاد الاهتمام بالوسائل العقلية الداخلية التي يستخدمها الإنسان في تحليل وتصنيف المعلومات التي يستقيها من بيئته ويستخدمها في التخطيط للوصول لغاياته ، وهذا الاتجاه الجديد له أهمية خاصة بالنسبة لإظهار قيمة التفكر من الناحية العلمية والدينية ~(ص ٢٤) .

ولا شك في أن ما يصبون إليه جميعا في الشرق أم في الغرب من إدراك مقدمات الوجود لن يتحقق لهم في بعد عن المعرفة الحاصلة بطريق الوحي الإلهي والتي تحدد بوضوح تام بدء الإنسان ومنتهاه وما بين ذلك، وتتعامل مع كينونيته الإنسانية في إطار متكامل . وعن ذلك يقول الكردي (١٤١٢هـß ١٩٩٢م) عند حديثه عن منهج القرآن الكريم في إبراز دور النفس في المعرفة :

> أما القرآن الكريم :
>
> فهو على منهجه ، في إبراز دور النفس في المعرفة ، لا يهمه تفصيل هذه القوى من الوجهة التشريحية ، كما لا يهمه تجزئة الفطرة الإنسانية العارفة . ولذا نجده يذكر الحواس الخارجية وأهمها ، كما نجده يذكر عمليات داخلية تجري في النفس الإنسانية ، ولا يجزيء الوظائف النفسية الداخلية إلى قوى حسية أو عقلية ، بل يجمع بينها جميعا . وهو في هذا منسجم مع قاعدة رئيسية وهي أن الكينونة الإنسانية ، بما فيها من حس وعقل ، وما تقوم به من إحساس خارجي وشعور داخلي ، وعمليات مختلفة ، من تذكر وتفكر ، وفقه وتعقل ، ونظر وتدبر ، وما منحه هذا الإنسان من عقل وقلب وفؤاد ونهى ، كل ذلك يعمل بصورة متكاملة في الكينونة الإنسانية بحيث لا نستطيع أن نجزم بانفصال حس عن عقل أو الإدعاء بأن التذكر إنما هو تبع لجزء في النفس دون جزء آخر . وإن كان هذا لا يمنع من أن يصل العلم إلى تخمينات وفروض في تعيين مراكز الإحساس والإدراك ، وسائر عمليات المعرفة في الدماغ . إلا أننا نبقى مع ظاهرة وحدة الكينونة الإنسانية في عملها المعرفي . ولا نستطيع أن ندلي في هذا بشيء من المعلومات إلا ما ذكره الله سبحانه وتعالى لنا . إذ هو خالق الإنسان ويعلم ما خلق ~ (ص ٥٥٩–٥٦٠) .

ثم يبين في موقع آخر ما قدمه القرآن الكريم من معلومات عن الإدراك ووظائف العقل أو الوعي الذي وهبه الباري سبحانه لهذا الإنسان فيقول :

> وإن كان لنا ثمة علم فلا يعدو أن يكون وصفا لهذا الإدراك بحسب المدركات ، المحسوسات والمعقولات. ! ∅فالقرآن مثلا لم يتحدث ولا في كلمة واحدة عن العقل بصيغة العقل وإنما ذكر التعقل أي الوظيفة أو العملية التي هي : تعقلون ويعقلون وعقلوه ونعقل ∅ كما ذكر القرآن كذلك وظائف للعقل مثل : التذكر والتفكر والنظر والذكر والفقه والتدبر ، لتدل كلها على ما يدل على التعقل ، من وظائف الإنسان ، بما هو إنسان مميز [متفرد] على سائر المخلوقات ، ويقوم بدور القيادة والاستخلاف في هذا الوجود المحسوس أو في عالم الشهادة والحياة الدنيا ~ (ص ص ٦٠٤ – ٦٠٥) .

إن هذه المعرفة التي أفادها القرآن الكريم عن الإدراك أو الوعي الإنساني هي بمثابة المقدمات الأساسية ، والأرضية اللازمة للدراسات النظرية والتجريبية والتطبيقية في علم النفس .

وبعد هذا الاستطراد المهم حول « الوعي الإنساني » الدال على تفرد الإنسان ، إضافة إلى الدلائل الأخرى التي سيقت آنفا ، فإنها بمجموعها لتضفي على القلب المؤمن المتأمل لها خشوعا عند تدبر قوله تعالى : ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ ﴾ [القمر ٥٤/٤٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾ ! ﴾ [الفرقان ٢٥/٢] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾! ﴾ [الرعد ١٣/٨] .

كما أن الوقوف على هذه الدلائل لتجعل العقل يعتقد بيقين صحة ما قرره محمد قطب (١٤٠٠هـß ١٩٨٠م) بقوله : [٢٠] فكل تفسير له [أي الإنسان] يلحقه بغيره من الكائنات تفسير باطل من أساسه . سواءٌ في ذلك من يفسره بالتفسير الحيواني أو التفسير الميكانيكي ، أو يفسره بالتفسير الملائكي أو النوراني . أو غيرها من التفاسير ~ (ص ٣٣) .

ثانياً - للإنسان دور مهم في الحياة

إن للإنسان دورا مهما في دورة الحياة ، وقد دلل محمد قطب (١٤٠٠هـß ١٩٨٠م) على ذلك بقوله :

> أولى آيات خطره أن الله بنفسه سبحانه هو الذي يعلن نبأ مولده . ومن آيات هذا الخطر أن تسجد لخلقه الملائكة . وأن يسخر الله له السموات والأرض جميعا . وأن يجعل الله إرادته العليا سبحانه مقضية عن طريق إرادة الإنسان ووجوده وأفعاله : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد ١١/١٣] . ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ ﴾ [البقرة ٢٥١/٢] . ﴿ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ ﴾ [الروم ٤١/٣٠] ~ (ص ٣٣) .

[٢٠] أورد محمد قطب (١٤٠٠هـß ١٩٨٠م) اقتباسات مباشرة عما يقوله « العلم » في باب « تفرد الإنسان » ؛ يحسن الرجوع إليها (ص ص ٣٤– ٣٩) .

وتتمثل أهمية دور الإنسان في دورة الحياة في استخلافه في الأرض والكون مع تأهيله بالقدرة على التعقل والإدراك والوعي وغيرها من الطاقات اللازمة له ، تلك القدرة الإدراكية التي كشف أبو سليمان (١٤١٢هـß ١٩٩٢م) دورها في الحياة بقوله :

> فالعقل المسلم مدعو من منطلق الخلافة إلى تسخير الكون والكائنات لما فيه النفع : نفعه ونفع الكون والكائنات من حوله ، ومدعو إلى العمل والسير في دروب الكون ومناكبه ، ومدعو إلى العلم بأسراره وتسخير هذا العلم لما فيه الخير .
>
> والعقل السليم من منطلق الخلافة هو صاحب الشأن والكلمة في الكون ، ومطالب بالسعي والإبداع والإعمار ، وبالعلم والإعمار والتسخير يحقق الإنسان مهمته في الأرض ويبلغ غايته ، ولا سبيلß بدافع الفطرةß إلى طمأنينة النفس الإنسانية إلا بالعلم والعمل والسعي الخيّر في الأرض ، ولا مجال في العقل المسلم السوي ، ولا في الضمير المسلم الواعي ، للعجز والجهل والقعود ، عن علم الخير ، وعن فعل الخير ، وعن سعي الخير ، فذلك غاية وجود الإنسان ،وتلك خلافته في الأرض ، وما عاقبته فيما وراء الحياة إلا محصلة هذا العمل ، وهذا العلم ، وهذا السعي ~ (ص ١٣٠) .

ثالثاً - مخلوق ذو فطرة خيّرة

إن الإنسان مخلوق ذو فطرة خيّرة ، ودليل ذلك قول النبي ﷺ فيما رواه البخاري – ت ٢٥٦هـ رحمه الله تعالىß (١٤٠٧هـß ١٩٨٧م) : « ما من مولود إلا يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، أو يمجسانه ، كما تنتج البهيمة بهيمةً جمعاء . هل تحسون فيها من

جدعاء » [٢١] ، ثم يقول أبو هريرة ﷺ : ﴿ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ﴾ [الروم ٣٠/٣٠] (ح ١٢٩٢ ، ١٢٩٣) . وفي رواية عند مسلم ßت ٢٦١هـ رحمه الله تعالى ß (١٩٧٢م) يقول النبي ﷺ : « فإن كانا مسلمين فمسلم » (ح٢٦٥٨–٢٥) ، وفي رواية أخرى عنده أيضاً : « ما من مولود يولد إلا وهو على الملة » (ح٢٦٥٨–٢٣) ، وفي رواية أخرى عند مسلم أيضا يقول النبي ﷺ في الحديث القدسي: « وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم [٢٢] عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم ، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ∅ » (ح٢٨٦٥) .

والمراد « بالفطرة » كما أورده الزنيدي (١٤١٢هـß ١٩٩٢م) : أنها الدين الذي أرسل الله به رسوله ، وأعظمه معرفة الله وتوحيده . وهذا مذهب جمهور السلف ؛ قالوا : الفطرة ؛ الإسلام ~ ، [ثم نقل قول ابن تيمية [٢٣] ß ت ٧٢٨هـ رحمه الله تعالى]:

[٢١] قال البغا (في البخاري ، ١٤٠٧هـß ١٩٨٧م) عن معنى (بهيمة جمعاء) : أي تامة الأعضاء سوية الخلق ~ . ومعنى (جدعاء) : مقطوعة الأذن أو الأنف أو غير ذلك ، أي وإن الناس يفعلون بها ذلك ، فكذلك يفعلون بالمولود الذي يولد على الفطرة السليمة ~ (ج١ ، ص٤٥٦) .

[٢٢] قال عبد الباقي (في مسلم ، ١٩٧٢م) عن معنى (أجتالتهم) : أي استخفوهم فذهبوا بهم ، وأزالوهم عما كانوا عليه ، وجالوا معهم في الباطل ~ (ج٤ ، ص٢١٩٧) .

[٢٣] نقلا عن ؛ ابن تيمية ، أحمد ß (١٣٩٩هـ) ، **درء تعارض العقل والنقل** ، ط١ ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، (ج٨ ، ص٣٨٧) .

وأصل الدين الذي فطر الله عليه عباده Øيجمع بين أصلين ، أحدهما : عبادة الله وحده لا شريك له ، وإنما يعبد بما أحبه وأمر به . والثاني : حل الطيبات التي يستعان بها على المقصود ، وهو الوسيلة ، وضدها تحريم الحلال ~ (ص ٣٤٧) .

ومن ثم نجد أن ابن تيمية ß رحمه الله تعالىß (١٤١٢هـß ١٩٩١م) بعد أن حدد أصلي الدين الذي فطر الله عليه عباده ؛ يبين القول الصائب في معنى الفطرة فيقول : إنها فطرة الله التي فطر الناس عليها وهي فطرة الإسلام ، Ø وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة ، والقبول للعقائد الصحيحة ~ (ج ٤ ، ص ٢٤٥) ، ويعلق محمد عفيفي (١٤٠٨هـ– ١٩٨٨م) على تفسير ابن تيمية للفطرة فيقول :

> وإذا كان الأمر كذلك ، فإن الفطرةß من ثمß تمثل اتجاها[٢٤] إيجابيا يتفق مع مباديء الدين ، وقيمه ، Ø ومن ناحية أخرى ، فإن الفطرةß على هذا ß تعني أن تلك الحالة التي خلق الإنسان عليها – أي إنسان – : ساعة مولده ، وقبل أن تعمل العوامل الأخرى من تربية وتنشئة اجتماعية ، وثقافية ، عملها في صقل مواهبه ، وفي التوجه الفكري ، والسلوكي لديهß أيا كانت طبيعتهß تعني : أن تلك الحالة قد تكون خيّرة ، وبناءة وإيجابية وأنها – مع غياب تلك المؤثرات ß سوف تستكمل طريقها ، وتمضي في مضمار الخير إلى نهاية الشوط ~ (ص ٦٢) .

[٢٤] سيأتي الحديث عن الاتجاهات وتكوينها عند الحديث عن إجرائية التغيير التربوي في الفصل الثالث من الدراسة بعنوان : علم التغيير التربوي .

ثم خَلُصَ محمد عفيفي إلى تقرير ثلاثة عناصر في الإنسان اشتقها من معنى «الفطرة» ، والظاهر أنها خطوط مهمة يلزم إضافتها إلى طبيعة « الإنسان » وماهيته ، وهذه العناصر هي (ص ٦٣) :-

i- سلامة القلب ، وهذا يعني : سلامة الاستعدادات والميول ، واعتدالها ، واعتدال وسائلها وسلامتها لدى الإنسان .

ii- قبول القلب للحق الذي هو الإسلام ، بما يمثله من مباديء ، وقيم ، وضوابط ، ومناهج حافلة بأرقى وأسمى الصور الخلقية ، وهذا يدل على مدى التلاؤم بين الاتجاه الخلقي ، والنزعة الفطرية لدى الإنسان ، كما يدل على سموه ونبله .

iii-إرادة القلب للحق ، وهذا أيضا يعكس نقاء البواعث ، وصفاء الغايات ، وخيريتها ، كما يرينا مدى الإيجابية الخلقية في صورتها الكاملة .

ويبين جمعة (١٤١٨هـ ß ١٩٩٨م) أيضا ملامح الخير التي فطر الإنسان ببيان ما هو مغروس فيها (ص ١٤) :-

i- السلامة من العيوب .

ii- الاعتراف بعبودية الإنسان لخالق واحد .

iii-أصول القيم الأخلاقية : فهو يعرف أن الشكر خير محمود وأن الجحود شر مذموم .

iv-أصول المعرفة العقلية : يعلم أن الأثر يدل على المؤثر وأن الكل أكبر من الجزء وأن التناقض باطل .

w– أصول القيم الجمالية : كحب الجمال والنظافة والنظام والخير والقوة Ø الخ .

wj–الغرائز والحاجات التي تدفع الإنسان إلى حفظ النفس والنوع بالأكل والشرب والسكن واللباس والتزاوج .

wjj– القدرة على العمل والتفكير والإبداع والاختيار .

ولقد توصل إلى إدراك هذه الخيرية في فطرة الإنسان أبراهام ماسلو ! Bcsbibn Nbtmpx ! رائد علم النفس الإنساني (في الكيلاني ، ١٤١٧هـ ß ١٩٩٧م) في محدداته عن الطبيعة الإنسانية والتي وضعها في نقاط عدة منها (ص ٢٢٩) :

j– لا تبدو هذه الطبيعة الإنسانية شريرة بالأصل ، وإنما الحاجات الأساسية والطاقات الإنسانية الأساسية هي بالأصل محايدة وإيجابية وخيرة . أما النزعة للتخريب « والسادية » والقسوة والحقد وأمثال ذلك فيبدو أنها ليست أساسية وإنما هي ردود فعل عنيفة ضد الاحباطات والفشل في تحقيق الحاجات الأساسية .

jj– بما أن هذه الطبيعة الإنسانية الداخلية محايدة وخيّرة فمن الأفضل استخراجها وتشجيعها أكثر من كبتها والضغط عليها ، وإذا سُمح لها أن توجه حياتنا فسوف نعيش أصحاء ومنتجين وسعداء .

إلا أن الذي يجب الحذر منه حتى لا نُنْتَقَدْ في قبول نظرة ماسلو نحو طبيعة الإنسان الخيّرة ، هو تحقيق مفهومه عن « الخيّرة » ، لا سيما إذا علمنا أن أصحاب مدرسة علم النفس الإنساني ß والذي يعتبر ماسلو رائداً لها ß يرون كما يفيد بدري (١٤١٦هـ ß

١٩٩٥م) أن طبيعة الإنسان خيّرة ، ولكن هذا الخير ليس به عمق أخلاقي أو روحي ، فهو خير من ناحية تحقيق ذاته وتصوره للخير النسبي ، ولا يهم بعد ذلك أن يكون شاذا جنسيا أو ملحدا ∅ أما الإسلام فيعتبر الإنسان خيّرا بفطرته ß خيرا يشمل الجوانب الإيمانية والروحية والخلقية ß لكنه ابتلي بامتلاك الاستعداد للتوجه نحو الخير أو الشر (ص ص ١١٤٤– ١١٤٥) .

رابعاً - الإنسان مخلوق مزود بطاقات وصفات خاصة

الله جَلَّ جَلَالُهُ لطيف بعباده ، تدرك دلائل لطفه ورحمته في كل وضع وقدر لهم ، فلقد خلق الإنسان وأعلن بنفسه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ نبأ جعله خليفة في الأرض فقال جل ذكره : ﴿ وَإِذۡ قَالَ رَبُّكَ لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ ﴾ [البقرة ٢/٣٠] ، وزوده بما يؤهله لأداء تلك الخلافة بالطاقات والصفات اللازمة ليقوم بأمانتها ، وهي تعود في مجموعها إلى مكوناته أو أصله الذي خلقه الله منه وهو « الطين » و « الروح » ، فما هو إلا قبضة من طين ونفخة من روح الله ، قال تعالى : ﴿! وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن طِينٖ ١٢ ! ﴾ [المؤمنون ٢٣/١٢] ، وقال سبحانه : ﴿ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ ﴾ [السجدة ٣٢/٩] . ولكل من هذين المكونين تنسب طاقات الإنسان وصفاته .

لقد حدد محمد قطب (١٤٠٠هـ ß ١٩٨٠) طاقات الإنسان بأنها : « طاقة حسية» و « طاقة معنوية » وفي تعريفهما بخواصهما يقول:

> الطاقة الحسية هي طاقة الجسد المتصلة بالحواس والأعصاب والكيماويات والبيولوجيات والفسيولوجيات . والطاقة المعنوية لا يدري أحد على وجه التحديد مكانها وماهيتها ولكنها هي التفكير التصوري التجريدي الذي يدرك الكليات والمعنويات . يدرك الفضيلة ، يدرك القيم العليا ، يدرك العدل ، يدرك الحق ، يدرك الجمال . . وما إلى ذلك من كليات ومعنويات وتجريدات ~ (ص ٩٧) .

ثم استعرض محمد قطب بعد ذلك أوجه تفاعل كل من الطاقتين وخلُص إلى إثبات الصلة بينهما بقوله : وإنما يعنينا هنا ß في هذا الاستعراضß أن نثبت اتصال الطاقتين في كيان الإنسان ، وأنهما معا يمسكان الإنسان من طرفيه ، أو يمدان له جناحيه . . فيمشي بجسده على الأرض وروحه محلقة في السماء ~ (ص ١٠٤) .

أما صفات الإنسان فهي الوجه الآخر لطاقاته ، والمكملة لها ، وبهما أوكل إلى الإنسان الخلافة في الأرض وعمارتها ، وقد بين البوطي (١٣٩٧هـ) أهميتها للإنسان بقوله :

> فكان أن جُهز هذا المخلوق [الإنسان] بمجموعة من الملكات والصفات ، لا بد منها ، لتتكامل لديه القدرة على إدارة شأن هذا الكون وتعميره واستخدامه ، فبث فيه صفة العقل وما يتفرع عنها من العلم والإدراك والقدرة على تحليل الأشياء وسبر أغوارها والوصول إلى ما ورائها ، وبث فيه معنى الأنانية ، وما يتفرع عنها من النزوع إلى الأثرة والتملك ، وبث فيه أسباب القوة ومقومات التدبير ، وما يتفرع عنهما من النزوع إلى السيطرة والعظمة والجاه ، ثم بث فيه مجموعة من العواطف والأشواق والانفعالات تعتبر متممة

لقيمة تلك الصفات وفوائدها ، كالحب والكراهية والغضب وما إلى ذلك ~ (ص ٦٩) .

إن المتأمل في تلك الصفات والطاقات ليدرك أنها نعمة عظيمة من الله تعالى على الإنسان ، ومن تمام شكره لله على هذه النعم أن يستحضر بإيمان ويقين أنها أمانة أُسْتُودِعَها ، وعليه أن يؤدي حق الله فيها بحسن الإفادة منها والاستعانة بها على أداء دوره المهم في الحياة ، سيما وأنه قبل ابتداء حمل الأمانة المعروضة عليه ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾!! ﴾ [الأحزاب ٣٣/٧٢] .

خامساً - أن الإنسان مخلوق يعتريه الضعف في بعض الأحيان

إن تفرد الإنسان عن سائر مخلوقات الله ، في مكانته ودوره وخلقه ، في طاقاته وقدراته وصفاته ، لم يخلصه من ضعف ينتابه أحيانا ، فإن سمت روحه في تحلقها ؛ علتْ همته ، وقويت عزيمته ، وعظمت اهتماماته ، أما إن تنكست روحه وطغت تربته ؛ سقطت همته ، وضعفت عزيمته ، وتهافتت اهتماماته .

وقد أخبر القرآن الكريم عن ضعف الإنسان فقال سبحانه : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ ۚ وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾ ﴾ [النساء ٤/٢٨] ، كما أدرك المؤمنون من عباد الله ضعفهم فأخبتت قلوبهم متضرعة إليه سبحانه وتعالى يدعونه ﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ

مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ ﴾ [البقرة ٢/٢٨٦] فأحالوا ضعفهم إلى قوة يستمدونها من القوي العزيز ، وفي ذلك يقول الهاشمي (١٤٠٢هـ) :

> بيد أن هذا الضعف يستطيع الإنسان العاقل المؤمن أن يجعله سبيلاً لاستمداد القوة من مصدرها الأصيل . فالإنسان ضعيف أمام الله خالقه القوي ورازقه المتين فالإيمان بالله قوة يكافح بها الإنسان ضعفه حين يجعل صلته بالله سنداً دائما ومعينا ووكيلا ومرجعا ، والمنهج الإلهي هو الذي يجعل الإنسان على الرغم من ضعفه أمام ميوله الجامحة ورغباته الطائشة يستخدم عقله وإرادته في الضبط الذاتي ويجعل من الإيمان بالله رقيبا على عقله وإرادته ودوافعه فلا يذل أمام هوى ولا يقع صريع الشهوات ~ (ص٩١) .

إن ضعف الطبيعة الإنسانية أصبح مؤخراً حقيقة مسلماً بها لدى بعض علماء الغرب، فهذا أبراهام ماسلو Bcsbiln !Nbtmpx ! رائد علم النفس الإنساني (في الكيلاني ، ١٤١٧هـ ß ١٩٩٧م) يقر بذلك في محدداته عن الطبيعة الإنسانية والتي وضعها في نقاط عدة منها (ص ٢٢٩ ß ٢٣٠) :-

j- وإذا تعرض جوهر الإنسان هذا للضغط أو الرفض فسوف يعتريه المرض بطريقة واضحة أحياناً وبطريقة ملتوية أحياناً أخرى ، وأحياناً في الحال ، وأحياناً فيما بعد .

jj- هذه الطبيعة الإنسانية ليست قوية وصلبة وليست معصومة من الخطأ وإنما هي ضعيفة ورقيقة ومن السهل أن تتغلب عليها العادة والضغط الثقافي والاتجاهات الخاطئة .

إن الطبيعة الإنسانية تتردى بين هاويتين ؛ هاوية الذل والخنوع ، وهاوية الكبر والطغيان ، ولا نجاة لها من هذا التردي إلا بتدينها بدين الله الذي ارتضاه ، وهذا ما يفقده علماء النفس غير المسلمين ، فعجزوا عن تخليص الطبيعة الإنسانية من ضعفها الذي أدركوه وأقروا به ، أما العلماء المسلمون فقد أدركوا الخلل ، وبصروا العلاج ، ومنهم البوطي (١٤٠٢هـ – ١٩٨٢م) حيث يقول :

فمن عاش لا يتبصر من ذاته إلا مظاهر ضعفها ودلائل تفاهتها وهوانها ، جدير به أن يركن إلى ضعف يجعله ضحية طغيان الجبابرة والمتكبرين ، ويبعده عن إنجاز أي عمل أو خدمة إنسانية مما قد حمله الله تعالى مسؤولية النهوض به ، ويقعده عن أي مساهمة في سبيل عمارة الأرض وإنشاء الحضارة الإنسانية المطلوبة .

ومن عاش لا يعرف من ذاته إلا أنه الإنسان المكرم الذي يملك من المزايا والصفات ما يخوله أن يبسط لنفسه حكما وسلطانا على كل ما حوله ومن دونه ، جدير به أن يسكر بنشوة تلك الصفات ∅ ثم أن يجعل من نفسه حاكما من دون الله عز وجل ،يبسط قهر ربوبيته الزائفة على سائر المستضعفين ~ (ص ص ٥٠–٥١) [ثم يدلنا بعد ذلك على العلاج فيقول :] إن الدين في مجمله وتفصيله ، ليس إلا الوصفة العلاجية الواقية أو الشافية من كلا هذين الو باءين اللذين لم يوجد أشد منهما فتكا في جسم المجتمع الإنساني أو الحضارة الإنسانية ~ (ص ٥٣) .

سادساً - الإنسان مخلوق ذو طبيعة مزدوجة

إن منشأ ازدواج طبيعة الإنسان عائد إلى سنة الله في خلقه ، فهو وحده ﷻ المتفرد بالوحدانية ، أما خلقه فقد أجرى عليهم الزوجية في كل أحوالهم ، من بدئهم إلى منتهاهم .

ولما كان الإنسان مخلوقا من قبضة من طين ونفخة من روح الله فقد شكل ذلك في كيانه زوجية متقابلة منبثقة عن مادة خلقه ، وقد سماها محمد قطب (١٤٠٠هـ ß ١٩٨٠م) : « خطوط متقابلة في النفس البشرية » وقال عنها متعجباً :

> إن من عجائب التكوين البشري تلك الخطوط الدقيقة المتقابلة المتوازية ، كل اثنين منها متجاوران في النفس وهما في الوقت ذاته مختلفان في الاتجاه : الخوف والرجاء . . الحب والكره . . الاتجاه إلى الواقع والاتجاه إلى الخيال . . الطاقة الحسية والطاقة المعنوية . . الإيمان بما تدركه الحواس والإيمان بما لا تدركه الحواس . . حب الالتزام والميل للتطوع . . الفردية والجماعية . . السلبية والإيجابية . . الخ . كلها خطوط متوازية ومتقابلة . وهي ß باختلافها ذلك وتقابلها ß تؤدي مهمتها في ربط الكائن البشري بالحياة ، كأنما هي أوتاد متفرقة متقابلة تشد الكيان كله ، وتربطه من كل جانب يصلح للارتباط ! وفي الوقت ذاته توسع أفقه وتعدد جوانبه وتفسح مجال حياته ، فلا ينحصر في نطاق واحد ولا مستوى واحد . وبذلك يتحقق للإنسان كيان فريد في كل ما نعرف من مخلوقات الله . كيان يرجع في النهاية إلى النشأة الأولى العجيبة المعجزة : قبضة الطين ونفخة الروح~ (ص ص ٧١–٧٢) .

وعن هذه الزوجية يقول طه (١٩٩٥م) :

> الإنسان في التصور الإسلامي قبضة من طين ونفخة من روح ، ويمكن أن تنعكس هذه الثنائية من منظور السايكولوجيا المعاصرة في شكل :-
>
> ١- المكونات الجبرية من منظومات وراثية وعصبية وحتى من الخبرات المكتسبة التي يمكن من الناحية النظرية على الأقل تتبعها وتحديدها .
>
> ٢- المكونات الاختيارية والتي تصعب محاصرتها مثل الوعي والإرادة فهي مكونات تعكس خاصية الحرية الإنسانية وأنشطة الإنسان المرسلة وهو بالمعنى المتداول النفس التي تعقل وتريد ما ينفذه الجسم وهي مستقلة بوجودها عنه ~ (ص ٧٠) .

ثم أكد طه بعد ذلك مساندة الشواهد العلمية للتصور الثنائي للإنسان مثل «نظرية الثنائية » التي بلورها أكلز F/K/ Fdhft ß ١٩٧٧ ßم ß وكذلك ما ذهب إليه سوبوتسكي – أحد علماء النفس في الكتلة الشرقية ß حيث يعتقد أن نظريات التنشئة في التربية وعلم النفس تفتقر إلى تصورات أساسية ومصادرات جديدة تتضمن الإنسان بوصفه مزيج من الخير والشر ومن العقلانية والاعتقادية الغيبية ، وهي تصورات في نظره أكثر ارتباطا بطبيعة الوعي الإنسانية الفعلية (ص ٧٤) .

وبعد :

تلك هي طبيعة « الإنسان » ، جلية في ماهيتها ، وخيرة في فطرتها ، ومحددة في حقيقتها ومسئوليتها ، تضافرت على الإسفار عنها حقائق الوحي ومحصلات العلم ، فبدت بذلك في أبهى ما تكون من التكامل والشمول والوضوح ، من بدء الإنسان إلى منتهاه ، من معرفة مبدأ خلقه ، ثم إدراك كنهه ، ثم معرفة دوره الحقيقي في الحياة ومسئوليته فيها ، إلى تحصيل أثار ذلك عند مآله .

هذه الطبيعة الإنسانية ، أمانة في عنق من عرفها وأدركها ، أمانة لها واجباتها وتداعياتها ، فلنحافظ عليها كما خلقها الله وأرادها ، وإنها لخيانة وزور من كل من عمل على تشويهها وانحرافها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور ١٩/٢٤] .

لذا فمن الأهمية بمكان تمهيدا للقيام بواجب هذه الأمانة تحديد مفهوم التربيةß بصفتها المسؤولة عن أدائها والقيام بمقتضياتها ß المستهدفة للإنسان ، على ضوء الخطوط العريضة المتقدمة لطبيعة « الإنسان » ، وحتى يمكن بناءً على هذا المفهوم القيام بعملية التخطيط للعمل التربوي ، والتي من أولوياتها تحديد الأهداف ، حتى تحكم نتائجهß قدر الإمكانß

بتوفيق الله وتسديده ، والغاية المرجوة بهذا ؛ أداء حق تلك الأمانة نحو حفظ الطبيعة الإنسانية وفطرتها كما خلقها الله ﷻ وأرادها ، والسمو بها لأداء دورها ومسئوليتها في الحياة .

مفهوم التربية

أما « التربية » ؛ فقد تعددت مفاهيمها بحسب تصور العاملين فيها لطبيعة « الإنسان » . وبناء على الفكرة العامة التي تقدم إيضاحها من منظور الثقافة الإسلامية ؛ فالرأي أن مفهوم « التربية » في النظام الإسلامي : « هي تلك العمليات التربوية المستهدفة للإنسان خلال جميع مراحل عمره والتي تنتهج طرائق وأساليب تحافظ بها على سلامة فطرته الإنسانية ، وتعمل على تنمية طاقاته والسمو بدوافعه من أجل تأهيله بالوعي اللازم لأداء دوره المهم في الحياة ، سواءٌ أكان منفرداً أم في جماعة ، كما تحصنه من أن يؤتى من قبل ضعفه فيسقط في مهاوي الردى ، وكل ذلك في وسطية تنال كل أبعاده الجسدية والروحية والعقلية » .

ولكي يصدر عن هذه العمليات التربوية آثارٌ إيجابيةٌ أو بعبارة أخرى مخرجات ناجحة فإنه يجب أن تُسْبَقْ بتخطيط سليم يتضمن تحديداً للعديد من العناصر الفاعلة فيها ومنها الأهداف والوسائل والأساليب وتقنية الاتصال المناسبة [٢٥] وغير ذلك ß وهو ما يعرف

! ‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡‡! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! ! !

[٢٥] العملية التربوية أو الموقف التربوي عبارة عن معلومة أو رسالة ذات مضمون معين يرسلها المربي بوسيلة اتصال مناسبة إلى المستهدف بالتربية حيث يستقبلها بجواسه المتعددة ، وهذا ما يعرف بعملية الاتصال – ولمعرفة المزيد عنها ينصح بالرجوع إلى الجابري (١٤١٤هـ–١٩٩٤م ، ص ص ١٢٨–١٣٠) حيث أحسن في شرحها ß ؛ ودراسة هذا الاتصال أنتج علما مستقلا سمي « علم

بتحديد المدخلات – ، فَتُشَكِلْ في مجموعها إعداداً محكما لتلك العمليات التربوية ، ويجب أن يسبق هذا التخطيط معرفة بالواقع مع تطلع واستشراف للمستقبل المنشود .

وبعبارة أخرى فإنه يجب أن ينظر إلى التربية على أنها نظام دقيق منضبط له مكوناته وفاعليته وكفاءته ، ولقد تنبه إلى هذه النظرة بعض التربويين المسلمين عند تناولهم لمفهوم «التربية » بالتحديد ومنهم خياط (١٤٠٧هـ ١٩٨٦م) حيث يقول : إن المقصود بمفهوم التربية في ضوء نظرية التربية الإسلامية Ø هو نظام التربية الذي يقوم على مبادئ النظام القيمي للعقيدة الإسلامية Ø[والتقيد به] في كل الأمور التي تتعلق بحياة الإنسان ~ (ص ص ٧٩–٨٠) .

وتأسيساً على هذا المفهوم للتربية السابق تقريره يَحْسُن الوقوف ملياً أمام نظام الإسلام في التربية ومكوناته لتناوله بشيء من التوضيح والإبانة تمهيدا للحديث عن « الهدف التربوي»! .

! !

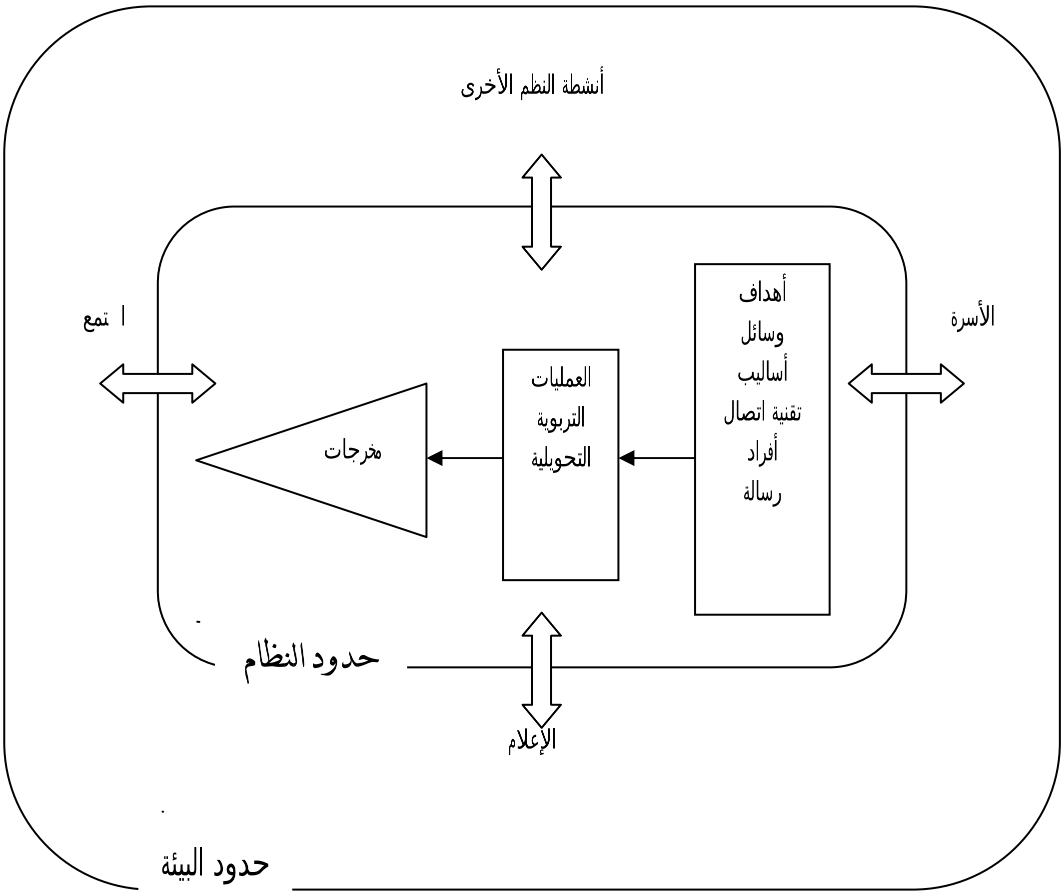
☞ !

الاتصال» وله تقنياته وتطبيقاته حتى أصبح من أهم العلوم في وقتنا المعاصر لتأثيره وارتباطه بكثير من العلوم الإنسانية والاجتماعية وغيرها .

نظام الإسلام في التربية

تتمثل مكونات « النظام التربوي » في تحديد « المدخلات » المؤثرة في « العمليات التحويلية التربوية » وعنها تصدر « المخرجات » المأمولة الناتجة عنها ، وعندما تكون هذه المكونات منبثقة عن الثقافة الإسلامية فعندها يمكن أن نطلق عليها في مجموعها « نظام الإسلام في التربية » .

ومما يجدر ملاحظته أن أي نظام تربوي إنما هو نظام مفتوح أو حي ؛ أي له حدود مخترقة لتأثره بالبيئة المحيطة به ، فالأنظمة المفتوحة في رأي روين (١٤١٢هـß ١٩٩١م) مرتبطة بكثير من التحولات والتغيرات المستمرة مع البيئات التي حولها حيث تؤثر وتتأثر بها ، بينما الأنظمة المغلقة لا تفعل ذلك (ص ٢٩) ، ويمكن إبراز تأثر وتأثير النظام التربوي بالبيئة المحيطة به في الشكل التوضيحي التالي :



شكل (١) : النظام التربوي

ومن الشكل يتضح تعدد البيئات المحيطة بالنظام التربوي فقد تكون ، الأسرة ، أو المجتمع ، أو أنشطة النظم الأخرى التي لها دور سلبي أو إيجابي ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ؛ الإعلام [٢٦] المسموع أو المرئي أو المقروء ، وكذلك المؤسسات المعنية بالأنشطة الترويحية والثقافية ، فعند انعدام التناسق والانسجام بين النظام التربوي وبين البيئات المحيطة به فإن الاختراق المتبادل بينهما سيكون ذا أثار سلبية على فاعلية النظام التربوي وكفاءته حيث يبني أحدهما ويهدم الآخر [٢٧] ، ولتفادي حدوث هذه الظاهرة في المجتمعات الإسلامية ينبغي

[٢٦] عقد مكتب التربية العربي لدول الخليج ندوة بعنوان « ماذا يريد التربويون من الإعلاميين ؟ » في الفترة من ٦-٩/شعبان/١٤٠٢هـ الموافق ٢٩ مايو-١ يونيو/١٩٨٢م ، وقد دارت الندوة حول ثلاث محاور منها : محور الأهداف التربوية والإعلام ، أكدت الأبحاث المتعلقة به على أهمية التنسيق والانسجام بين العملية التربوية والعملية الإعلامية بدء من صياغة الأهداف وانتهاء بتفعيل الأنشطة الخاصة بهما .

[٢٧] أوصي بإجراء دراسة علمية تبرز آلية تنفيذية تساعد الدولة المسلمةß بصفتها المسؤولة عن أنظمة المجتمعß على تحقيق أهداف نظام الإسلام في التربية من خلال تفعيل كافة نظمها ومؤسساتها المختلفة المنبثقة عنها في إطار من الانسجام والتكامل فيما بينها . كما أوصي بأهمية إنشاء مؤسسة مستقلة تربوية ذات سلطة تنفيذية عليا على جميع مؤسسات الدولة المسلمة الأخرى ، حيث تراقب أنشطتها المتعددة سواء أكانت تعليمية أو إعلامية أو ترويحية أو ثقافية أو صناعية أو طبية أو تجارية أو عسكرية أو اقتصادية أو اجتماعية . . وسوى ذلك ، بحيث تضع جميع هذه الأنشطة في إطار من التكامل والانسجام تتحقق به أهداف نظام الإسلام في التربية ، بمعنى أن يكون لهذه

أن تنبثق كافة أنشطة نظم المجتمع بمختلف مؤسساتها التنفيذية من خلال سياسات مرسومة في ضوء أهداف نظام الإسلام في التربيةß والتي هي أحد المدخلات الرئيسة في كل نظام منها ß وهذا بدوره سيعكس أثارا إيجابية على فاعلية وكفاءة كافة النظم .

ومن الجدير بالذكر أن هناك فرقا بين مفهومي الفاعلية والكفاءة الواصفة لنشاط النظم ، ولذلك يرى جاكسون وزميلاه (١٤٠٨هـß ١٩٨٨م) أهمية التمييز بينهما حيث يمكن أن تكون المنظمات فعالة وفي الوقت نفسه ذات كفاءة ضئيلة إلى حد كبير ، كما يمكن أن تتمتع بقدر كبير من الكفاءة في حين تكون غير فعالة . لذا فإنه يشار في العادة إلى الفاعلية باعتبارها الدرجة التي تحقق بها الأهداف المحددة سلفا ، أما الكفاءة فتشير إلى الطريقة الاقتصادية التي يتم بها إنجاز العمليات المتعلقة بالأهداف ، وتمثل إلى حد بعيد بنسبة المدخلات للمخرجات . ولوضوح هذين المفهومين تعددت طرق وأساليب تقييم ودراسة فاعلية النظم ومنها : تحقيق الأهداف ، ومقارنة النظم ، ودورة النظم ، وتعدد المنتفعين (ص ص ٥٣–٥٤) . وفي معظم طرق تقييم الفاعلية والكفاءة نجد أن للأهداف دوراً رئيسا يمكن إبرازه بتطبيق ذلك على النظام التربوي ؛ فإن تمكن النظام التربوي من تحقيق أهدافه المحددة سلفاً – في عملية التخطيط ß بدرجة عالية دليلٌ على فاعليته ، ولذلك فهناك علاقة طردية بين الأهداف التربوية وفاعلية

! !

! ☞

المؤسسة التربوية دور الاحتساب والتوجيه من منظور تربوي على كافة مؤسسات الدولة الأخرى ، وذلك على غرار ما تقوم به مؤسسة الاحتساب على الأفراد في الدولة المسلمة .

النظام التربوي . ومن جهة أخرى فإن تحقق الأهداف التربوية في عدد كبير من مجموع المستهدفين بالتربية دليلٌ على كفاءة النظام التربوي وذلك باعتبار أن الأفراد جزء من مدخلات النظام التربوي كما أنهم من مخرجاته .

وكذلك في حالة مقارنة قدرة نظام تربوي ما في تحقيق أهدافه أو في نسبة الأفراد بين المدخلات والمخرجات مثلا مع قدرة نظام تربوي آخر ، بمعنى : مقارنة فاعلية وكفاءة نظام تربوي مع نظام آخر وهو ما يعرف « بالتربية المقارنة » في بعض وجوهها ، فإن ذلك يساعد على التقييم والدراسة للنظام التربوي المعني بالتقييم .

ونظرا لمكانة الأهداف في أي نظام تربوي لما لها من دور مهم في عملية التخطيط ابتداء وفي عملية التقييم انتهاء فذلك يستدعي إلقاء الضوء على أهداف نظام الإسلام في التربية بشيء من التفصيل .

تعريف الهدف التربوي

تعتبر اللغة العربية [٢٨] من المقومات الرئيسة لحضارة الإسلام ، فهي وسيلة الاتصال بين أفرادها فبها يستفتحون ما أغلق عليهم فهمه من نصوص دينهم ، وبها يصوغون ما اصطلح عليه

! !!!!!!!!!!!!!!!!!! !!!!!!!!!!!!!

[٢٨] شهد العديد من المستشرقين شهادة حق لصالح اللغة العربية ، في حين خذلها بعض من أهلها ، ومن تلك الشهادات ما أورده الهراس (١٤١٨هـ ß ١٩٩٧م) لمستشرق فرنسي هو الدكتور أندري رومان أستاذ اللغويات العربية بكلية الآداب بجامعة « إكس سان بروفانس » حيث يقول عنها : إن اللغة العربية هي أعظم لغة في العالم لما أمتازت به من ثراء واسع ، وتنوع رائع ، ومرونة كبيرة ، ومبادئ تطورية عظيمة ، وقواعد علمية متقنة ، إلى غير ذلك من الخصائص والميزات التي تجعل اللغة العربية في مقدمة اللغات العالمية بل إنها أعظمها على الإطلاق Ø وقد كتب لهذه اللغة الخلود والانتشار وذلك بفضل القرآن الكريم Ø وإذا كان في اللغة عيب فهو في الحقيقة في العرب قبل كل شيء ، إذ هم الذين تخلوا عن لغتهم في البيت والشارع وفي نواح أخرى من حياتهم Ø ~ (ص ٥٣) . ولقد أدرك أعداء الأمة الإسلامية مكانة اللغة العربية ودورها في الحفاظ على شخصية المسلم فناصبوها لذلك العداء ، وكمنوا لها في مخططاتهم ضد الأمة الإسلامية ، ويكشف لنا عمارة (١٤١٩هـ ß ١٩٩٨م) أحد تلك المخططات العدائية ضد الأمة الإسلامية ؛ حيث كشف واحدا من أنشطة المخطط الفرنسي الفرنكفوني ضد المسلمين الأمازيغ ß البرابرة ß في شمال أفريقيا حيث وقف على قول الكاتب الفرنسي فيكور بيكيه في كتابه « العنصر البربري » الصادر سنة ١٩٢٥م حيث يقول : إننا نشاهد تغلب العربية في السهول ، حيث السكان العرب ، وهذا يمكننا تعليله بأن اللغة البربرية لا تكتب ، وبأن اللغة العربية هي لغة القرآن ، وقد لعبت الكتاتيب دورا مهما في الاستعراب ، ولذلك فإن كل مجهوداتنا يجب أن تنصب على تعليم البرابرة الفرنسية بلا وساطة لغة أخرى ، لقد هيأنا سنة ١٩٢٣م للمدرسة برنامجا فرنسيا بربريا له روح فرنسية كاثوليكية Ø وهذه

فكرهم ، حظيت على هذه المكانة السامية من كتاب الله تعالىß مرجعهم الأعلىß حيث نزل بها ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلۡبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيّٖ مُّبِينٖ ﴿١٩٥﴾ ﴾ [الشعراء ٢٦/١٩٢–١٩٥] ، وكذلك بما لها من القدرة على البيان ، بسبب اتساع جذورها مما يمكنها من الثراء والإثراء في مختلف مجالات الاتصال الإنساني . ولمكانتها السامية هذه ؛ فإن على عاتق أبناء حضارة الإسلام –لا سيما العاملين منهم في ميدان التربية – المسؤولية العظمى نحو مواجهة كل جهد مشبوه –أيا كان مصدره – يرمي إلى تنحية لغة القرآن الكريم عن مكان الصدارة الحضارية ، تلك الجهود التي ترنو في الدرجة الأولى إلى أن تميت لغة الاتصال

! !

!

خطة حسنةلوقف التعامل مع اللغة العربية على أنها لغة التفاهم ، ويمكننا بسهولة كتابة البربرية بالحروف الفرنسية ، كما فعلنا بالهند الصينية ~ ، ثم يقول عمارة معلقا : وهذا الذي كتبه الأساتذة والكتاب الفرنسيون هو ذاته الذي طبقته السلطة الاستعمارية الفرنسية . . فالمقيم العام الفرنسيß بالمغربß المارشال ليوتي يصدر أوامره إلى وزارة العدل باستبعاد اللغة العربية ، وفك ارتباطها بالإسلام ، لدمج البربر في فرنساß عن طريق اللغة الفرنسية والقانون الفرنسيß فيقول في أوامره : " إنه لخطأ فاحش التصرف بشكل يساعد على إعادة إحياء العلاقة بين العرب والبربر ، ولا حاجة في تعليم العربية للبربر ، فالعربية هي رائد الإسلام ، لأن هذه اللغة تعلم من القرآن ، ومصلحتنا هي أن نمدن البربر خارج دائرة الإسلام ، وأما ما يتعلق باللغة ، فيجب علينا أن نضمن الانتقال المباشر من البربرية إلى الفرنسية بدون واسطة " ~ (ص ٢٧) .

والتفكير بين مصادر هداية التوجيه والإرشاد الإلهية وبين المؤمنين بها من المسلمين ؛ فينقطع بذلك الاتصال بين الإنسان المسلم المستهدف بالتربية وبين مصادر تربيته الأولى التي تروم تأهيله بالوعي اللازم لأداء دوره المهم في الحياة بتنمية قدراته على التفكير . وكفانا عاراً ß نحن أمة الإسلام ß على حد قول القرضاوي (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) : أن عشرين دولة [مسلمة] تعلم العلوم بلغات أجنبية ، معترفة بعجزها عن تعليمها بالعربية ، وأن إسرائيل ß دولة المليونين أو الثلاثة ß تعلم العلوم بالعبرية ~ (ص ١٠) . **ولذا فإن تربية الإنسان المسلم على إتقان اللغة العربية بكافة مهاراتها واستخدامه الدائم لها أثناء جميع مناشط حياته يعتبر هدفا رئيسا من أهداف نظام الإسلام في التربية .**

وامتثالاً لما تقدم تقريره ، فإن تحديد معنى « الهدف التربوي » يستدعي الرجوع ابتداء إلى معاجم وقواميس اللغة العربية لمعرفة معنى « الهدف » لغوياً ، وحصر ما له من مترادفات لفظية وهذا ما فعله الخطيب (١٤٠٨هـ ß ١٩٨٨م) حيث استقرأ عدداً منها وخَلُصَ إلى أن المعنى اللغوي للهدف في مجمله يعني : الغاية ، أو المرمى ، أو الغرض ، أو البغية ، أو القصد الذي نسعى للوصول إليه ~ (ص٢٠) . وهذا ما أكده أيضاً متولى (١٤١٥هـ ß ١٩٩٥م) ، وزاد عليه بقوله : ويوجد مثل هذا التشابه في القواميس الإنجليزية ، حيث تستخدم هذه المصطلحات لتفسر بعضها بعضا ، فالهدف هو الغاية البعيدة في مختصر اكسفورد كما أن الغرض هو المرمى الذي يوضع للتربية أو للنظام التعليمي أو للمادة الدراسية في قاموس التربية ~ (ص٦٣) .

ومع أن هذه المترادفات تفسر بعضها بعضا ، إلا أن اللغة العربية تميزت في استخدام كل لفظ منها بمعنى خاص به ، – وليس هنا مجال الاستطراد للتدليل على ذلك – ، ولهذا نجد من التربويين المسلمين من يفرق بين « الغايات » و « الأهداف » كما فعل يالجن (١٤٠٩هـß ١٩٨٩م) فيقول : الهدف [هو] المقصد القريب أو الغرض القريب من الفعل . والغاية [هي] المقصد البعيد أو الغرض البعيد ~ (ص ٢٢) .

ولكن بتأمل هذه الألفاظ نجد أنها تشترك في مجموعها في إفادة معنى مستقبلي ، ولذلك عرف إتزيوني Fu{]po (في جاكسون وزميليه ، ١٤٠٨هـß ١٩٨٨م) الهدف بأنه : صورة لحالة مستقبلية ~ (ص ٦١) . وهذه الحالة المستقبلية إنما يتم تحديدها ß كما مر سابقاً ß في مدخلات أي نظام باعتبارها جزءاً من عملية التخطيط ، ومن ثم فإنها تختلف عن النتيجة النهائية التي تكون في مخرجات النظام ، وقد أيد هذا الفرق بين الهدف والنتيجة أبو العينين (١٤٠٨هـß ١٩٨٧م) حيث يقرر ما يلي (ص ١٢) :-

١ . أن الهدف عبارة عن توقع أو تطلع أو اتجاه ينصب العمل على تحقيقه .

٢ . أنه يختلف عن النتيجة ، فالهدف طموح ، والنتيجة واقع قد يحقق الطموح وقد لا يحققه .

ومن هنا كانت النسبة بين الهدف والنتيجة دليل على فاعلية النظام وكفاءته .

ومن جانب آخر فإن تحديد معنى « الهدف التربوي » يستدعي معرفة العلاقة بين الهدف بصفته أحد مدخلات النظام وبين النشاطات أو العمليات التحويلية التي تساهم في تحقيقه . وقد اقترح ليترر Mjufsfs (في جاكسون وزميليه ، ١٤٠٨هـ ß ١٩٨٨م) عملية أطلق عليها « سلسلة الوسائل والغايات » تفيد في فهم هذه العلاقة ، وتتمثل هذه العملية في اعتبار أن كل هدف أو غاية إنما يتطلب قراراً حول الوسائل التي تمكن من تحقيقه ، وتصبح هذه الوسائل فيما بعد أهدافاً فرعية ، وتتطلب بالمثل قرارات حول وسائل بلوغها ، ويمكن أن تستمر هذه العملية بالتدرج مع اتخاذ قرارات أكثر تحديداً إلى أن يتم استنفاد الوسيلة المتوفرة لتحقيق هدف ما (ص ص ٦٦-٦٧) ، ويمكن إسقاط عملية سلسلة الوسائل والغايات أو الأهداف والوسائل على نظام الإسلام في التربية من خلال الهدف الرئيس له وهو «تحقق العبودية الخالصة لله في حياة الإنسان» والذي يقول عنه الباني -رحمه الله تعالى- (١٤٠٣هـ ß ١٩٨٣م):

> فهذه التربية التي تستهدف أن تحقق العبودية الخالصة لله في حياة الإنسان تقتضي فروعا من التربية ، وأهدافا تربوية متعددة متنوعة .
>
> ذلك أن هذه التربية ، تتناول قوى الإنسان وملكاته جميعا :-
>
> ١ - تنمية لجسمه ، وحفظا لصحته ، وهذه هي التربية البدنية - الصحية .
>
> ٢ - وتقويما للسانه ، وإصلاحا لبيانه ، وهي التربية الأدبية .
>
> ٣ - وتثقيفا لعقله ، وتسديدا لتفكيره وأحكامه ، وهي التربية العقلية .

٤ – وتزويدا له بالمعلومات الصحيحة النافعة ، وهي التربية العلمية .

٥ – وترويضا له على وسائل الكسب لعيشه ، وهي التربية المهنية .

٦ – وإيقاظا لشعوره بجمال الكون ، ومعاونة له على التعبير عن هذا الشعور ، وهي التربية الفنية .

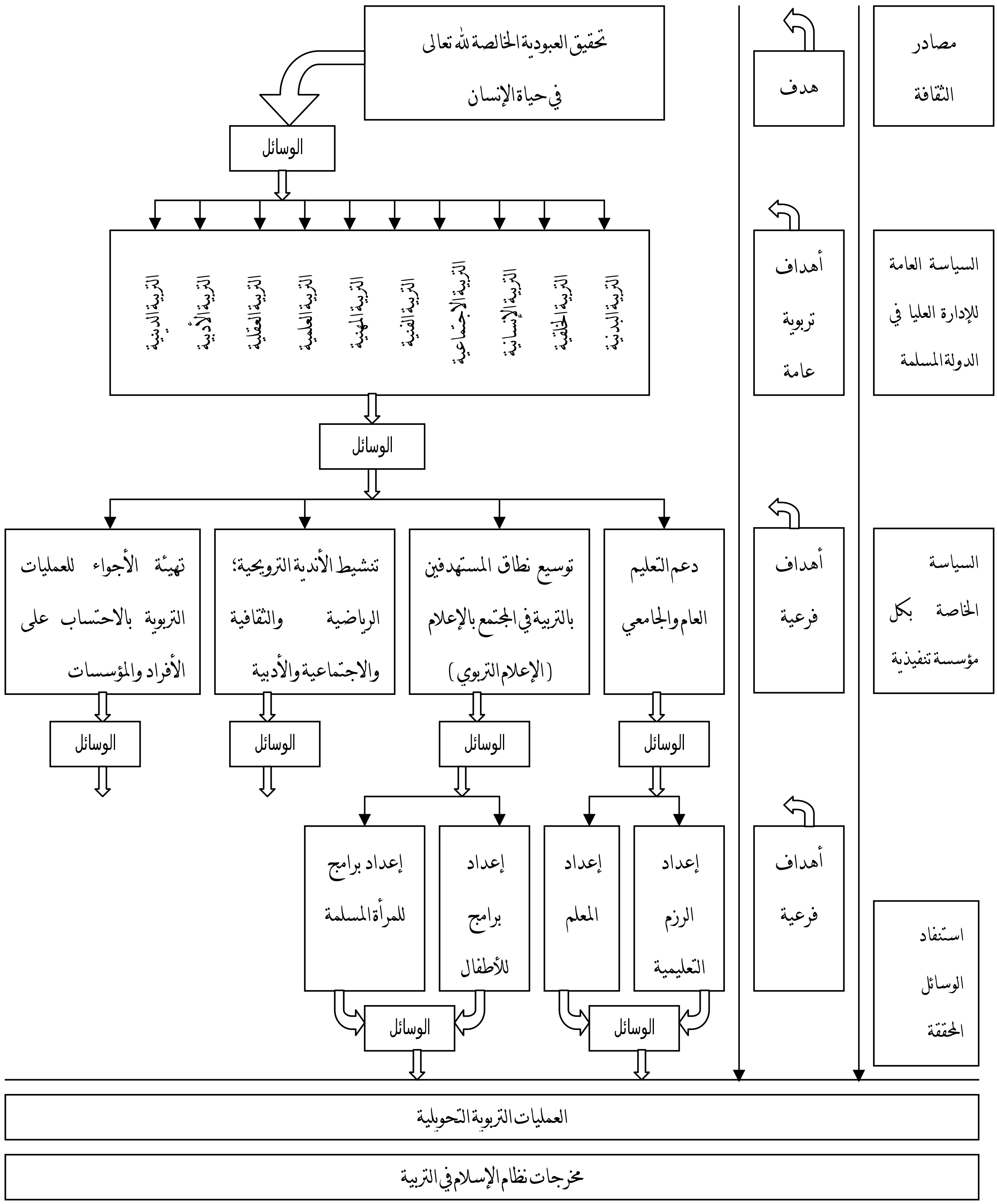
٧ – وتعريفا له بحقوق المجتمع الذي يعيش فيه ، وبما فيه من نظم ، وإعدادا للمساهمة في إصلاحه ، وهي التربية الاجتماعية .

٨ – وتوسيعا لأفق شعوره بالأخوة العالمية ، وبما للآخرين من حقوق ، وهي التربية الإنسانية .

٩ – وتوجيها مستمرا لأعماله على سنن الاستقامة حتى تتكون منها العادات الصالحة ، والأخلاق الحميدة الراسخة ، وهي التربية الخلقية .

١٠– ثم تساميا بروحه إلى الأفق الأعلى بإطلاقه ، وهي التربية الدينية~ (ص ص ٧١–٧٢) .

وبتمثيل قول الباني في الشكل التوضيحي التالي تبرز سلسلة الأهداف والوسائل:



شكل (٢) : سلسلة الأهداف والوسائل

يظهر من الشكل السابق أن « تحقيق العبودية الخالصة لله في حياة الإنسان » بصفتها هدفا رئيسيا – أو غاية عليا – من أهداف نظام الإسلام في التربية مما يتطلب قراراً بتحديد الوسائل التي تحققه ، فالتربية الدينية للإنسان وسيلة لتحقيق العبودية لله في حياته ، وكذلك هي بقية الوسائل الأخرى .

ومن جهة أخرى فإن استهداف الإنسان بالتربية بأبعادها العشرة ß المماثلة في الشكلß كما أنها وسائل ، فإنها أيضاً تعتبر أهدافاً عامةً لنظام الإسلام في التربية وتفتقر إلى قرارٍ يحدد الوسائل التي تحققها ومنها :–

- دعم التعليم[٢٩] العام والجامعي .
- توسيع نطاق المستهدفين بالتربية في المجتمع بالإعلامß « الإعلام التربوي » [٣٠]ß لزيادة فاعلية النظام التربوي .

! !!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!! !

[٢٩] يذكر محمد قطب (١٤١٧هـß ١٩٩٧م) أن التعليم في المصطلح الإسلامي يعني التربية أساسا ، ويشمل المعلومات كذلك ، وليس مقصورا على إعطاء المعلومات والخبرات كما هو شائع في كلام « التربويين » اليوم . ودليل ذلك من القرآن الكريم قوله تعالى : ﴿ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِى عِلۡمًا ﴾ [طه ٢٠/١١٤] ، ومن الحديث الشريف قوله ﷺ : « اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع » (في مسلم ، ١٩٧٢م ، ح ٢٧٢٢) أي لا يقرب من الله (ص ٢٦٩) .

[٣٠] يحدد البدر (١٤١٢هـß ١٩٩٢م) المقصود بالإعلام التربوي فيقول : هو المحاولة الجادة للاستفادة من تقنيات الاتصال وعلومه من أجل تحقيق أهداف التربية من غير تفريط في جدية التربية وأصالتها أو

- تنشيط الأندية الترويحية الرياضية ، والثقافية ، والاجتماعية ، والأدبية .
- تهيئة الأجواء للعمليات التربوية بالاحتساب على الأفراد والمؤسسات التنفيذية وذلك لضمان عدم صدور أنشطة تعارض أهداف النظام التربوي وتأثر عليه سلباً .

وبالتأمل في هذه الوسائل نجد أن كلا منها في حد ذاته يعد هدفاً فرعياً مستقلاً ويتطلبُ قراراً يُحَدَدُ فيه الوسائل التي تحققه ، وجدير بالذكر أن هذه الوسائل المشار إليها في الشكل لا يغفل دور أو يقلل من أهمية غيرها من الوسائل والتي لم تذكر مثل المسجد والأسرة وسواها ، وإنما المراد من تحديدها بالذكر لكونها – والله أعلم – الأكثر تأثيرا والأوسع انتشارا واتصالا بالمستهدفين بالتربية في العملية التربوية في وقتنا المعاصر .

إن دعم التعليم العام والجامعي يحتاج إلى وسائل عدة منها : إعداد رزم تعليمية ينسلك فيها المتعلم ، كما يحتاج أيضا إلى إعداد المعلم الذي سيقوم بتعليم المتعلم .

! !

☞ !

إفراط في سيطرة فنون الاتصال وإثارته عليها ~ (ص ٤١) . أما عن الدور التربوي لوسائل الإعلام فقد أقتبس قول الدكتور عبد العزيز جعفر وفيه : إن الدور التربوي الذي تقوم به وسائل الإعلام بالغ الأهمية سواء من حيث اتساعه إذ يغطي قطاعات عريضة من المواطنين يصعب أن تغطيها برامج التعليم النظامي ، أو من حيث مدته إذ يأخذ نصيبا ملموسا من الوقت اليومي لكل فرد ، كما أنه يشمل مواد متنوعة من الثقافة والتوجيه والترفيه في مختلف المجالات بالإضافة إلى أنه يتميز بالاستمرار وتراكم التأثير (منذ الطفولة وحتى الشيخوخة محققا بذلك مفهوم التربية المستمرة مدى الحياة) ~ (ص٣٦) .

وبالمثل فان توسيع نطاق المستهدفين بالتربية في المجتمع بالإعلام يفيد في تربية الطفل والمرأة والشيخ الكبير وساكني القرى والبوادي وغيرهم ممن لم تصل إليهم مؤسسات التعليم ، وذلك يتطلب استخدام وسيلة تحقق ذلك .

وبناء على هذا نجد أن الأهداف والوسائل إنما هي حلقات متصلة يظهر فيها بوضوح تسلسل الأهداف من الأعلى إلى الأدنى ، وأن كل هدف أدنى هو وسيلة لتحقيق الهدف الذي قبله . وبذلك يمكن القول أن لنظام الإسلام في التربية أهدافاً عامة انبثقت عن أهداف وغايات الإسلام العظمى ، كما أن لكل مؤسسة تنفيذية ذات دور في العمليات التربوية أهدافاً فرعية أو خاصة انبثقت عن الأهداف العامة لنظام الإسلام في التربية ، ومن تلك المؤسسات ؛ مؤسسات التعليم ، والإعلام ، والاحتساب .

وفي ضوء المعطيات السابقة :–

- طبيعة « الإنسان » وحقيقته .
- ومفهوم « التربية » .
- ومكونات « النظام التربوي » .
- ومفهوم « الهدف » لغوياً .

يمكن تحديد مفهوم « الهدف التربوي » في نظام الإسلام في التربية بأنه : « كل قرار يُتخذ لصالح الإنسان المستهدف بالتربية ، وينصب العمل على تحقيقه بالوسائل الممكنة ، بغية

الحفاظ على سلامة فطرته ، وتنمية طاقاته ، والسمو بدوافعه ، من أجل تأهيله بالوعي اللازم لأداء دوره المهم في الحياة ، سواءٌ أكان منفرداً أم في جماعة ، ولتحصينه من أن يؤتى من قبل ضعفه فيسقط في مهاوي الردى ، وكل ذلك في وسطية تنال كل أبعاده الجسدية والروحية والعقلية» .

وبعد هذا التحديد لمفهوم « الهدف التربوي » يبقى التساؤل قائماً عن أهمية تحديد الأهداف التربوية لنظام الإسلام في التربية ، وما خصائصها ومصادر استمدادها ؟ .

أهمية تحديد الأهداف التربوية

تتضح أهمية تحديد أهداف نظام الإسلام في التربية بتناولها من خلال أبعاد أربع هي :

١ . باعتبارها جزءا رئيسا من مدخلات النظام التربوي .

٢ . باعتبار أثرها على الأفراد الساعين إلى تحقيقها .

٣ . باعتبار ما لها من انعكاسات على سياسات بقية نظم الدولة المسلمة ؛ بمختلف مؤسساتها التنفيذية .

٤ . باعتبارها إحدى مراحل عملية التخطيط التربوي – بل المرحلة الأولى فيها – وتستند على مرحلة دراسة الواقع المتقدمة عنها .

البعد الأول : باعتبارها جزءا من مدخلات النظام التربوي

لقد تقدم الحديث عن مكونات النظام التربوي وقد بدت فيه أهمية تحديد مدخلاته والتي منها الأهداف التربوية ، – بصفتها قرارات مُوَجِهة لمنظومة العمليات التربوية – ، وتتضافر بقية المدخلات الأخرى من وسائل وأساليب وتقنيات اتصال وأفراد . .وغير ذلك على تحقيقها . وانطلاقا من هذا البعد يمكن إبراز أهمية تحديدها في النقاط التالية :–

١ . أنها تؤثر على تحديد واختيار بقية مدخلات النظام التربوي ومن ثم تؤثر على دورته ، وفي ذلك يقول الكيلاني (١٤١٧هـ ß ١٩٩٧م) : وأهمية هذه الأهداف أنها تحدد مسارات الأنشطة التربوية وتحدد الوسائل والأدوات اللازمة للتنفيذ والتقويم ~ (ص ص ٢٧–٢٨) .

٢ . أنها بمقارنتها بالنتائج المتحققة فعلا تعتبر معياراً تقيمياً على فاعلية النظام التربوي وكفاءته .

البعد الثاني : باعتبار ما لها من أثر على الأفراد الساعين إلى تحقيقها

الأفراد هم أحد أهم مدخلات النظام التربوي ، والعنصر الفاعل فيه ، ويتأثرون بأهدافه ؛ ويتضح تأثرهم بها من خلال النقاط التالية:–

١. أن لها تأثيراً إيجابياً على الأفراد الساعين إلى تحقيقها عند إيمانهم وقناعتهم بها ومشاركتهم في تحديدها ، فهي بمثابة الدوافع لسلوكهم ، وعن ذلك يقول يالجن (١٤٠٩هـß ١٩٨٩م) :

> إن الأهداف تكون غالبا عاملة محركة للسلوك وموجهة إليه . فكلما كانت الأهداف واضحة وسامية وكان الإيمان بها قويا وراسخا كان المرء أكثر اندفاعا لتحقيقها وساعيا من أجلها ، وكلما كانت جذابة محققة آمال الإنسان وحاجاته الأساسية المادية والمعنوية كانت أكثر إثارة للمرء للعمل من أجلها والتضحية في سبيلها ~ (ص ٩) .

٢. مما يدل على أهميتها أن مسؤولية تحديدها في نظر الخطيب (١٤٠٨هـß ١٩٨٨م) تقع على عاتق قيادات المجتمع المختلفة ، سواءً الثقافية أو السياسية أو الاقتصادية [أو الإعلامية وغيرها] ، وكذلك المتخصصين في التربية وعلم النفس ، والعاملين في الحقل التربوي (ص ٧٨) .

البعد الثالث : باعتبار انعكاساتها على سياسات نظم الدولة المسلمة

تعتبر الأهداف التربوية مرتكزا تنطلق منه سائر نظم الدولة المسلمة بمختلف مؤسساتها التنفيذية في رسم سياساتها الخاصة بها ، ويجب أن لا تتعارض أهدافها الخاصة معها [أي الأهداف التربوية] ، بل على هذه النظم أن تعمل على المواءمة والانسجام بينها ، ومن ثم عليها أن تمارس أنشطتها على نحو لا يتعارض معها ، ولا يؤثر على العمليات التربوية التي تعمل على تحقيقها ، لا سيما وأن سائر نظم الدولة تتفاعل مع بعضها البعض في بيئة واحدة ،

وأي خلل يحدث في تكامل وانسجام هذه النظم يؤثر بالدرجة الأولى على النظام التربوي وأهدافه ؛ بل يؤثر على جميع النظم ومؤسساتها ؛ مما يضعف فاعليتها وكفاءتها .

البعد الرابع : باعتبارها إحدى مراحل عملية التخطيط

تسير عملية التخطيط وفق مراحل أو خطوات منطقية ترتكز على بعضها البعض في حلقات متصلة ، تبتدئ بدراسة الواقع ، ثم تحديد أولويات المعالجة ، ثم تحديد الأهداف ، ثم تعين الوسائل ، ثم تعين الأفراد ، ثم تجزيء الخطة وفق برامج عمل فصلية أو مرحلية ، وتنتهي بقياس التنفيذ وتقيمه .

وبما أن العمليات التربوية تستهدف كافة أفراد إنسان حضارة الإسلام الفاعل ، وبعبارة أخرى ؛ أي تستهدف كافة أفراد الأمة الإسلامية ، لذا فإن التخطيط التربوي يتسع ليشمل دراسة واقع الأمة الإسلامية في وقتنا المعاصر وذلك لتحديد مظاهر الضعف والقوة فيها ، ومن ثم تحديد أولويات المعالجة في هذه المظاهر ؛ وعلى ذلك يستند تحديد أهداف نظام الإسلام في التربية الناشط فيها .

أما الواقع المعاصر للأمة الإسلامية فقد وصفه القرضاوي (١٤٠٦هـ ß ١٩٨٥م) بإجمال فقال : [إن] الأمر أكبر وأعمق من مجرد خلل ، إنه غيبة عن الوعي ، إنه فقدان الهوية ، إنه التيه عن الغاية ومن بعده ß بالضرورة ß ضياع الطريق ~ (ص ٧) .

ولا سبيل إلى تغيير هذا الواقع المرير إلا بالتربية ، فبها يكون الوعي الشاهد ، وبها تعتز الأمة بانتمائها إلى الإسلام ، وتعرف معنى هذا الانتماء حين تدرك الغايات المنبثقة عنه ، فتبصر معالم الطريق والصراط المستقيم .

ولا يتحقق ذلك إلا إذا تولت الأمة مهمة التخطيط لنظامها التربوي بنفسها وحددت أهدافه فهي أقدر على ذلك وأبصر لنفسها ، وفي ذلك يقول الكيلاني (١٤١٧هـ ß ١٩٩٧م) :

> إن الأمة يجب أن تتولى تخطيط نظم التربية فيها وتحديد فلسفتها وأهدافها لا أن تتركها إلى أقلية من البيروقراطية التربوية التي تتلاعب بتشكيل أجيال الأمة طبقا للأهواء الحزبية والمصالح الشخصية والولاءات الثقافية المغتربة المضطربة ~ (ص ٥١) .

إن واقع التخطيط التربوي في الأمة الإسلامية هو الذي دفع العديد من التربويين المخلصين إلى التحذير من مغبات الاستمرار في التخلي عن مسؤولية التخطيط التربوي . فلقد نشطت في العالم الإسلامي مؤسسات وهيئات مشبوهة تولت تلك المهمة أو ساهمت في توجيهها تحت شعارات متعددة براقة مثل : « التطوير » و « التبادل الثقافي » واستخدمت في ذلك أقوى وسيلتين مؤثرتين في العمليات التربوية وهما : « التعليم » و« الإعلام » وباستعراض نشاطها في أحد هاتين الوسيلتين وهي « التعليم » تدرك حقيقة تلك الدعوات والتحذيرات المخلصة ودوافعها من أولئك التربويين المسلمين .

لقد أعد جودة وزملاؤه (د . ت) كتابا قيما بعنوان « المؤامرة على التعليم والمعلم » يعتبر جهداً موفقاً في بابه[٣١] ، بينوا فيه أهمية « التعليم » في العمليات التربوية ، وموقف الأمم المتباينة في تناوله فقالوا :

> إن كلمة التطوير في مجال التعليم عندنا [أي مصر] تقترن دائما بمخطط أليم نراه ينفذ بخبث ضد عقل الأمة وعقيدتها Ø
>
> ومن قبل طور الاستعمار التعليم عندنا فحوله إلى تعليم علماني بقصد تحطيم عقيدتنا وقيمنا حتى لا يبقى لنا بعدها ما ندافع عنه أو نحرص عليه فيسلس على الأعداء قيادتنا . ويعبر عن ذلك الشاعر محمد إقبال [– رحمه الله تعالى –] فيقول : "إن التعليم هو الحامض الذي يذيب شخصية الكائن الحي ثم يكونها كيف يشاء " .
>
> ولذلك ينعى مفكر أمريكي على بني قومه استيراد نظرية التعليم الإنجليزي أو الأوروبي رغم تقارب الأمريكان معهم في الدين واللغة والحضارة فيقول الأستاذ كونر : "إننا في فترة من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزي أو الأوروبي إلى بلادنا" .

[٣١] إن عمل جودة وزملاءه (د . ت) إنما هو جزء من جهد موفق صدر في سلسلة بعنوان : « **الغزو الفكري في المناهج الدراسية** » تصل إلى عشرين إصدارا ، تناولت بالدليل والرصد حركة التطوير المشبوه في مختلف المناهج الدراسية في جمهورية مصر العربية وبعض المناهج في الدول الإسلامية الأخرى .

ولقد قامت دار الوفاء للطباعة والنشر بمصر بتولي مهمة نشر هذه السلسلة القيمة .

> ومن قبل نادى مفكر روسي بضرورة مركسة التعليم فقال : "إن أساس علومنا الطبيعية فلسفة ماركس ولينين ، فإذا كان هذا هو شأن العلوم الطبيعية فكم يكون الخطر من العلوم الإنسانية التي نستوردها في بلادنا " ~ (ص ٣) .

ثم تابعوا باستعراض جهود بعض المؤسسات والهيئات والمنظمات [٣٢] التي تتآمر على التعليم في بلادنا الإسلامية مستغلة بذلك القروض والمعونات والمساعدات المالية المقدمة من الغرب بشروطها [٣٣]، فذكروا منها :-

[٣٢] من المصادر التي رجع إليها جودة وزملاؤه (د . ت) في موضوع المعونات الخارجية والهيئات المعنية بالتعليم : حجي ، أحمد ، إسماعيل ß (١٩٩٢م) ، **المعونة الأمريكية للتعليم في مصر** ، مكتبة عالم الكتب . وكذلك ؛ جلال ، دينا ß (١٩٨٨م) ، **المعونة الأمريكية لمن ؟ مصر أم أمريكا** ، رسالة ماجستير من جامعة القاهرة ، من سلسلة كتاب الأهرام الاقتصادي . وأيضا ؛ مجلة Uif! Nvtmjn! Xpsme ، عدد ٢١ يناير ١٩٧٨م . وأنظر كذلك؛ إبراهيم ، تسنيم ß (١٤١٨هـ- ١٩٩٧م) ، **الخطة الأمريكية لتحديد النسل في البلاد الإسلامية** ، الكويت : مجلة المجتمع ، العدد (١٢٧٤) ، ص ص ٢٠-٢٤ . حيث يبرز فيه دور التعليم في تحقيق الخطة الأمريكية الهادفة إلى تحديد النسل على مستوى العالم الإسلامي .

[٣٣] أوصي بأهمية إعداد دراسات علمية تكشف جهود هذه المؤسسات المشبوهة ، فما ورد في دراسة جودة وزملاؤه (د . ت) إنما هي غيض من فيض يتناول نشاطها في قطر مسلم واحد وهو جمهورية مصر العربية بشيء من التفصيل ، وحتما لم تسلم بقية دول العالم الإسلامي - خصوصا ما كان منها في الماضي واقعا تحت نير الاستعمار أو منضما إلى هيئة الأمم المتحدة حاليا - من مؤسسات أخرى لها أنشطة مشابهة ، وربما تحت مسميات أخرى . ويعود اهتمام هذه المؤسسات المشبوهة

أولاً :

مشروع الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية الخاص بالتعليم الأساسي رقم ٢٦٣-١٣٩ والذي بدء في ١٩/٨/١٩٨١م وخرج إلى حيز التنفيذ في صور ثلاث وجميعها في مصر :-

! !

! ✍

بمصر لمكانتها القيادية بين بقية الدول الإسلامية لا سيما العربية منها ، وفي ذلك نقل جودة وزملاؤه (د . ت) اعتراف د . كوديث كوكران ß الخبيرة الأمريكية التي شاركت في تخطيط التعليم المصري ß في كتاب لها بعنوان « التربية في مصر Fevdbujpo! jo! Fzhqu » ß قام بترجمته د . أحمد شفيق ، وطبع في القاهرة سنة ١٩٨٩م ß حيث تقول فيه : "مصر هي القائد التربوي في الشرق الأوسط ، كما أنها المخطط والمنفذ في الماضي والحاضر للسلوك الاقتصادي والاجتماعي في الشرق الأوسط وفي جميع أنحاء العالم الإسلامي وعلى مدى أكثر من ألف عام حيث كان الأزهر مركزا للعلوم الإسلامية والتربية الإسلامية والفكر الإسلامي . [وتقول أيضا] : إن معظم الجامعات الخمسين في الشرق الأوسط قد أسسها مصريون كما أن من ٦٠% إلى ٩٠ % من المدرسين في منطقة الخليج من المصريين . وفي سنة ١٩٧٨م كان (٣٠) ألف مدرس وأستاذ جامعي يعملون في الدول العربية والإفريقية . وأكثر من (٥٠) ألف من العرب والأفارقة والآسيويين يتلقون العلم في مصر" ، (ص ٣٤) . كما أوصي بإجراء دراسة علمية تبرز الدور المأمول أن تقوم به المنظمات الإسلامية المستقلة مثل : « رابطة الجامعات الإسلامية » ، « رابطة العالم الإسلامي » ، « منظمة المؤتمر الإسلامي » ، وسواها في تفعيل النظام التربوي لأمتها من منظور الثقافة الإسلامية ، مع اقتراح الآلية التنفيذية التي يتحتم عليها سلوكها لتحقيق ذلك .

١ . مركز التخطيط التربوي والمعلومات ، أو الإدارة المركزية للتخطيط والمعلومات . ويعمل فيه (١٦٦) خبيراً أمريكياً في حين أن حجم المعونة الأمريكية لإسرائيل أكبر من حجم المعونة الموجهة إلى مصر إلا أن المعونة في إسرائيل تدار بواسطة ثلاثة أفراد أمريكيين فقط ، أما بعثة هيئة المعونة الأمريكية في مصر فتعتبر أكبر بعثة على مستوى العالم (ص ٨) .

٢ . مؤسسة الأبنية التعليمية (ص ١١) .

٣ . مركز تطوير المناهج (ص ١٤) . ويذكر عبد الهادي (د . ت) أن مسؤولة لجنة التربية الإسلامية فيه هي د . ليندا لامبرت! ! (ص ٥٢) .

ثانياً :

منظمة اليونسكو التعليمية VOF'IDP التابعة لهيئة الأمم المتحدة ، ومن أنشطتها إصدار مؤلف في ستة مجلدات كرؤية لتاريخ البشرية ويحتوي على الكثير من الأكاذيب حول الإسلام والمسلمين (ص ٨١) .

ثالثاً :

منظمة الإسلام والغرب ، وهي جمعية تكونت تحت رعاية اليونسكو VOF'IDP ، ومنظمة التعليم والثقافة التابعة لجامعة الدول العربية BMF'IDP ، حيث عقدت ندوة استشارية حول التوصل إلى تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب عن طريق تغيير مناهج التاريخ والعقيدة الإسلامية ، وقد تم ذلك في فينسيا (البندقية) بإيطاليا في الفترة من ١٦–٢٠ أكتوبر ١٩٧٧م . وفي ١٩٧٩م أصدرت دستورها الذي حظي بالقبول وكان عنوانه « مراجعة كتب

تدريس التاريخ وتطوير المواد التعليمية بوصفها السبيل إلى تفاهم أفضل بين الإسلام والغرب » (ص ٨٢) ، ومما جاء فيه ما أثبته عبد الهادي (د . ت) ونصه : يلزم فحص الكتب الدراسية التي قامت بتقديم الظاهرة الدينية ، على أن يقوم بذلك علماء من مختلف التخصصات وكذلك أعضاء من أصحاب العقائد الأخرى وكذلك الدينيين ~ (ص ٥٣) .

إن اتساع نشاط هذه المؤسسات وغيرها في عملية التخطيط التربوي للعالم الإسلامي هو الذي دفع العديد من التربويين المسلمين إلى دعوتهم المخلصة بأهمية أن تتحمل الأمة الإسلامية مسؤولية التخطيط التربوي لنفسها ß بمفهوم التربية المحدد آنفا – ، لأنها أقدر على تحديد أهداف نظامها التربوي من منطلق الثقافة الإسلامية التي تعتز بالانتماء إليها .

خصائص الأهداف التربوية

تستمد أهداف نظام الإسلام في التربية خصائصها من مصدرين هما :–

١– الثقافة الإسلامية التي انبثقت عنها .

٢– النظام التربوي الذي توجه مساره .

وكل من هذين المصدرين يضفي على الأهداف التربوية خصائص وسمات مميزة ، تعتبر في حد ذاتها دلائل يقين على صحة نظامها التربوي ، ودوافع ثقة وقبول لمن تبناه واعتد به .

وباستعراض تلك الخصائص ß كل حسب مصدره ß يصدق الخبر .

أولا : خصائص مستمدة من مصادر الثقافة الإسلامية

للمذهبية الإسلامية خصائص متميزة تترك آثارها على كل بُعد يرتبط بها ، ومن تلك الأبعاد «الإنسان» ، فهي تقرر كثيرا من جوانب حقيقته وكنهه ، وتضع له التشريعات المنظمة لشئونه ، وتوجه الأنظمة التي ينشئها ومنها النظام التربوي ، وتحدد علاقته بغيره . وبذلك كله تضعه في إطار متكامل مترابط .

وباستعراض خصائص مصادر الثقافة الإسلامية سيطول السياق ، ولكن يكفي الإحالة إلى ما كتب عنها وهو كثير[٣٤] مع ذكرها هنا إجمالاً وهي : « الربانية » ، « الإنسانية » ، « الواقعية » ، « موافقة الفطرة البشرية » ، « التكامل أو الارتباط » ، «

[٣٤] للإطلاع على خصائص الثقافة الإسلامية أنظر ما يلي :

القرضاوي ، يوسف ß (١٤٠٥هـ ß ١٩٨٥م) ، **الخصائص العامة للإسلام** ، ط ٣ ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

وله ß (١٤١٦هـ ß ١٩٩٦م) ، **مدخل لمعرفة الإسلام – مقوماته . . خصائصه . . أهدافه . . مصادره** ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة وهبه ، (ص ص ١٣١–١٩٠) .

قطب ، محمد ß (١٤٠٣هـ ß ١٩٨٣م) ، **منهج التربية الإسلامية** ، ط ٧ ، جزءان ، بيروت : دار الشروق ، (ج ١ ، ص ص ١٨–٣٣)

وله ß (١٤١٧هـ ١٩٩٧م) ، **ركائز الإيمان** ، ط ١ ، الرياض : مركز الدراسات والإعلام / دار إشبيليا ، (ص ص ٣٣٨–٣٥٨) .

الشمول » ، « الوسطية أو التوازن » ، « الوضوح» ، « الثبات والتطور » ، « تبحث عن الحق بمنهج فكري متميز » . هذه هي خصائص مصادر الثقافة الإسلامية ومن المسلم به أنه سيكتب عنها الكثير في مستقبل الأيام نظراً لأن أس هذه الخصائص «الربانية » وما سيصدر عنها من الخصائص كثير .

ولما كانت مصادر الثقافة الإسلامية مصدرا رئيسا لنظام الإسلام في التربية فإن خصائصها تترك آثارها على خصائص الأهداف التربوية وتنعكس عليها بوضوح كما يظهر من خلال استعراضها وهي:-

١ . أنها أهداف ربانية في غايتها ووجهتها ، تروم توثيق صلة الإنسان بربه ، وبهذه الصلة يتحقق الخير له والسمو به ، ويُحال بينه وبين الانحراف والسقوط ، وبذلك تتم له السعادة في الدارين . ولا تختص هذه الربانية على أهداف التربية فقط بل إنها تنعكس على كافة الأهداف الفرعية المنبثقة عنها .

٢ . أنها ربانية في مصدرها ، حيث أنها تستمد ابتداء من الوحي الإلهي بشقيه القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٣ . أنها أهداف ربانية في منهجها ؛ تحقق بوسائل شرعية تقرها مصادر الثقافة الإسلامية للوصول إلى ما حُدِدَتْ من أجله ، وقد أكد ذلك أحمد (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) بقوله :

> والفكر الإسلامي لا يعترف بالفصل بين الوسائل والأهداف ، وإنما يعد الوسيلة جزء من الهدف ، فالوسائل هي

> الأداة الوحيدة لتحقيق ما يؤمن به الفرد أو المجتمع من الأهداف ، وينبغي العناية الكاملة بها ، والتدقيق في بحثها واختيارها ، إذ الوسيلة الفاسدة تضيع الهدف الصالح وتحيد عن الطريق ~ (ص ٣٧) .

٤ . أنها أهداف إنسانية في غايتها ووجهتها ، تحدد من أجل الإنسان ، وتتخذ لصالحه ، لتأهله بالوعي اللازم ليتمكن من أداء دوره المهم في الحياة سواءً أكان منفرداً أم في جماعة ، وأول ما يعينه على ذلك في رأي العلواني (ب – ١٩٩٥م) إكسابه القدرة على أن يجمع بين قراءتين لكتابين أنزل الله تعالى أحدهما ، وخلق الثاني ، الكتاب الأول هو القرآن الكريم المكنون المجيد الذي فيه تفصيل كل شيء ، والثاني هو الكون والخلق ß الوجود ß الذي ما فرط الله فيه من شيء ، فكل من القراءتين ركن معرفي ومصدر إنشائي لا يمكن تجاوزه أو التساهل في قراءته ، ويستحيل قيام عمران رشيد وحضارة سديدة بدون جمعهما وضمهما ß معاً ß إلى درجة الدمج التام ، فبهما يتمكن الإنسان من القيام بمهمة الاستخلاف وأداء الأمانة وتحقيق العمران (ص ٩) ، وبذلك تلتقي ربانية الأهداف مع إنسانيتها ، ربانيتها بتوثيق صلة الإنسان بالله ، وإنسانيتها بتأهيله بالوعي اللازم الذي يعينه على فهم مصادر تلك الربانية ، وفي ذلك يقول القرضاوي (١٤٠٥هـ ß ١٩٨٥م) :

وإذا كان مصدر الإسلام ربانيا فإن الإنسان هو الذي يفهم هذا المصدر ، ويستنبط منه ، ويجتهد على ضوئه ، ويحوله إلى واقع تطبيقي ملموس ~ (ص ٥٩) .

٥ . أنها أهداف موافقة للفطرة البشرية ومراعية لها ، تتعامل معها في جميع أحوالها ، في قوتها وضعفها ، ومنشطها ومكرهها ، يؤكد ذلك الكيلاني (١٤١٧هـß ١٩٩٧م) بقوله : أن تكون الأهداف التربوية متفقة مع الطبيعة الإنسانية ، مراعية لحاجاتها ، قابلة لإطلاق قدراتها الإبداعية ~ (ص ٣٠) .

٦ . أنها أهداف واقعية تحدد ولكن مع استحضار كامل لطبيعة « الإنسان » ، تروم الحفاظ على فطرته الخيرة وفي الوقت ذاته تخشى عليها من زلات ضعفه إزاء المغريات ، تروم تنمية طاقاته ولكنها توقن بمحدوديتها ، تتدرج من ضعفه إلى قوته ، من طفولته إلى شيخوخته ، من البساطة في دوافعه إلى السمو بها ، من التصاقه بطينته إلى تحليقه بروحه ، ويؤكد واقعية الأهداف التربوية عبد الله (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) بقوله : الأهداف التربوية في الإسلام أهداف واقعية ، فالتربية الإسلامية تبدأ بالإنسان من حيث هو إنسان ثم تعمل على إيصاله إلى كماله الإنساني كي يتمكن من تحقيق الخلافة في هذه الأرض ~ (ص ٥٠) . بل إن من واقعيتها أنها تقر بالتفاوت الفطري ، أو بعبارة أخرى بالفروق الفردية بين إنسان وآخر ، فالطاقات والقدرات تتباين بين إنسان وآخر ، وكذلك العزيمة على التدرج في مستويات الكمال الإنساني تتفاوت ، فجميعها مظاهر من التفاوت يفرضها الواقع الإنساني وتعالجها أهداف التربية كل بحسبه .

٧ . أنها أهداف متكاملة مترابطة تروم وضع الإنسان وعلاقاته في إطار متكامل مترابط ، ومن ذلك تحقيق التكامل في ذاته من خلال ربط جميع مكوناته الثلاثة : جسمه وعقله

وروحه مع بعضها البعض فتشكل في مجموعها حقيقته المتكاملة في ذاتها والتي يعنيها محمد قطب (١٤٠٣هـ ß ١٩٨٣م) بقوله :

> إنه في الوقت الذي يؤمن فيه [أي الإسلام] بكل جوانب الإنسان : جسمه وعقله وروحه ، ومطالب كل جانب وطاقاته ، يؤمن كذلك بوحدة الكيان البشري واتصاله ، واستحالة فصل جانب منه عن جانب في الفطرة السوية التي تسير على نهجها الذي خلقه الله .
>
> ومن ثم لا يفصل في داخل النفس بين الجسم والعقل والروح . ولا يفصل في واقع الحياة بين هذه الطاقات . بل يأخذها بفطرتها السوية ممتزجة مترابطة ، ويرسم لها دستورها على ذلك الأساس ~ (ص ص ٢٣-٢٤) .

وبالإضافة إلى ذلك فإنها توجهه إلى تحقيق التكامل والترابط مع علاقاته المتعددة ، ومنها المجتمع ، فأولت بذلك الإنسان ومجتمعه عنايتها ، وفي ذلك يقول عبد الله (١٤٠٠هـ ß ١٩٨٠م) : والأهداف التربوية في الإسلام تعني بالمجتمع عنايتها بالفرد ، فكل إنسان هو فرد مستقل بذاته وهو في الوقت نفسه عضو في مجتمع معين ولا وجود في التاريخ البشري لإنسان عادي عاش بمعزل عن الآخرين وكان قادرا على تحقيق ذاته الإنسانية ~ (ص ٤٥) .

٨ . أنها أهداف شاملة ، تشمل في مساعيها طبيعة « الإنسان » كلها ؛ شمولا يستوعب كيانه كله جسمه وعقله وروحه . شمولا يستوعب زمنه كله ؛ كل مراحل حياته ووجوده . شمول يستوعب أنشطة حياته كلها .

٩ . أنها أهداف متزنة تروم وضع الإنسان ككل في وضع متزن وسط ، فلا تطغى فيه ماديته على روحانيته ، ولا مثاليته التجريديه على واقعيته ، فيتنازع حاله عندئذ بين طرفين ؛ وكلا الحالين ذميم يقول محمد قطب (١٤٠٣هـß ١٩٨٣م) :

> التوازن ß وهو سمة من سمات الإنسان الصالح ß معنى واسع شامل يشمل كل نشاط الإنسان .
>
> توازن بين طاقة الجسم وطاقة العقل وطاقة الروح . توازن بين ماديات الإنسان ومعنوياته . توازن بين ضروراته وأشواقه . توازن بين الحياة في الواقع والحياة في الخيال . توازن بين الإيمان بالواقع المحسوس والإيمان بالغيب الذي لا تدركه الحواس . توازن في النظم الاقتصادية والاجتماعية والسياسية . توازن في كل شيء في الحياة ~ (ص ص ٢٧-٢٨) .

١٠ . أنها أهداف واضحة لوضوح مصدرها الرباني الذي حدد الأهداف والغايات العليا للإنسان المخلوق ، فذلك الوضوح المشرق في الأهداف والغايات العليا للإنسان هو الذي جعل أهداف نظام الإسلام في التربية تتسم بالوضوح ، وميزها عن غيرها من أهداف النظم التربوية الوضعية ، وكذلك وسم الأهداف الفرعية المنبثقة عنها بالوضوح التام في جميع مستوياتها .

ومثال هذا الوضوح ما قرره القرضاوي (١٤١٦هـ ß ١٩٩٦م) من أن الإسلام يهدف إلى بناء الإنسان الصالح ، والأسرة الصالحة ، والمجتمع الصالح ، والأمة الصالحة ، والدولة الصالحة ، والدعوة إلى خير الإنسانية (ص ١٩١) .

وفي دراسة أخرى له (١٤٠٥هـ ß ١٩٨٥م) أوضح أن الإسلام حدد مظاهر الصلاح في الأفراد وفي الأسرة وفي الأمة ، فعلى مستوى الأفراد رهن الصلاح بأمور أربعة ذكرت في القرآن الكريم بوضوح في قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣ ﴾ [العصر ١٠٣/١-٣] ، وهذه الأمور هي:

- الإيمان .
- العمل الصالح .
- التواصي بالحق .
- التواصي بالصبر .

وعلى مستوى الأمة الصالحة رهن الصلاح أيضا بارتباط أفرادها بقيم الإسلام العليا ومبادئه المثلى وأهمها :

- التجمع على العقيدة الإسلامية والتمحور حولها .
- احترام العمل الصالح بل تقديسه [تقديره] سواء أكانت صبغته دينية أم دنيوية .

- الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .
- والجهاد في سبيل الله حماية للحق وتثبيتا للخير وتأمينا للدعوة ومنعا للفتنة وصدا للمغيرين وتأديبا للناكثين وإنقاذا للمستضعفين .
- وتثبيت الفضائل الخلقية كلها في شتى جوانب الحياة ونشرها وحمايتها .

ولتحقيق مظاهر الصلاح آنفة الذكر وضع الإسلام المناهج والطرق الواضحة أو بعبارة أخرى وضع الوسائل ومنها :–

- تشريع عبادات وشعائر تغذي الروح ، وتزكي النفس ، وتربي الإرادة ، وتوحد الاتجاه ، وتدرب الإنسان على كمال العبودية لربه الأعلى ، الذي خلق فسوى ، والذي قدر فهدى .
- الدعوة إلى أخلاق وفضائل تقاوم الأنانية ، وتربي روح الغيرية ، وتعني بزكاة الفرد ، وتماسك المجتمع ، تزكي نوازع الخير ، وتقلم أظافر الشر .
- سلوك آداب وتقاليد تصحب المسلم في حياته كلها ، تربي الأذواق ، وتحمي الأخلاق ، وتُجَمِّلْ الحياة ، وتصنع وحدة المظهر مع الخير ، وتصون المجتمع من عبث المتحللين ، وتزمت المتزمتين .
- وضع نظم وتشريعات للفرد وللأسرة وللجماعة ، ومنها النظام التربوي .

وبذلك ترتبط الأهداف مع وسائلها بوضوح وتناسق تام (ص ص ١٩٧– ٢٠٨) .

١١. أنها أهداف ثابتة مرنة ؛ ثابتة بصفتها « هدفا » ، مرنة بصفتها « وسيلة » ، وذلك نظرا للتداخل بين الأهداف ووسائلها حيث تتبدل الوسائل إلى أهداف فرعية تتطلب قرارا بتحديد وسيلة أو وسائل تعمل على تحقيقها .

إن الأهداف والغايات الرئيسة المستمدة عن مصادر الثقافة الإسلامية ثابتة ، وكذلك هي الأهداف العامة لنظام الإسلام في التربية ثابتة لاستمدادها عنها ؛ وبالتالي فهي أهداف مستمرة ما بقيت الحياة البشرية ، وتستمر باستمرارها على وجه البسيطة .

أما الأهداف الفرعية المستمدة عن الأهداف التربوية العامة فهي مرنة لغلبة طابع الوسيلة عليها ؛ وبالتالي فهي متغيرة بتغير وسائل التوجيه والإرشاد أو بتفاوت قدرتها على التأثير أو سعة انتشارها .

وبذلك يمكن القول ؛ إنه الثبات على الأهداف والغايات ، والمرونة في الوسائل والأساليب . يؤكد ذلك عبد الله (١٤٠٠هـ ß ١٩٨٠م) بقوله : وثبوت الأهداف التربوية لا يعني بأي حال من الأحوال جمود العملية التربوية ، فالقرآن الكريم حدد الأهداف وترك البشر طلقاء في السير نحو تلك الأهداف ~ (ص ص ٤٤–٤٥) . ويثني على ذلك الكيلاني (١٤١٧هـ ß ١٩٩٧م) بقوله : أن تكون [أي الأهداف] مرنة قابلة للتغير بحسب ما يتطلبه التطور الجاري والمعارف

المتجددة ~(ص ٣٠) . وظاهر من قوله أنه يعني مرونة الأهداف التعليمية المعنية بالمعارف بصفتها وسائل لتحقيق الأهداف التربوية العامة .

إن خاصية الثبات والمرونة في الأهداف التربوية الإسلامية ووسائلها تكسب المجتمع المسلم مواقف متميزة نحو المجتمعات الأخرى المخالفة له في العقيدة والوجهة والمبدأ يبينها القرضاوي (١٤٠٥هـß ١٩٨٥م) بقوله :

إنه [أي المجتمع المسلم] لا يذوب فيها [أي المجتمعات المخالفة] ولا يتبع أهواءها ، ولا يقلدها ويتشبه بما فيما هو من خصائصها فيفقد بذلك أصالته وشخصيته المتميزة Ø

ومع هذا لا ينعزل المجتمع المسلم عن غيره من المجتمعات . بل يستطيع أن يقتبس منها ، وينتفع بما لديها ، من معارف وخبرات ومهارات ، لا تضر بكيانه المادي والمعنوي Ø !

فعنصر الثبات يتجلى هنا في رفض المجتمع المسلم للعقائد ، والمبادئ ، والأفكار ، والقيم ، والشعارات ، التي تقوم عليها المجتمعات الأخرى غير المسلمة وتميزها ، لأن مصدرها غير مصدره ، ووجهتها غير وجهته ، وسبلها غير صراطه ، فهو مجتمع متميز في المصدر والوجهة والمنهج ، بل في السمة والشعار أيضا . Ø

وفي مقابل هذا الثبات نجد مرونة وسماحة في الناحية العملية والتطبيقية في الحياة ، مما يتصل بالطرائق والأساليب ، لا بالمبادئ والأهداف .

فإذا كان لدى مجتمع غير مسلم نظام حسن Ø فالإسلام يرحب به ، بشرط ألا يصطدم بأحكام الإسلام وقد جاء الحديث

« الحكمة ضالة المؤمن ، فحيث وجدها فهو أحق بها » [رواه الترمذيß ت ٢٩٧هـ رحمه الله تعالى – (١٤٠٨هـß ١٩٨٧م ، ح٢٦٨٧) ، وابن ماجهß ت ٢٧٥هـ رحمه الله تعالىß (د . ت ، ح٤١٦٩)] ~ (ص ص ٢٥١–٢٥٣) .

وبناء على هذا فإن النظم التربوية للمجتمعات المخالفة لا يمكن اقتباسها بكليتها لتطبيقها في المجتمع الإسلامي وذلك لقيامها على فلسفات وتصورات مخالفة للمذهبية الإسلامية ، وقد يقبل منها بعض الوسائل التي تستخدمها إن تم قبولها شرعاً .

١٢ . أنها أهداف سامية تنشد المثل والقيم العليا في الحياة البشرية ، وتهدف إلى تحويلها إلى واقع محسوس متمثل في الأفراد والجماعات ، وسبيلها إلى ذلك غرس حب الإقتداء بالمثل الأعلى رسول الله ﷺ الذي عاش تلك المثل والقيم حقيقة وواقعا ، فغدت سيرته العطرة مهوى أنظار المتأسّين الذين يتطلعون إلى تحقيق المثل العليا في حياتهم .

ثانياً : خصائص مستمدة من النظام التربوي

تحتل الأهداف التربوية مكانا رئيسا في مدخلات نظام الإسلام في التربية ، بل عليها يعتمد تحديد الكثير من المدخلات الأخرى ، كما أن لها أهمية قصوى في تقييم فاعلية النظام التربوي وكفاءته من خلال مقارنتها بالمخرجات الناتجة عن عمليات التحويل التربوية .

ولتلك المكانة ، وهذه الأهمية ؛ فإنه من الضروري اتصافها بخصائص وسمات هي :-

١ . أنها أهداف تقوم على تفكير منظم ، يصفها بذلك أبو العينين (١٤٠٨هـ ß ١٩٨٧م) فيقول : أي أنه لا بد وأن ترتب الأهداف بطريقة محددة ، ومنظمة عن وعي ، وجهد مبذول مقصود من أجل تخطيط أفضل ، فهي لا تقوم على العشوائية أو التخبط ، بل تقوم على تفكير منظم ، قائم على الملاحظة الدقيقة والتأمل الواعي والاستنباط الدقيق ~ (ص١٦) .

٢ . أنها أهداف ذات قدرة استشفافية ، يصفها بذلك أبو العينين (١٤٠٨هـ ß ١٩٨٧م) أيضا فيقول : إن الأهداف التربوية ذات قدرة استشفافية ، حين تعبر عن الرؤية المسبقة لغايات العمل التربوي المحددة والمحتملة التي يمكن الاستشفاف بها قبل وقوعها ، وبالتالي تؤثر في الأساليب المتبعة لتلك الغاية ، فهي تقدم البصيرة والدافع لاستخدام أفضل الوسائل ~ (ص١٦) . وتتألق هذه القدرة الاستشفافية للأهداف حين ارتباطها الوثيق وإيمانها العميق واستحضارها الدائم لإرشادات السنن الإلهية التي تقرر بيقين النتائج والعواقب المستقبلية ، مما يجعلها –أي الأهداف –تستشف المستقبل على ضوئها .

٣ . أنها أهداف معاصرة تحدد بناء على دراسة الواقع للتعرف على المظاهر السلبية والإيجابية في الأفراد والجماعات ، فتعالج السلبية منها ، وتعزز الإيجابية ، وعن ذلك يقول

الكيلاني (١٤١٧هـ ß ١٩٩٧م) : أن تلبي هذه الأهداف حاجات المجتمع الحاضرة، وتعالج مشكلاته ~ (ص ٣٠) .

٤ . أنها أهداف واضحة ودقيقة ترشد العاملين في الحقل التربوي وتبعث فيهم الدافعية إلى تحقيقها عند قناعتهم بها ، وفي ذلك يقول أبو العينين (١٤٠٨هـ ß ١٩٨٧م) حيث وصفها بالوضوح والدقة : بمعنى أنه يمكن ترجمتها إلى سلوك واضح ، ومعنى هذا أنها تكون دقيقة ومحددة تحديدا لا يتيح الفرصة للبس أو غموض يتلبسها من هنا أو هناك ~ (ص ١٥) .

ويؤكد ذلك عبد الله (١٤٠٠هـ ß ١٩٨٠م) بقوله : والأهداف في التربية الإسلامية مصاغة صيغا سلوكية محددة . فالقرآن لم يقدم مبادئ نظرية بهدف البحث العقلي وإنما جاء بتوجيهات قابلة للتحويل إلى سلوك واقعي محدد ~ (ص ٤٩) .

٥ . أن الأهداف التربوية العامة تعبر عن فاعلية نظام الإسلام في التربية وكفاءته . تعبر عن ذلك عند قياس فاعلية النظام وكفاءته بمعايير[٣٥] وآليات تقييم تستند على مقارنة

[٣٥] يعتبر بناء معايير القياس بمختلف مجالاتها من أبرز سمات العلم المعاصر ، فلقد نشطت مؤخرا المؤسسات والجامعات ومراكز البحث الغربية فقامت ببناء العديد من المعايير وفي مختلف المجالات ، ومن نماذجها ما ذكره جاكسون وزميلاه (١٤٠٨هـ ß ١٩٨٨م ، ص٧٢ ، ص ٧٧) . بينما نجد أن

الأهداف التربوية العامة بنتائج مخرجات النظام التربوي والمتمثلة في سلوك الأفراد والمجتمعات لمن استهدفتهم عملياته التربوية .

ومثال ذلك أن التربية الدينية تعتبر من الأهداف العامة لنظام الإسلام في التربية ، ويمكن التحقق من فاعلية النظام وكفاءته في تحقيقها عن طريق قياس تدين الأفراد والمجتمعات من خلال معايير للتدين اقترحها نور (١٩٩٥م) وتستند على دراسة سلوك المجتمع وتصرفاته في مسائل مخصوصة وأمور بعينها تمثل ظواهر اجتماعية ، وهذه الظواهر الاجتماعية ß في رأيه ß ذات دلائل ظنية على المراد منها

! !

! ☞

الدراسات الجادة المعنية ببناء معايير القياس في عالمنا العربي والإسلامي ما زالت محدودة ، ولا أدل على ذلك من مراجعة كشافات ومستخلصات الدراسات العلمية العليا في جامعاتنا ، أو أن بعضها ß وهو قليل ß يعتمد على نقل معايير القياس الغربية . مع أن الذي يجب مراعاته وهو من الأهمية بمكان أن معايير القياس بصفة عامة تتأثر بالتوجهات العقدية والفكرية والثقافية لواضعيها ، لذا فليس كل معيار يبنى في الغرب أو الشرق صالحا للاقتباس خصوصا ما كان يتعلق منها بالدراسات الاجتماعية والإنسانية . لذا أوصي بأن تتبنى مؤسساتنا وجامعاتنا الإسلامية مهمة بناء معايير القياس لحضارتنا الإسلامية ، والمنطلقة من مصادر الثقافة الإسلامية حيث يقول عنها أمزيان (١٤١٣هـ ß ١٩٩٢م) : تركز المقاييس الإسلامية على قدرة الفرد نفسه ومدى استعداده الشخصي لاكتساب الصفات التي تؤهله للرقي الاجتماعي . فالمقاييس الإسلامية مقاييس قيمية مرتبطة بالإيمان والكفر والتقوى والفجور Ø وهي كل الخصائص التي تحدد الهوية الحقيقية للفرد ~ (ص ٣١٧) .

في أفرادها إلا أنها في مجموعها تكاد تكون قطعية الدلالة على الشأن المعين (ص ٨٠) . ثم خَلُصَ نور (١٩٩٥م) إلى اقتراح ثلاثة مقاييس للتدين هي بإجمال (ص ص ٨١–٨٦) : –

- مقاييس تدين الفرد[٣٦] :–

١) الوعي الثقافي والفكري .

٢) إقامة الصلاة .

٣) أداء الشعائر التعبدية .

٤) العناية بالقرآن الكريم والسنة النبوية .

٥) الاهتمام بالوقت والاستفادة منه .

٦) إتقان العمل وتجويده .

- مقاييس تدين المجتمع في ظل الدولة الإسلامية : –

١) تطبيق الشريعة في المجتمع .

٢) الجهاد في سبيل الله ﷻ .

٣) موالاة المؤمنين والبراءة من المشركين .

٤) انتشار العدل وبسط الشورى .

(٣٦) حدد نور ستة محاور لقياس تدين الفرد ، ولأن المقاييس عادة ما تكون خاضعة للمراجعة والتحسين ، فلعله من المناسب إضافة محور سابع وهو : التعامل مع الأفراد .

٥) المحافظة على وحدة الأمة وتماسكها .

٦) التكافل الاجتماعي .

٧) مراعاة العلاقات الاجتماعية .

٨) السلوك القويم والمظهر العام الحسن .

٩) الدعوة إلى الله ﷻ .

- مقاييس تدين المجتمع في ظل دولة غير إسلامية .

١) التطلع نحو تطبيق الشريعة الإسلامية .

٢) قلة ارتكاب المعاصي .

٣) تأخر ظهور بعض علامات الساعة الصغرى .

٤) رد الفضل لأهله .

٥) الانسجام مع البيئة .

ويمكن الوقوف على هذه المقاييس بالنظر في الإحصاءات والبيانات لدى الدواوين الحكومية وسواها ، أو بالملاحظة العامة ، أو بالمقارنة بين المجتمعات المعاصرة ، أو بينها وبين المجتمعات السابقة ، إلى غير ذلك من الآليات .

٦ . أن الأهداف التربوية العامة تتحقق في أزمان متفاوتة ، فما كان منها على مستوى الأفراد يتحقق في مدى زمني أقل مما كان على مستوى المجتمع ، ولذلك فإن الحكم على فاعلية

وكفاءة النظام التربوي من خلال قياس الزمن المستغرق في تحقيق أهدافه يجب أن يراعى فيه نوعية الشريحة المستهدفة منه من حيث الفردية أو الجماعية .

مصادر استمداد الأهداف التربوية العامة

ما من نظام تربوي وضعي إلا وله فلسفته الخاصة التي يرتكز عليها ، وله مصادره المعرفية الخاصة به ، وهو في ذلك لا يخرج عن إطار الجهد البشري في كل مكون من مكوناته ، وفي كل مصدر من مصادره .

ماعدا نظام الإسلام في التربية ؛ فإن منطلقه الثقافة الإسلامية التي ينتمي إليها ، ويستمد أهدافه من مصادرها الربانية بصفتها مصادر رئيسة ، بالإضافة إلى المعرفة الحاصلة للإنسان المسلم بطريق حواسه [٣٧] وعقله ، وبذلك جمعت الثقافة الإسلامية في روافد المعرفة التي تتبناها بين المصدر الرباني والجهد البشري .وهذا ما يميز نظام الإسلام في التربية عن غيره من النظم الوضعية حيث اعتمد في تحديد أهدافه واستمدادها من المعرفة الإسلامية المنطلقة

[٣٧] من الدراسات التربوية القيمة والجادة في تناولها لأدوات المعرفة الحسية رسالة علمية غير منشورة قدمت عام ١٤١١هـ إلى قسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بمكة المكرمة بجامعة أم القرى لنيل درجة الدكتوراه أعدها : العمرو ، صالح ، سليمان ، صالح بعنوان : « مكانة الحواس من المعرفة في الإسلام وتحقيقها في المدرسة » بإشراف د . بشير حاج التوم .

من الأساس الاعتقادي الثقافة الإسلامية وهو «توحيد الله تعالى » والذي يقول عنه أمزيان (١٤١٣هـß ١٩٩٢م) :

والتوحيد هو الأساس ∅ الاعتقادي الذي ترتكز عليه [الثقافة] الإسلامية وتقيم عليه تصورها وتحدد وفقه أهدافها ومناهجها . فالعلوم الاجتماعية [ومنها علم التربية] المؤسسة على العقائد الإسلامية لابد وأن تعترف أن الإنسان يعيش في ملكوت الله ويخضع لنظامه وسننه في الوجود والاجتماع ، وأن كل ما في هذا الكون يرجع إلى الله في الخلق والمعاد والمبدأ والمصير ، وأن الله الذي خلق الإنسان حدد له شرعة ومنهاجا في الحياة يرتب حياته وفقها ويصوغ سلوكه وفق مقتضياتها ، ومن ثم فإن المهمة الأولى للعلوم الاجتماعية أن تكتشف النموذج الإلهي في الأخلاق والسياسة والاجتماع وكل النظم ، وأن تعيد تنظيم نفسها وتديره في ضوء هذا [الثقافة]~ (ص٣٠٣) .

وتأسيسا على ما سبق يمكن القول أن نظام الإسلام في التربية يستمد أهدافه من المصادر التالية :-

١- مصادر ربانية ثابتة رئيسة تتمثل في مصدري الثقافة الإسلامية وهما : الوحي بشقيه الكتاب الكريم والسنة النبوية المطهرة .

٢- مصادر ثانوية مسانده تمثل الجهد البشري وهي :-

- قراءة الوجود ß الكون ß وتدبره .
- المقاصد العامة للشريعة الإسلامية .

- دراسة التاريخ البشري للأفراد والأمم والجماعات .
- دراسة الواقع المعاصر للأمة الإسلامية .
- استشراف مستقبل الأمة الإسلامية والتنبوء به .

وبإفراد الحديث عن كل مصدر تتجلى مصدريته في استمداد أهداف نظام الإسلام في التربية منه .

أولاً : المصادر الربانية الثابتة الرئيسة

تفتقر النظم التربوية الوضعية إلى أسس معرفية تستند عليها في وظيفتها نحو الإنسان الذي تستهدفه بالتربية ، لتعرف عنه حقيقته وطبيعة علاقاته مع خالقه ونفسه والكون من حوله ، ومهما بذلت هذه النظم من جهد لإدراك هذه المعرفة فستؤول جهودها حتما إلى معرفة خاطئة ، وتسلك بها في تربية الإنسان مسالك مجانبة للصواب ؛ ذلك لأن المعرفة التي تنشدها لا تتوفر إلا في معرفة خاصة تتحصل عليها من خالق الإنسان وصانعه والخبير بما يصلحه بواسطة رسل الهداية والإرشاد بما حملوه من كتب قيمة تفيض بالهدى والخير والرشاد وبلّغوها في حكمة مشرقة وموعظة حسنة .

أما نظام الإسلام في التربية فقد تخلص من ذلك الافتقار والعوز بجعله المعرفة الحاصلة بطريق الوحي بشقيه كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ مصدراً أساسياً يسترشد بها في وظيفته نحو الإنسان ، وعن هذا الوحي يقول أبو سليمان (١٤١٢هـ، ١٩٩٢م) :

> الوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه في حياة الإنسان يقصد به عموما كلمة الحق التي أوحى الله بها إلى الأنبياء والرسل ، لكي تبلغ ما أمر به إلى الأمم .
>
> والوحي كمصدر للمعرفة والتوجيه الإسلامي يقصد به كلمة الله وإرادة الحق التي أوحى بها إلى نبيه ورسوله محمد ﷺ ليبلغها إلى الناس كافة ، رسالة خاتمة كاملة شاملة ، هداية للناس وإرشادا إلى معنى وجودهم وغاية هذا الوجود ، وتبيانا للمقاصد والمبادئ والقيم والأحكام التي ينبغي لهم أن يلتزموها لتحقيق غاية وجودهم وبلوغ مقاصد أعمالهم وعلاقاتهم .
>
> وجوهر ما يقدمه الوحي للناس هو توضيح طبيعة علاقة الإنسان بالله ، وغاية وجود الإنسان في الكون ، ودليل حركة الإنسان في الحياة ، ومصير هذا الإنسان فيما وراء الحياة ~ (ص١١٦) .

وعن هذين المصدرينß الوحي بشقيه ß يستمد نظام الإسلام في التربية أهدافه التربوية العامة . لأنه يجد فيها وضوحا تاما عن الإنسان من مبدئه إلى منتهاه وما بين ذلك ؛ وضوحا ينعكس على جميع أبعاده كنظام تربوي شقيق لبقية نظم حضارة الإنسان المسلم المتكاملة والتي تتمتع بنفس المصدرية ونفس الوضوح . ولقد تقدم الحديث عن أهداف الإسلام ووضوحها عند الحديث عن خاصية وضوح الأهداف التربوية ، وأهداف الإسلام هي ذاتها أهداف نظام الإسلام في التربية .

ثانياً : المصادر الثانوية المساندة

- **قراءة الوجود وتدبره**

إذا كانت المعرفة الحاصلة للإنسان بطريق الوحي تساعده على تحديد ووضوح أهدافه في الحياة ، فإن المعرفة الحاصلة له بطريق النظر في الوجود ß الكون ß وتدبره تساعده على تحقيق تلك الأهداف من خلال اتخاذ الوسائل والأساليب المناسبة ، ولذلك نجد أن البارئ ﷻ وجه الإنسان إلى النظر في الكون والتدبر بما فيه وزوده بالطاقات والقدرات اللازمة لذلك ، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَـٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾ ﴾ [الأعراف ١٧٩/٧] ، ويقول سيد قطب ß ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى ß (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) معلقا على هذه الآية:

> والذين يغفلون عما حولهم من آيات الله في الكون والحياة وما يمر بهم من الأحداث والغِيَرْ فلا يرون فيها يد الله أولئك كالأنعام بل هم أضل ، فللأنعام استعدادات فطرية تهديها ، أما الجن والإنس فقد زودوا بالقلب الواعي والعين المبصرة والآذان الملتقطة فإذا لم يفتحوا قلوبهم وأبصارهم وأسماعهم ليدركوا ، إذا مروا بالحياة . . معانيها وغاياتها . . مشاهدها ودلالاتها . . إيقاعاتها وإيحاءاتها . . فإنهم يكونون أضل من الأنعام . . ثم هم يكونون من ذرء جهنم ~ (ج٣ ، ص ١٤٠١) .

ولذلك كان دور التربية وقاية الإنسان من أن يكون من ذرء جهنم بتنمية طاقاته وصقلها حتى يستطيع أن يحسن قراءة الوجود فيكتشف أسراره وقوانينه ، ومن ثم يضم معرفته عنه إلى رصيد الأهداف التي استمدها من قراءته للوحي ، وعندئذ ينشط نظامه التربوي في ضوء أهداف منبثقة عن معرفة إسلامية مبنية على الجمع بين قراءة الوحي وقراءة الكون ، وذات خصائص متميزة .

لقد أرشد إلى أهمية قراءة الكون في بناء المعرفة الإسلامية إلى جانب قراءة الوحي عدد من علماء الوعي الإسلامي المعاصر ، ومنهم العلواني (أ – ١٤١٥هـß ١٩٩٥م) حيث يعرف منهجية الجمع بين القراءتين فيقول :

> منهجية الجمع بين القراءتين تعني : قراءة الوحي وقراءة الوجود معا ، وفهم الإنسان القارئ كلا منهما بالآخر ، باعتبار القرآن العظيم معادلا موضوعيا للوجود الكوني يحمل ضمن وحدته الكلية منهجية متكاملة يمكن فهمها واكتشافها في إطار التنظير لتلك الوحدة الكلية . كما أن الكون يحمل ضمن وحدته الكلية قوانينه وسننه . والإنسانß وإن كان جزءً من الكونß لكنه عند النظر يعد أنموذجا مصغرا للوجود الكوني ومستخلفا فيه ~ (ص ٢٢) .

ولذلك عندما ينظر الإنسان في نفسه ابتداء وفي الكون من حوله ، مستخدما في نظره كافة طاقاته وقدراته ، فإنه يحصل على معرفة شاهدة عن نفسه وعن الكون ، إلى جانب المعرفة الحاصلة له بطريق الوحي مما يزيده بصيرة بنفسه وبالكون .

أما معرفته عن نفسه فتتمثل في المعرفة التي توصل إليها الجهد البشري عن طبيعة الإنسان فيما يسمى « علم النفس الإنساني » ß والذي ورد طرف منه سابقا ß ويتفق في بعض ما توصل إليه مع الحقيقة الواردة عن الطبيعة الإنسانية بطريق الوحي .

إن هذه المعرفة المكتشفة علميا عن الإنسان تجعل الإنسان المسلم ذا بصيرة أعمق عن نفسه مما يعينه على تحديد الوسائل والأساليب المناسبة لتحقيق أهداف نظامه التربوي وفق منهج علمي سليم .

وكذلك الكون من حوله ؛ إن تكشفت للإنسان المسلم حقائقه وقوانينه ، فإنه عندئذ سيتمكن بهذه المعرفة العميقة عنه من اتخاذ الوسائل والأساليب المعينة على تحقيق أهداف نظامه التربوي على نحو يعين من يستهدفهم من التعامل مع الكون وتسخيره .

- **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**

إذا كان توحيد الله ﷻ هو الأساس الاعتقادي الذي ترتكز عليه الثقافة الإسلامية ، وإذا كانت مصادرها الربانية تتضمن الهداية والإرشاد إلى الصراط المستقيم ، بكل ما يستوعبه من معاني ودلالات تليق بجلال الهادي إليه ﷻ ، فإن بذل الجهد البشري بكل طاقاته وقدراته لإدراك المقاصد العامة للشريعة الإسلامية في أي بعد من أبعادها ß معاني قيمية أو أحكام شرعية ß لهو من أسمى أنواع الجهد البشري لما فيه من القصد والطلب لمرضاة الله ﷻ ، وشكره على نعمة الهداية والإرشاد ، ولتحصيل الشرف بخدمة تلك المقاصد ورعايتها .

والمقاصد كما يفيد العالم (١٤١٥هـ ß ١٩٩٤م) نوعان : مقاصد الخالق من الخلق وتنحصر في أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا . ومقاصده من التشريع ؛ بمعنى الغاية التي يرمي إليها التشريع والأسرار التي وضعها الشارع الحكيم عند كل حكم من الأحكام ، وبذلك تكون الشريعة مستهدفة تحقيق مقصد عام ، وهو إسعاد الأفراد والجماعة ، وحفظ النظام ، وتعمير الدنيا بكل ما يوصل إلى الخير والكمال الإنساني حتى تصير الدنيا مزرعة للآخرة فيحظى الإنسان بسعادة الدارين . وعليه فإن مقاصد الشارع تتضمن المصالح الآجلة ß الآخرة ß والمصالح العاجلة ß الدنيا – ، وهذا لا يمنع من أن تكون للشارع مصالح لا تدرك في بادئ الرأي إلا بعد تمحيص (ص ص ٨٢–٨٥) .

إن إدراك مقاصد الشارع بما تتضمنه من مصالح آجلة وعاجلة مهم جدا في تحديد الأهداف التربوية في نظام الإسلام في التربية بصفتها ß كما مر سابقا ß قرارات تتخذ لصالح الإنسان وينصب العمل على تحقيقها ، ولذلك فلا مصلحة تبتغى من أجله إلا إذا كانت راجعة إلى قصد الشارع الحكيم لا إلى قصد محددوا الأهداف ، ولذلك أختصت الأهداف التربوية في نظام الإسلام في التربية بخاصية الربانية . وبناء على ذلك كما يقول العالم (١٤١٥هـ–١٩٩٤م) :

> لا يصح للخبرات العادية أو الموازين العقلية والتجريبية
> أن تستقل وحدها بفهم [وتحديد] مصالح العباد أو تنسيقها ∅
> فلا يجوز الاعتماد على ما قد يتفق عليه علماء النفس والتربية مثلا

، من إباحة الاختلاط بين الجنسين [٣٨] في مرافق المجتمع بحجة تهذيب الأخلاق والتخفيف من شره الميل الجنسي في طور الشباب فهذه مصلحة ملغاة في نظر الشرع Ø فطلب المصالح بغير هدى من شريعة الله هو عين الضلال ، والرجوع إلى كتابه وسنة رسوله والقائمين على شريعته ، لابد منه في طلب المصالح الدنيوية والأخروية . وليس معنى هذا أن الشريعة تحرم العقل من التفكير والتدبير في تلك المصالح ، بل على العكس من ذلك فإنها حثته على ذلك بشتى ألوان الترغيب والإغراء ولكن بشرط الاهتداء بنور الله المتمثل في كتابه وسنة رسوله ، خشية من التيه والضلال في متاهات الأهواء ، وظلمات الشهوات ، ولذلك قال ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبدا ، كتاب الله وسنة رسول الله » [٣٩] وقال تعالى : ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النور ٢٤/٤٠] فباب الاجتهاد [ومنه الاجتهاد التربوي]

[٣٨] أنظر عثمان ، محمد عثمان – (١٩٨٦م) ، **اختلاط الجنسين في مدارسنا** ، ط ٢ ، مصر : دار الاعتصام ، وكذلك شو ، بفرلي – (د . ت) ، **الغرب يتراجع عن التعليم المختلط** ، ترجمة : عبد الرحمن : وجيه حمد ، بيانات النشر : بدون .

[٣٩] أخرجه مالكß ت ١٧٩هـ رحمه الله تعالىß (١٤٠٦هـß ١٩٨٥م) بلفظ « تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما مسكتم بهما كتاب الله وسنة نبيه » (كتاب القدر ، باب النهي عن القول بالقدر ، ح ٣) ، وهو من بلاغاته ، وقال السيوطي – ت ٩١١ رحمه الله تعالىß (د . ت) : وصله ابن عبد البر في التمهيد من حديث كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف عن أبيه عن جده ، وفيه ذكر السنة (ج٣ ، ص ٩٣) .

> مفتوح أمام العقول المؤهلة لذلك والمهتدية بالضوابط [٤٠]، والشروط اللازمة لذلك ~ (ص ص ١٤٧–١٤٩) .

وتأسيسا على ما سبق فإنه يمكن القول أن الدور الذي تؤديه المقاصد العامة للشريعة الإسلامية [٤١] إنما هو بمثابة الضوابط للأهداف التربوية في نظام الإسلام في التربية .

- **دراسة التاريخ البشري للأفراد والأمم والجماعات**

تقدم القول بأن الهدف التربوي ما هو إلا قرار يتخذ لصالح الإنسان ومن أجله ، لتأهيله بالوعي اللازم لأداء دوره المهم في الحياة ، سواءٌ أكان منفردا أم في جماعة ، ولهذا الوعي روافد عدة منها : دراسة التاريخ البشري للأفراد والأمم والجماعات ، وفي ذلك يقول محمد قطب (١٤٠٨هـß ١٩٨٨م) :

> ولكن دراسة التاريخ بالذات هي من القضايا التربوية المباشرة ، إذا وضعنا في اعتبارنا أن التاريخ ليس مجرد سرد للأحداث التاريخية ، إنما هو إلى جانب ذلك تفسير لتلك الأحداث، وتقويم لها ، والتفسير والتقويم يشملان ذات القيم والمبادئ والأفكار التي تقوم عليها التربية وتسعى إلى تحقيقها . ومن ثم فصلته بها صلة مباشرة ، بحيث نستطيع أن نقول مطمئنين إن

[٤٠] أورد أمزيان (١٤١٣هـß ١٩٩٢م) سبعة ضوابط منهجية للبحث الاجتماعي بهدف أسلمة العلوم الاجتماعية (ص ص ٢٤٧–٣٩٢) ، يحسن الرجوع إليها .

[٤١] أوصي بأهمية إجراء دراسات علمية تبرز دور المقاصد العامة للشريعة الإسلامية في تحديد الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية .

درس التاريخ في حقيقته درس في التربية ، وإن تفسير التاريخ أمر ذو أهمية بالغة في تكوين الأمة التي يراد لها أن تتربى بدراسة التاريخ .

ومن ثم فإن التعرف على التفسير الإسلامي للتاريخ ليس نافلة بالنسبة للأمة المسلمة ، بل هو من صميم اهتمامات الصحوة الإسلامية ، إذ هو ركيزة من ركائزها في التربية ، كما أنه مقوم من المقومات الرئيسية لاسترداد الوعي الإسلامي ، واسترداد الشخصية الإسلامية المفقودة في ركام الغزو الفكري الذي غشى الحياة الإسلامية في العصر الحديث ~ (ص ص ٥-٦) .

وبالتأمل المتأني في قول محمد قطب نجد أن لدراسة التاريخ هدفين هما :-

١- أن في دراسته تربية بالأحداث فهو بذلك وسيلة ، وقد وافقه على ذلك السلمي (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) في قوله :

فاستخدام التاريخ في المجال التربوي من أنفع الوسائل لتربية الأجيال . والتربية بالأحداث من أهم الوسائل التي استخدمها القرآن الكريم والرسول ﷺ ، في إقرار الموازين والقيم ، ونظرة إلى التعقيبات القرآنية على غزوة أحد في آخر سورة آل عمران [من الآية ١٢١-١٨٠] تكفي للدلالة على أهمية استخدام التاريخ في التربية وعظيم الثمرة التي تجنى من وراء ذلك ~ (ص ٥٨) .

٢- أن التفسير الإسلامي للتاريخ مقوم رئيس لاسترداد الوعي الإسلامي ، وذلك لأمرين يتعلق أحدهما بالتاريخ ذاته والآخر بدراسته وإعمال العقل فيه .

أما التاريخ فلأنه كما يعرفه خضر (١٤١٥هـ ß ١٩٩٥م)فيقول : والحقيقة أن التاريخ هو وعاء الخبرة البشرية ، هو العلم الخاص بالجهود البشرية أو هو المحاولة التي تستهدف الإجابة عن الأسئلة التي تتعلق بجهود البشرية في الماضي وتستشف منها جهود المستقبل ~ (ص ٤٣) .

أما دراسته بصفته وعاء الخبرة البشرية ، وإعمال العقل فيه من منطلقات الثقافة الإسلامية ومعاييرها في الحكم والتقدير ، فذلك سبيل « الوعي الإسلامي» المنشود ، وهو القيمة التربوية الواعدة من دراسة التاريخ ، وفي ذلك يقول الدكتور محمد أمين المصري – ت ١٣٩٧هـ رحمه الله تعالىß (في السلمي ، ١٤٠٦هـß ١٩٨٦م) نقلا عن كتابه « لمحات في التربية ، ص ٢٢٨ » :

> لدراسة التاريخ قيمة تربوية من حيث تأثيرها في عقل الدارس وإكسابه عادات خاصة في التفكير فتنشأ لديه العادة التاريخية في تناول الحقائق ، والأسلوب التاريخي في التفكير فيها ، لأن التاريخ طريقه بحث تقوم على النقد والمقابلة والتحقق ووزن قيم الأدلة وربط السبب بالنتيجة مع التعليل للحوادث وإرجاعها إلى دوافعها ~ (ص ٥٨) .

وبناء على ما سبق ، فإن الوعي الإسلامي الواعد من دراسة التاريخ كما أنه غاية منشود تحقيقها في المستهدفين بالتربية ، فإنه كذلك صفة بالضرورة لمحددي الأهداف التربوية تمكنهم من تحديدها وتحقيقها مما يستدعي منهم دراسة رصيد الخبرة البشرية الكامن في ثنايا الأحداث التاريخية على امتداد التاريخ البشري .

- **دراسة الواقع المعاصر للأمة الإسلامية**

إذا كانت الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية ثابتةß كما مر بيانه سابقا عند الحديث عن خصائصها ß فإن دراسة الواقع المعاصر للأمة الإسلاميةß باعتبار هذه الدراسة هي المرحلة الأولى من عملية التخطيط ß تعين على تحديد الهدف الأولى بالرعاية حسب مظاهر الضعف والقوة في الأمة الإسلامية والتي كشفت عنها الدراسة ، أو تعين على اتخاذ أساليب ووسائل أكثر ملاءمة على تحقيق تلك الأهداف .

وبناء على ذلك يمكن القول أن دراسة الواقع المعاصر للأمة الإسلامية ما هو إلا مصدرٌ مساندٌ في تحديد الأهداف التربوية ، لا بصفته مصدراً محدداً ابتداءً ، وإنما بصفته محددا للأهداف الأولى بالرعاية وفق التدرج الأمثل ، وهو ما يمكن تسميته « فقه الأولويات التربوي » اقتباسا من دراسة القرضاوي (١٤١٥هـß ١٩٩٥م) والتي يقول فيها : ومن الأولويات المهمة في مجال الإصلاح : العناية ببناء الفرد قبل بناء المجتمع ، أو بتغيير الأنفس قبل تغيير الأنظمة والمؤسسات ~ (ص ٢٠٩) ، ومع ذلك فإن جميع ما ذكره القرضاوي إنما هو من أهداف نظام الإسلام في التربية .

أما الواقع المعاصر للأمة الإسلامية فقد وصفه كثيرون من أبنائها المخلصين ومنهم القرضاوي (١٤٠٦هـß ١٩٨٥م) حيث وصفه بإجمال فقال : [إن] الأمر أكبر وأعمق من مجرد خلل إنه غيبة عن الوعي ، إنه فقدان الهوية ، إنه التيه عن الغاية ومن بعده

-بالضرورةß ضياع الطريق ~ (ص ٧) . ثم أتبعه بتفصيل ß أثبته بطوله لأهميتهß يدمي القلب عند التأمل ويدفع الهمة لتغيير الواقع عند الشعور بالمسؤولية ، يقول :

أمة نسيت نفسها ...

وصفها الله تعالى بالخيرية ، وعلل خيريتها بأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله : ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران ٣/١١٠]

وأمتنا اليومß إلا من رحم ربكß لا تأمر بالمعروف ولا تنهى عن منكر ، بل فقدت حسها وميزانها ، فرأت المعروف منكرا ، والمنكر معروفا ، بل بات فيها من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف ، وغشيتها فتنة تذر الحليم حيران .

أمتنا وصفها الله بالوسطية حين قال : ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة ٢/ ١٤٣] وهي الآن قد تركت المنهج الوسط ، والموقع الوسط ، لتميل إلى اليمين أو اليسار ، وتجنح إلى الشرق أو الغرب .

وصفها الله بالوحدة حين قال :﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٢] وهي الآن لم تعد أمة واحدة ، كما يحب الله ، بل أمما شتى كما أراد الاستعمار ، أمم تعادي بعضها بعضا ، بل يقاتل بعضها بعضا ∅

وإذا نظرنا إلى أمتنا في ضوء معايير التقدم المادي المعاصر ، وجدناها وراء وراء !! .إنها لا زالت عالة على الأمم الأخرى في قوام حياتها الاقتصادية والعسكرية ، إنها لا تنتج الكفاية

من القوت الذي به قيام المعيشة ، ولا من السلاح الذي به حماية السيادة Ø

أمة معطلة الطاقات :

إن مصيبة الأمة الإسلامية أن طاقاتها ß برغم كثرتها وضخامتها وتنوعها ß معطلة ! ولا أعني بتعطيلها الشلل الكلي ، بل الشلل الجزئي ، أعني أنها لا تعمل بكامل طاقاتها لتعويض ما فاتها في عهود النوم والغفلة ، وللحاق بركب التقدم العالمي ، وهو ما يحتم عليها مضاعفة الجهد ، وتكثيف العطاء ، ولكن أمتنا لا تعمل بنصف طاقاتها ، ولا بربعها ، ولا بخمسها ، ولا بعشرها ، فأرخص شيء عندها هو الوقت ، وأثقل شيء عليها هو العمل ، وأقل الثروات قيمة عندها هو الإنسان ! ! .

- طاقاتنا العقلية معطلة Ø
- طاقاتنا العملية معطلة Ø
- طاقاتنا الاقتصادية معطلة Ø
- طاقاتنا العددية معطلة Ø
- طاقاتنا الروحية معطلة Ø

ذلكم هو حال أمتنا من الشتات والضياع والغيبة عن الوجود ~ (ص ص ٧–٢٢) .

وذلكم هو الواقع المعاصر للأمة الإسلامية ، بما فيه من ألم ومرارة وحسرة عليه ، مما يجعل بالضرورة جميع الأهداف التربوية لنظام الإسلام في التربية محل الرعاية والاعتناء والاهتمام ، مما يضاعف المسئولية على النظام التربوي لينشط جاهدا في إخراج الأمة من مأزقها المنعكس على واقعها المؤلم .

- **استشراف مستقبل الأمة الإسلامية والتنبؤ به**

تقدم القول عند الحديث عن المعنى اللغوي لكلمة « هدف » ومترادفاتها أنها جميعها تفيد معنى مستقبلي وهو ما أدركه إتزيوني FU{jpoj (في جاكسون وزميليه ، ١٤٠٨هـß ١٩٨٨م) حيث عرف الهدف بأنه صورة لحالة مستقبلية ~ (ص٦١) .

وهذا يفيد بأن الهدف قرار يتخذ يستشرف من خلاله صورة لحالة مستقبلية يتنبأ بحدوثها عند اتخاذ الأسباب المؤدية إلى تحقيقه ، وهذا المعنى هو الذي جعل آراء العديد من التربويينß على اختلاف توجهاتهمß تتفق على وجود علاقة تلازمية بين عملية التخطيط ß ومنها تحديد الأهدافß وبين عملية استشراف المستقبل والتنبؤ به ، ومن هؤلاء التربويين زاهر (في الخنساء ب – ١٤١٨هـ–١٩٩٧م) في بحث له حول علم المستقبل في التربية حيث يرى :

> أن بحوث المستقبل أو علم المستقبل لا يتضمن فقط دراسة معلومات الماضي والحاضر والاهتمام بها إنما يتضمن إلى جانب ذلك استحضار واستشراف المستقبلات البديلة الممكنة والمحتملة واختيار البديل المرغوب منها ثم التخطيط والعمل على تحقيقه ، وهي مسألة تحتاج إلى جهد شاق ومكثف ~ (ص ٤٧) .

وكذلك منهم عبدالدائم (١٩٨٠م) حيث يرى أن التخطيط يجب أن يُسبق بتنبؤ علمي ويعلل ذلك بقوله :

> لأنه يساعد المخططين وواضعي السياسة في تحديد المتغيرات المستقلة Ø[ثم اعتبر التخطيط في العصر الحاضر] الوسيلة الناجعة لسيطرة الإنسان على المستقبل وتحكمه فيه بالقدر الممكن ، فالتخطيط يبدو للباحثين اليوم ، الأداة العملية الفعلية الوحيدة الجديرة بإنسان العصر الحديث المتلائمة مع الروح العلمية والعقل العلمي الذي يهدف إلى السيطرة على الأشياء والإمساك بها ، ويأبى قبول عالم يجري على هواه لا شأن للإنسان فيه ~ (ص ص ٤٦-٤٧) .

ولأهمية هذه العلاقة التلازمية بين التخطيط كعلم واستشراف المستقبل والتنبؤ به كعلم أيضا ؛ فقد أولت الدول الغربية اهتماما بالغا بهما ، وقد ذكر الخنساء (أß ١٤١٨هـß ١٩٩٧م) شواهد عدة ، منها ما فعلته أمريكا حيث يقول عنها : احتفلت قبل سنوات بالذكرى المئوية لتأسيس أول مركز متخصص بالدراسات المستقبلية والاشتغال بعلم المستقبل ، ووضع مقررات علمية في الجامعات مضمونها علم المستقبليات وتشجيع كل مؤسسة رسمية وأهلية تشتغل بعلم المستقبل ~ (ص ٤٥) .

ويؤكد هذا الاعتناء الغربي بعلم المستقبل بوزبر (١٤١٥هـ- ١٩٩٤م) بقوله :

> إن الآلية الغربية المعاصرة في التغيير تتعامل مع المستقبل على أنه منتج يمكن صناعته ، والتحكم فيه ، والتنبؤ بمخرجاته وفق مجموعة من المواد الأولية المتاحة لجميع من يؤمن بها ويستطيع التعامل معها بحرية وموضوعية ، وهذا ما يطلقون عليه في الغرب اليوم بعلم صناعة المستقبل Gvuvsf!Tuvejft ، وهو علم قد تأصل اليوم وغدا الاهتمام به عالميا ، وهو تقاطع لعدة علوم ، كالإحصاء والرياضيات والنمذجة وبحوث العمليات Ø

> وغيرها ، وهي تتشابك فيما بينها لتورث فهما دقيقا للماضي – دون أن تطيل الوقوف عنده – ، وتشخيصا صادقا للحاضر ß دون أن تتمركز حوله – ، واستقراء شفافا للمستقبل . . مستثمرة كل المعلومات الصحيحة المتوفرة ~ (ص ١٥٢) .

ولفائدة علم المستقبل دعا الخنساء (أ ß ١٤١٨هـ ß١٩٩٧م) إلى أهمية اعتناء مؤسساتنا العلمية به بفتح آفاق الحوار حوله مع كل الجهود البشرية السابقة فيه وصياغة نظرية إسلامية عنه ، وكذلك إنشاء مراكز متخصصة تعني به (ص ٤٥) . ولقد أوضح سفر (١٤٠٩ هـ) مظاهر هذه الفائدة حيث يقول : إن لها [أي الدراسات المستقبلية] فائدة عملية مباشرة ، من حيث التمكن من معرفة النتائج البعيدة المدى ، لما يجري في بلادنا الآن ، وما نتخذه من قرارات ، وما نمارسه من تغيير في العادات ، وما ننشئه أو ندعمه من علاقات ، وبمعنى آخر : قرارات الحاضر بما لها وما عليها ترسم آفاق المستقبل بما له وما عليه ~ (ص ٥٧) .

ولكن الشيء الجدير بالملاحظة هو أن الأفق المستقبلي الذي ترسمه الدراسات المستقبلية الغربية أضيق حداً من الأفق المستقبلي الذي ترسمه بيقين الدراسات المستقبلية المرتكزة على مصادر الثقافة الإسلامية ، ذلك لأن الدراسات الغربية تستند على فلسفة مادية وضعية تفسر أحداث الماضي وتلاحظ الحاضر وتنظر إلى المستقبل نظرة احتمالية ظنية . أما الدراسات الإسلامية فتختلف عن الدراسات الغربية في تناولها للماضي والحاضر والمستقبل ؛ لاستنادها إلى مصادر الثقافة الإسلامية ومعطياتها المتمثلة في السنن الإلهية ؛ ولما

لديها من أخبار يقينية عن الماضي ووعود حتمية عن المستقبل القريب كأحداث آخر الزمان في الحياة الدنيا والتي أخبرنا بها المصطفى ﷺ[٤٢]، وكذلك المستقبل البعيد لما بعد الموت ، مما يبعث في قلب الإنسان المسلم اليقين والأمل والاطمئنان بضمان نتائج المستقبل القريب منه والبعيد إذا أخذ بالأسباب والمقدمات ؛ مما يجعلها – أي الدراسات الإسلامية – تنظر إلى المستقبل نظرة يقينية قطعية لا مجال للاحتمال فيها ، ، وهذا بدوره يجعل الأفق المستقبلي للدراسات المستقبلية الإسلامية أرحب وأوسع من الدراسات الغربية .

إن رحابة واتساع الأفق المستقبلي للدراسات المستقبلية الإسلامية تنطلق من سنن الله تعالى في نظامه الأكبر والواردة في مضامين الوحي ß بشقيه ß والتي قسمها المصري (١٤١٧هـß ١٩٩٦م) إلى الأقسام التالية :

أولا : سنن وفطر وأخبار ووعود من عالم الغيب

وتنقسم إلى قسمين :

أ- أخبار ووعود غيبية ليس لها صفة الاطراد (الجريان أو السريان) [الآيات المعجزات] بل تأتي بغتة بقول: ﴿ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة ٢/١١٧] .

[٤٢] ومنها الحديث الذي رواه أحمد ß ت ٢٤١ رحمه الله تعالى ß (د . ت) حيث يقول فيه ﷺ : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة » [ح ١٨٤٣٠] وغيرها كثير .

ب- سنن وفطر وأخبار ووعود غيبية لها صفة الاطراد والجريان [ومنها ما ورد عن طبيعة الإنسان] .

ثانيا : سنن وفطر وأخبار من عالم الشهادة ، ولها صفة الاطراد والجريان [ومنها قوانين المادة] ~ (ص ٦٨) .

ثم يقول عن تفاعل هذه السنن مع بعضها البعض :

Ø إنها تتفاعل وتتداخل كلها معا متآلفة متناسقة متوازنة دون تفاوت أو فطور ، وتصنع تأثيرها المشترك ß بإذن ربها ß على الحياة والكون في نسيج الأسباب ، فالأسباب هي ناتج التفاعل والتراكب والتوازن والتناسق بين كل السنن والفطر والوعود والأخبار ، سواء كانت من عالم الشهادة أو عالم الغيب ، وهي المظهر المؤثر والفاعل لجميع هذه القوانين الكلية ~ (ص٧١) .

ثم يخلص إلى تقرير الحتميات الواعدة التي تقدمها السنن الإلهية وتفاعلاتها للإنسان المسلم فيقول :

إن حتميات الإسلام في مجال السنن وفي حقيقتها لا تتعدى أن تكون وعدا باستمرار فعل هذه السنن والفطر التي فطر الله عليها هذا الكون وما فيه من مخلوقات ، وذلك دون تغيير أو تبديل ، قال تعالى :﴿ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗاۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحۡوِيلًا ٤٣ ﴾[فاطر ٤٣/٣٥] Ø

ومن ثم فإن الحتمية الإسلامية لا تعد بأشكال أو أحوال اجتماعية [تربوية] أو عمرانية يتطور لها العالم مع الوقت رغم أنفه ، بل إن هذه السنن والفطر الثوابت في توافق تام مع تخيير الإنسان وحريته في تحديد مصيره من خلال عمله .

> وعليه فإن السنن والفطر (نسيج الأسباب) الفاعلة Ø وبالتالي فإن ما يتم على الأرض ، هو نتيجة لعمل الإنسان وفعل السنن والفطر بشقيها Ø فالمستقبل قد يكون رائعا أو قاتما ، وكل ذلك متوقف على أعمال الناس وتفاعلها مع سنن الكون والحياة ~ (ص ص ٧٤–٧٥) .

وبالتالي يمكن القول إن علم المستقبل في التربية ß بصفته مصدرا مساندا ß فإنه يبعث في أهداف نظام الإسلام في التربية ß بصفتها قرارات حاضرة ترسم آفاق المستقبل ß الأمل والوضوح واليقين ؛ الأمل والتفاؤل في تحقيقها ، والوضوح في رؤية المستقبل والطريق إليه ، واليقين بالنتائج الواعدة .

الفصل الثاني

السنن الإلهية

الفصل الثاني
السنن الإلهية

بين يدي الفصل

في الفصل التربوي السابق تم تناول بعض جزئيات موضوع « الأهداف التربوية العامة » ، وفي هذا الفصل الأصولي سيتم تناول موضوع « السنن الإلهية » في بعض جزئياته وهي : مفهومها ، أنواعها ، خصائصها ، أهمية دراستها والاسترشاد بها ، دورها في تحديد الأهداف التربوية العامة .

وسيكون التناول بالمقدار الذي يرجى منه تقديم إطار نظري وافي عن الموضوع ، ويكون ممهداً للفصلين التاليين لهذا الفصل ، والذي سيتم فيهما المزاوجة بين البعد التربوي والبعد الأصولي طمعاً في الحصول على أهداف تربوية مؤصلة لنظام الإسلام في التربية .

مفهوم السنن الإلهية

تقدم بيان مفهوم « السنن الإلهية » عند التمهيد لمشكلة الدراسة وعند تحديد مصطلحاتها في الباب التمهيدي ، ونظراً لكثرة المصطلحات التي أطلقت على « السنن الإلهية » نتابع الحديث عنها بمزيد من التفصيل مع إلقاء الضوء على مصطلحاتها .

فإنه يترادف مع مصطلح « السنن الإلهية » مصطلحات أخرى مثل « النظام الإلهي العام » ومصطلح « القوانين الإلهية » ، ولكل من هذه المصطلحات معان مشتركة في اللغة العربية ذات دلالة واحدة.

فمصطلح « السنة الإلهية » مشتق من الآيات القرآنية المنبئة عن سنن الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع في القرآن الكريم ومنها قوله تعالى: ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر ٤٣/٣٥] ، وقوله عز وجل: ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا ۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء ٧٧/١٧] . ومعنى «السنة» في اللغة كما أفاد زيدان (١٤١٣هـß ١٩٩٣م) ß بعد رجوعه إلى معاجم اللغة العربيةß هو: الطريقة والسيرة المتّبعة ، وأيد ذلك بنقول لبعض أهل التفسير من العلماء ومنهم ابن تيمية –ت ٧٢٨هـ رحمه الله تعالى– (١٤١٢هـß ١٩٩١م) حيث يقول: والسنة هي العادة التي تتضمن أن يفعل في الثاني ما فعل بنظيره الأول ، ولهذا أمر الله تعالى بالاعتبار ~ (ج١٣، ص٢٠) ، ومن ثم خلص زيدان إلى اختيار تعريف لسنة الله فقال:

> يلاحظ أن هذه الكلمة يدور معناها على معنى الطريقة المتبعة فيكون معنى سنة الله: هي الطريقة المتبعة في معاملة الله تعالى للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم ومواقفهم من شرع الله وأنبيائه وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والآخرة ∅ [وبناء على ذلك] فهذا يعني أن معنى السنة هو معنى القانون

العام من حيث خضوع أفعال البشر وسلوكهم إلى أحكام هذه السنة التي يمكن تسميتها بالقانون العام ~ (ص ص ١٢–١٤) .

ولكن هذا القانون العام لا يقتصر على خضوع أفعال البشر وسلوكهم له ، وإنما هو قانون عام يخضع له كل ما خلق الله ﷻ ، ومن ثم فإن له وجهين حسب رأي زيدان (١٤١٣هـ ß ١٩٩٣م ، ص ص ٧–١٢) هما :

<u>الأول :</u> هو الذي تخضع له جميع الكائنات الحية في وجودها المادي وجميع الحوادث المادية ، ويخضع له كيان الإنسان المادي .

<u>الثاني :</u> هو الذي يتعلق بخضوع البشر له باعتبارهم أفراداً وأمما وجماعات ، بمعنى خضوع تصرفاتهم وأفعالهم وسلوكهم في الحياة وما يكونون عليه من أحوال وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا ، وما يصيبهم في الآخرة من عذاب أو نعيم وفقا لأحكام هذا القانون بوجهه الثاني .

وهذا الوجه الثاني هو الذي أشارت إليه الآيتان الكريمتان المتقدمتان والوارد فيهما مصطلح «سنة الله» إضافة إلى غيرها من الآيات المنبئة عن هذه السنن التي لا تتبدل ولا تتحول أثناء مسيرة العمل البشري ، وهي أصول هذه الدراسة التربوية .

أما مصطلح القوانين الإلهية فقد استخدمه آخرون في تعريف السنن الإلهية ومنهم كنعان (١٤١١هـ) بقوله : فالسنن التي فطر الله عليها أمور خلقه ، هي إذن : مجموعة

القوانين التي سنها الله ﷻ لهذا الوجود ، وأخضع لها مخلوقاته جميعا ، على اختلاف أنواعها وتباين أجناسها ~ (ص ٥٢) . وممن استخدم المصطلح ذاته الشريف (١٤١٥هـ ß ١٩٩٤م) حيث عرفها بقوله : السنن الإلهية : هي القوانين التي جعل سبحانه كل شيء في هذا الكون يسير وفقها ، وعبارة كل شيء تشمل الكون بما فيه من مادة ومعنى ، ففي الجانب المادي الأفلاك والشموس مثلا ... ، أما الجانب المعنوي أو الروحي من الحياة ففيه قوانين كذلك، فالحضارات والدول تنهض وتزول ...وفق قوانين وضعها رب العالمين وتسير الأمم عليها ~ (ص ٥ – ٦) .

وكلمة القانون في اللغة العربية مرادفة لكلمة السنة في المعنى . يقول ابن منظور – ت ٧١١هـ رحمه الله تعالى – (د . ت) : وقانون كل شيء : طريقه ومقياسه ∅ [و] القوانين : الأصول ، الواحد قانون ، وليس بعربي ~ (ج ١٣ ، ص ص ٣٤٩–٣٥٠ ، مادة : قنن) .

وكذلك السنة و النظام عند الفيروز آبادي – ت ٨١٧ هـ رحمه الله تعالى ß (١٤٠٧هـ ß ١٩٨٧م) لفظان مترادفان بمعنى واحد ، فالنَظْمُ والنّظامُ في اللغة بمعنى : التّأليف ، وملاك الأمر ، والسِّيرة والهَدْيُ ، والعادة (ص ١٥٠٠) ، وفي المعجم الوجيز (١٤١٦هـ ß ١٩٩٥م) بمعنى : الترتيب والاتساق ، والطريقة (ص ٦٢٣) ، ونظم الله ﷻ لهذا العالم الأكبر الذي هو مِلاك أمره ؛ فيه من روعة التّأليف ، وعظم الترتيب والاتساق ، ودقة الصنعة وبديعها ما يدل دلالة واضحة أن لهذا الكون المُبْدَعِ مُبْدِعاً بيده ملكوت كل شيء ولا يفعل إلا ما

سبقت به الحكمة وفق نظامٍ عامٍ واحدٍ ارتضاه النظام الإلهي المعبر عنه بالسنة ، والذي خلق الله ﷻ عوالمه على مقتضاه وفق ما قضاه وقدره ﷻ .

أنواع السنن الإلهية

تعددت تصنيفات العلماء والمفكرين للسنن الإلهية من حيث أنواعها كل حسب تناوله لها[٤٤] . فمن جعل منهم البعد المادي في الكون بما فيه الإنسان في كيانه المادي قسيما للبعد ٥ !
الإنساني المتمثل في كيان الإنسان البشري في تصرفاته وأفعاله وسلوكه سواءٌ أكان فرداً أو جماعة أو أمة ، أطلق على البعد الأول المادي المصطلحات التالية : « السنن الكونية » ،

! +++++++++++++++++++!!!!!!!!!!!!!

[٤٤] أنظر : هيشور (١٤١٧هـ –١٩٩٦م ، ص ص ١١–١٢) . وأيضا ؛ زينب عطية محمد (١٤١٦هـ – ١٩٩٥م ، ص ص ٥–٦) . وأيضا ؛ زيدان (١٤١٣هـ – ١٩٩٣م ، ص ص ٧–١٢) . وأيضا ؛ جوهري (١٤٠٥هـ –١٩٨٥م ، ص ص ٣٣–٤٠) . وأيضا ؛ الغزالي (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، ص ٤٩) . وأيضا ؛ محمود عفيفي (١٤١٢هـ –١٩٩١م) . وأيضا ؛ عرجون (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) . وأيضا ؛ الشريف (١٤١٥هـ –١٩٩٤م ، ص ١٣) . وأيضا ؛ المصري (١٤١٧هـ – ١٩٩٦م ، ص ٦٨) . وأيضا ؛ أمزيان (١٤١٣هـ –١٩٩٢م ، ص ص ٢٨٢–٢٩٩) . وأيضا ؛ شهوان (١٤١١هـ –١٩٩٠م ، ص ص ١٠٥٢–١٠٥٤) . وأيضا ؛ دراز (١٤٠٢هـ –١٩٨٢م ، ص ص ٢٤٣–٤٠١) . وأيضا ؛ رضا (د . ت) وأنظر فيه إلى الفهرس الموضوعي الملحق بآخر كل مجلد من تفسيره . وأيضا ؛ سيد قطب (١٣٩٨هـ –١٩٧٨م) وأنظر مادة (السنن) في فهرسه الذي أعده عباس (١٤٠٧هـ –١٩٨٧م ، ص ص ٣١٨–٣٢٠) . وأيضا ؛ حسنة (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، ص ١٥) .

«السنن المادية » ، « قوانين المادة الإلهية » ، « ناموس الكون » ، « سنن الله في الآفاق» .أما البعد الثاني الإنساني فقد أطلق عليه عدة مصطلحات هي : «السنن الإنسانية » ، « السنن الاجتماعية » ، « سنن الله في الأمم والأفراد والجماعات » ، « سنن الله في الأنفس والأمم » .

ومن نظر منهم إلى السنن الإلهية من حيث اطرادها وثباتها أطلق على المطرد منها مصطلح « السنن الجارية » وعلى غير المطرد منها مصطلح « السنن الخارقة » وهي الحادثة خارج إطار القانون الإلهي العام ولكنها لا تخرج عن إرادة الله ﷻ وقدره ، مثل معجزات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، وخوارق العادات التي يحصل بها نصر الله ﷻ للؤمنين بلا حول منهم ولا قوة ، فهذه جميعها بمثابة منن ربانية أختص الله ﷻ بها المؤمنين دون غيرهم .

ومن نظر منهم إلى السنن الإلهية على أنها معادلات تلازمية تبرز نوعا من العلاقة السببية التي تستند على ارتباط الأسباب بمسبباتها والمقدمات بنتائجها اللازمة ، وَبِنُ فيها اطراد الحكم الإلهي في متماثلين إيجابا وسلبا ، جعلها على نوعين : « سنن هادية » و « سنن مدمرة » ، أو « سنن يترتب عليها الجزاء الإلهي في العاجلة » و « سنن يترتب عليها الجزاء الإلهي في الآخرة » ، أو « سنناً سلبية » ، و « سننا إيجابية » ، و « سننا محايدة » .

ومنهم من نظر إلى السنن الإلهية باعتبار موضوعها فأكثر بذلك أنواعها مثل : « سنن الله في الاقتصاد » ، « سنن الله في التغيير الاجتماعي » ، « سنن الله في التغيير النفسي » ،

« سنن الله في التمكين » ، « سنن الله في التداول والتدافع الحضاري » ، « سنن أخلاقية » ، « سنن روحية » ، « سنن تشريعية » ، إلى غير ذلك من الأنواع .

ومنهم من نظر إلى السنن الإلهية باعتبار صيغ ورودها في القرآن الكريم فجعلها « سنن نصية » ذكرت صراحة في القرآن الكريم ، و « سنن مستنبطة » لم تذكر صراحة وإنما يمكن استنباطها من روح النص القرآني .

ومنهم من نظر إلى السنن الإلهية باعتبار عمومها وخصوصها فجعلها على قسمين : « سنن كلية » ، « سنن جزئية » ، أي قوانين عامة لا تختلف باختلاف الزمان والمكان أو الأشخاص ، وقوانين خاصة لطوائف أو أنواع أو أحوال أو أمكنة أو أزمنة معينة .

ومنهم من نظر إلى السنن الإلهية باعتبار الاتفاق والاختلاف في الحكم عليها فجعلها «سنن قطعية » لا يختلف فيها اثنان ، « سنن ظنية » تختلف فيها وجهات النظر .

ومنهم من نظر إلى السنن الإلهية باعتبار وضوحها وغموضها فجعلها « سنن ظاهرة » لا ينكرها مسلم ، و « سنن خفية » تحتاج إلى مزيد تأمل وجهد حتى نصل إليها .

إن كثرة المصطلحات في موضوع السنن الإلهية يوحي بأهمية موضوعها لا سيما في وقتنا المعاصر لكثرة تناول العلماء والمفكرين لها لكونها الأمل في علاج حاضر الأمة الإسلامية بإرشادها إلى دائها ودوائها ، وتعبيد طريق التمكين لها في المستقبل الواعد .

إلا أن التصنيف المقبول لأنواع السنن الإلهية ، المستوعب والشامل لها هو ما وضعه شهوان (١٤١١هـß ١٩٩٠م) حيث جعلها في أربعة أنواع هي (ص ص ١٠٥٢–١٠٥٤) :–

١– « السنن الكونية » هي: مجموعة القوانين التي يسير وفقها الكون ، والتي يستفيد منها الكائن الحي ، فيسخرها له ، ويستفيد منها ، إنها نظم هذا الكون المفتوح بما فيه ومن فيه ، المسيرة له ، وفق ما أراد الله ، مجالها الواسع السموات والأرض وما فيهما وما بينهما ~ .

٢– « السنن التاريخية » هي : مجموعة القواعد والقوانين التي تحكم سير الأمم في بقائها أو زوالها ، وفي صعودها أو انحطاطها ، وفق عادات [سنن] الله تعالى ومشيئته المطلقة ~ .

٣– « السنن التشريعية » هي : مجموعة القواعد والقوانين التي رسمها الله تعالى من أجل صلاحهم في الدنيا وفلاحهم في الآخرة ، على مقتضى حكمته ومشيئته المطلقة ~ .

٤– « السنن الإنسانية » هي : مجموعة القواعد والقوانين المتعلقة بالطبيعة البشرية التي تحكم الإنسان وتنظمه في داخله وفي خارجه بجوانبه المتعددة ، على تقدير الله وحكمته ~ .

والملاحظ على هذا التصنيف جعله للإنسانß في حالة كونه فرداًß سنناً خاصة به وهي «السنن الإنسانية » ، وأخرى للأمم والجماعات ß والإنسان عضوا فيها ß وهي «السنن التاريخية » ، ويبين أهمية هذا الفصل الحميد (١٤١٤هـ ß ١٩٩٣م) بقوله :

وهناك فروق بين السنن التي تحكم الأفراد والسنن التي تحكم الأمم والجماعات . . فروق في كيفية عمل السنن ، وفروق في كيفية الجزاء . وهذه الفروق منسجمة تماما مع وظائف كلٍ منهما ، وامتداده في الزمان والمكان ~ (ص ٧٧٩) .

ومع أن هذا التصنيف الرباعي مستوعبٌ وشاملٌ لأنواع السنن الإلهية إلا أنه يبقى لتصنيف السنن الإلهية على أساس موضوعي أهمية عظمى لتشعب واتساع موضوعها ، وبالتالي من المهم جدا إعادة تصنيف كل نوع من الأنواع الأربعة المتقدمة على أساس موضوعي ، وتشكل في مجموعها مكنزاً [٤٥] متكاملاً لموضوع « السنن الإلهية » ذا مداخل

(٤٥) يرى شرف الدين (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) أن مصطلح مكنز-Ui ftb v sv t يحمل ... بعض المعاني غير وظيفة القوائم وأشهرها القواميس المبوبة التي تعرف بقواميس المعاني والدلالات ... وأقرب ترجمة له كلمة (خزانة) التي استعملت قديما لبعض الوظائف الفكرية في اللغة العربية ~ (ص٤٨٣) . ولقد شاع استخدام هذا المصطلح في المعاجم العربية الحديثة ومنها : الصواف ، عزت محمد – (١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م) ، **المكنز الإسلامي – قائمة مصطلحات علوم الدين الإسلامي والعلوم الأخرى** – ، المدينة المنورة : الجامعة الإسلامية – عمادة شؤون المكتبات . وكذلك ؛ صيني ، محمود إسماعيل وآخرون – (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ، **المكنز العربي المعاصر – معجم في المترادفات والمتجانسات للمؤلفين والمترجمين والطلاب** – ، ط ١ ، لبنان : مكتبة لبنان ناشرون .

موضوعية متعددة المستويات ومتداخلة حيث ترسم في النهاية عند جمعها صورة متكاملة عن كل موضوع منها ، وعلى سبيل المثال : إن سنة الله في الابتلاء يمكن أن تندرج تحت « السنن الإنسانية » عند الحديث عن ابتلاء الأفراد وتمحيصهم ، ويمكن اندراجها تحت « السنن التاريخية » عند الحديث عن ابتلاء الأمم والجماعات بصفتها مقدمات لازمة للتمكين لها .

وبناء على ما تقدم فإن التصنيف الذي يمكن تبنيه واعتماده لأنواع السنن الإلهية جمعا بين التصنيفات المتقدمة هو أنها على نوعين :–

١– سنن إلهية تتعلق بالجانب المادي في خلق الله تعالى بما في ذلك الإنسان في تكوينه المادي وهي « السنن الكونية » .

٢– سنن إلهية تتعلق بالإنسان في وضعه البشري وهي على ثلاثة أنواع :–

أ – « سنن إنسانية » تتعلق بالإنسان في حالة كونه فرداً .

ب – « سنن تاريخية » تتعلق بالإنسان في تكتله الجماعي أو الأممي ß أي الأمم والجماعات – .

ج –« سنن تشريعية » تتعلق بما شرعه الله له سواءٌ أكان فردا أم في جماعة أم في أمة .

ولعل المعالم المبدئية لاستنباط السنن من القرآن الكريم ، والتي وضعها جمعة (في هيشور ، ١٤١٧هـ-١٩٩٦م) يمكن أن تكون منطلقا لعلم يتأمل السنن من القرآن الكريم وفق تصنيف لها أكثر استيعاباً وشمولاً ، وهذه المعالم هي (ص ص ١٣-١٤) :-

١- ورود لفظ السنة ومشتقاتها في الآية القرآنية ، مثل قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ﴿٧٧﴾ ﴾ [الإسراء ٧٧/١٧] .

٢- ورود فعل الله المتعلق بوصف معين ، مثل قوله تعالى : ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [الحجر ٢١/١٥] وفي هذه الآية سنة التقدير ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْزُونٍ ﴿١٩﴾ ﴾ [الحجر ١٩/١٥] وفيه سنة التوازن .

٣- ورود فعل الله مع تعليله ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ ﴾ [الأنعام ١٦٥/٦] وفيه سنة التفاوت ، وقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات ١٣/٤٩] وفيه سنة التعارف .

٤- ورود فعل الله في سياق جملة الشرط وترتب الجزاء على الفعل أو امتناعه بسبب الفعل ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ ﴾ [البقرة ٢٥١/٢] وفيه سنة التدافع .

٥- ورود فعل الله في سياق الحديث عن الأمم السابقة في معرض تقويمهم أو الاعتبار بهم كما في قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾ [القصص ٢٨/٥-٦] .

٦- تقرر الآية نتيجة معينة أو تعليق حكم الله على سبب أو شرط ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ ﴾ [الكهف ١٨/٥٩] وفيه سنة السببية ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد ١٣/١١] وفيه سنة التغيير .

خصائص السنن الإلهية

تستمد السنن الإلهية خصائصها وسماتها من مصدرين هما :-

١- مصادر الثقافة الإسلامية التي انبثقت عنها .

٢- الجهد البشري المنظم والمستمر والهادف إلى استكشافها وفق مناهج علمية دقيقة تستند على التجريب والاستقراء .

فلقد أنبأت مصادر الثقافة الإسلامية الرئيسة اليقينية القطعية والمتمثلة في نصوص الوحي المقروء بشقيهß القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرةß عن بعض خصائص « السنن الإلهية » صراحة ومنها قوله تعالى : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ

لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الأحزاب ٣٣/٦٢] وقوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر ٣٥/٤٣] .

كما ورد في نصوص الوحي الدعوة المتكررة إلى بذل الجهد البشري بالنظر والتفكر وإعمال العقل في الكون المنظور وما حوى ، وفي أخبار من مضوا فيما نزل بهم من عواقب أو نالوه من منن ؛ ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ [يونس ١٠/١٠١] ، وقوله جل ذكره : ﴿ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٦٩﴾ ﴾ [النمل ٢٧/٦٩] ، وقوله ﷻ : ﴿ وَلَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ ءَايَٰتٍ مُّبَيِّنَٰتٍ وَمَثَلًا مِّنَ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [النور ٢٤/٣٤] .

ولذلك خلص شهوان (١٤١١هـ ß ١٩٩٠م) إلى أن للسنن الإلهية مصادر ثلاث هي (ص ٤٨٢) :-

١- القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة .

٢- الكون .

٣- التاريخ .

لقد حظيت أنواع السنن الإلهية الأربع – المتقدم ذكرها – بنصيب وافر في نصوص الوحي بشقيه ، وبذل العلماء والمفكرون جهوداً مستفيضة في دراستها وتدبرها ß قديما وحديثا ß [٤٦] مما جعل بعضهم يفرد لكل نوع منها خصائص مستقلة ، اعتبروها خصائص فارقة بين أنواعها الأربعة .

ولكن الخصائص التي سيرد ذكرها لاحقا ستقتصر على الخصائص العامة للسنن الإلهية ككل والمشتركة بين جميع أنواعها ؛ وهي « الثبات والاطراد » و « الشمولية والعموم » .

الخاصية الأولى : الثبات والاطراد

لقد أنبأنا القرآن الكريم أن سنة الله ﷻ في خلقه لا تتبدل ولا تتحول وذلك في أكثر من آية ، ومنها قوله تعالى : ﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ [فاطر ٣٥/٤٣] ومعنى التبديل في اللغة : التغيير ، قال الأصفهاني ß ت ٤٢٥ رحمه الله تعالى ß (١٤١٢هـ ß ١٩٩٢م) : والتبديل قد يقال للتغيير مطلقا وإن لم يأت ببدله ~ (ص ١١١ ، مادة : بدل) . أما التحويل في اللغة فمعناه : التغيّر والتحول ، ففي معجم ألفاظ القرآن الكريم (١٣٩٠هـ ß ١٩٧٠م) :

[٤٦] عرض كل من شهوان (١٤١١هـ–١٩٩٠م ، ص ص ٨٣٠–١٠٤٦) والحميد (١٤١٤هـ ß ١٩٩٣م ، ص ص ٥٠–٦٩) نماذج من جهود العلماء والمفكرين ß من المتقدمين والمتأخرين ß في اعتنائهم بموضوع « السنن الإلهية » ببيانها واستكشافها .

حوّل الشيء يحوله تحويلا : غيره وبدله « فعله متعد » ~ (ج ١ ، ص ٣٢١) ، ومن ثم فإن الآية صريحة الدلالة على أن سنة الله ﷻ ثابتة لا يجري عليها التغيير بفعل مخلوق ما ، ولا التغير والتحول بنفسها ، وكل ما يجري فيها من تغيير وتغير إنما هو بإرادة الله ﷻ إذا قضت حكمته سبحانه حدوث خارق للعادة يشهده الخلق كمعجزات الأنبياء وكرامات الأولياء . وفي ذلك يقول سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) :

> والأمور لا تمضي في الناس جزافا ؛ والحياة لا تجري في الأرض عبثا ؛ فهناك نواميس ثابتة تتحقق ، لا تتبدل ولا تتحول . والقرآن يقرر هذه الحقيقة ، ويعلمها للناس ، كي لا ينظروا الأحداث فرادى ، ولا يعيشوا الحياة غافلين عن سننها الأصلية ، محصورين في فترة قصيرة من الزمان ، وحيز محدود من المكان . ويرفع تصورهم لارتباطات الحياة ، وسنن الوجود ، فيوجههم دائما إلى ثبات السنن واطراد النواميس ، ويوجه أنظارهم إلى مصداق هذا فيما وقع للأجيال قبلهم ؛ ودلالة ذلك الماضي على ثبات السنن واطراد النواميس ~ (ج ٥ ، ص ص ٢٩٤٩–٢٩٥٠) .

إن الثبات الذي نعنيه في السنن يشرحه كنعان (١٤١١هـ) بقوله :

> إننا حين نصف السنن بالثبات ، فإننا نعني بذلك ارتباط الأسباب بالمسببات ، أو ارتباط العلة بالمعلول ، ارتباطا ضروريا لا ينفصم ، إلا أن يشاء الله . . فقد اقتضت حكمة الخالق سبحانه ، أن يكون له في كل حادثة سبب يؤدي إليها ، وأن يكون وراء كل معلول علة يرتبط بها ، وهذا ما يعطي السنن صفة الثبات ~ (ص ٦٩) .

وأما الاطراد فمعناه كما يقول كنعان (١٤١١هـ) : ونعني باطراد السنة تتابع حصولها ، أو تكرار آثارها على الوتيرة نفسها كلما توافرت شروطها ، وانتفت الموانع التي تحول دون تحقيقها ~ (ص٧٦) .

وهذا الثبات والاطراد تتسم به جميع أنواع السنن الإلهية ، ما يتعلق منها بمادية الكون ، وكذلك ما يتعلق منها بالإنسان فردا كان أم في جماعة أو أمة ، ودليل ثباتها واطرادها في النوع الأول يؤكده زيدان (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) بقوله :

> إن الله تعالى يلفت الأنظار إلى هذه الظواهر الكونية ويجعلها من الآيات الدالة على خالقيته وربوبيته لقوم يعقلون ويتفكرون ، ولولا اطراد حدوثها ß مما يدل على خضوعها لقانون ثابت ß لما صح لفت النظر إليها واعتبارها من آيات الله تعالى ~ (ص٩) .

كما يدلل زيدان أيضا على ثباتها واطرادها في النوع الثاني بقوله :

> إن الله تعالى قص علينا قصص الأمم السابقة وما حل بها لنتعظ ونعتبر ولا نفعل فعلهم لئلا يصيبنا ما أصابهم ، ولولا اطرادها لما أمكن الاتعاظ والاعتبار بها ~ (ص١٤) .

ويؤكد كنعان (١٤١١هـ) أيضا حتمية كون سنن الله ﷻ ثابتة من وجهين آخرين بقوله :

> فلولا ثبات السنن على هذه الشاكلة لما أمكن للبشر أن يسخروها أو يستفيدوا منها ، ولما كان استخلاف البشر في الأرض ممكنا ، إذ كيف يمكن أن يستخلفوا في عالم هلامي لا يثبت على

حال ؟ ، وكيف يمكن أن يسخروا مثل هذا العالم الذي لا يحكمه قانون ، ولا تضبطه سنة ؟ .

ومن جهة ثانية . . لو لم تكن سنن الله ثابتة على هذا الحال ، لما كان في هذا الوجود توازن ولا استقرار ، ولكانت الفوضى حينئذ هي سمة الخلق كله . . وهذا ما يتنافى مع الواقع المشهود ، الذي تدلنا كل صغيرة وكبيرة فيه على آيات التوازن والاستقرار ، كما قال تعالى في وصفه: ﴿ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴾ [القمر ٥٤/٣] ~ (ص ص ٦٨–٦٩) .

الخاصية الثانية : الشمول والعموم

تتصف السنن الإلهية بالشمولية والعموم ؛ بمعنى أنها تهيمن على كل ما خلق الله سبحانه وتعالى ؛ خلقه المادي وخلقه الإنساني في ذلك سواء ، فجميع ما خلق ومن خلق خاضع لسلطانها وفق ما قدر الله ودبر وأجرى من قوانين ونواميس ، وفي ذلك يقول كنعان (١٤١١هـ) :

∅فإن سنن الله عز وجل لا تحكم العالم المادي وحده ، بل هي تحكم ما في هذا الوجود من خلائق ، سواء أكانت مادية كالذرة ، والكهرباء ، والحرارة ، أم كانت معنوية كالعواطف الإنسانية ، والسلوك الاجتماعي . . وهذا ما تأكده آيات كثيرة من القرآن الكريم ، من مثل قوله تعالى : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ [آل عمران ٨٣/٣] فالكل خاضع لله . . خاضع لسننه التي فطر الخلق عليها .

وكما أن الماء يطفئ النار . .

وكما أن المعدن يتمدد بالحرارة ويتقلص بالبرودة . .

وكما أن رمي الحجر في الفضاء يجعله يسقط إلى الأرض . .

وكما أن التقاء النطفة بالبيضة يولد الجنين . .

وهذه كلها سنن مادية مشاهدة مدركة . .

فكذلك السنن التي تحكم النفس البشرية والحياة الاجتماعية ، فهي سنن تقوم على مقدمات ونتائج ، وترتبط نتائجها بمقدماتها ارتباطا وثيقا مقدرا من الله ﷻ ~ (ص ٥٨) .

إن القرآن الكريم يؤكد لنا شمولية وعمومية سنن الله ﷻ في خلقه الإنساني وذلك في كثير من آياته ؛ ومنها ما استدل به زيدان (١٤١٣هـß ١٩٩٣م) بقوله :

وهي ، أي سنة الله ، تتصف بالعموم أي أنها عامة يسري حكمها على الجميع دون محاباة ولا تمييز ، قال تعالى : ﴿ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِي ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ ﴾ [القمر ٥٤/٤٣] ، ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ﴾ [القمر ٥٤/٥١] ، أي ليس كفاركم خيرا من كفار من تقدم من الأمم الذين أهلكوا بكفرهم . وقال تعالى : ﴿ لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ ﴾ [النساء ٤/١٢٣] ، والمعنى أن كل من يعمل سوءا يلق جزاءه ؛ لأن الجزاء بحسب سنة الله تعالى أثر طبيعي للعمل لا يتخلف عنه . فسنة الله تعالى ثابتة مطردة وعامة غير مقتصرة على فرد دون فرد ولا قوم دون قوم ~ (ص ١٥) .

إلا أن لهذه الشمولية والعمومية ما يخصصها ؛ وهو الإيمان الكامل بالله ﷻ في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته ، فلقد اختص الله تعالى المؤمنين من عباده بسنن وقوانين خاصة بهم

مِنّةً مِنْهُ وفضل وذلك جزاء إيمانهم . ولكن هذه السنن الخاصة بهم لا تخرج عن شمولية وعمومية السنن الإلهية ، فالجزاء المترتب على أعمالهم حاصل لهم ولكن بقضاءٍ وقدرٍ تحفه العناية الإلهية ، وفي ذلك يقول محمد قطب (١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م) :

من أول ما يلحظه الدارس لموضوع السنن في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ أن هناك :

سننا عامة ß وهي الأكثر عددا والأوسع مساحة في التاريخ البشريß تشمل « الإنسان » كله ، مؤمنه وكافره ، وإن كانت تحدد للمؤمنين طريقهم ، وعاقبة أمرهم إذا استقاموا على الإيمان ، كما تحدد للكافرين طريقهم وعاقبة أمرهم ، وتبين الفارق الواسع بين حياة هؤلاء وحياة هؤلاء في الدنيا والآخرة جميعا .

وسننا خاصةß وهي الأقلß تقع للمؤمنين وحدهم أو للكافرين وحدهم ، ولكنها رغم خصوصيتها سنن جارية ، أي أنها تتكرر للمؤمنين ولا تقع للكفار ، أو تتكرر للكفار ولا تقع للمؤمنين Ø ومن أبرزها تحقق التمكين للكفار وهم عصاة ، وعدم تحققه للمؤمنين إلا وهم مستقيمون على الطريق ~ (ص ص ٨٦- ٨٧ مع الحاشية)

ومن السنن الخاصة بالمؤمنين ما يلي:-

<u>السنة الأولى :</u>

أن الأمة الإسلامية تمرض ولكنها لا تموت أو تهلك وذلك حاصل لها بفضل رحمة رسول الله ﷺ بها حيث سأل الله ﷻ لها ؛ ففي الحديث القدسي الذي رواه الترمذي -

ت ٢٩٧هـ رحمه الله تعالى – (١٤٠٨هـ–١٩٨٧م) يقول الرسول ﷺ : « Ø وإني سألت ربي لأمتي أن لا يهلكها بسنة عامة وأن لا يسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم وإن ربي قال يا محمد إني إذا قضيت قضاء فإنه لا يرد وإني أعطيتك لأمتك أن لا أهلكهم بسنة عامة وأن لا أسلط عليهم عدوا من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ولو اجتمع عليهم من بأقطارها أو قال من بين أقطارها حتى يكون بعضهم يهلك بعضا ويسبي بعضهم بعضا » ، قال أبو عيسى ـ أي الترمذي ß هذا حديث حسن صحيح ~ (ح ٢١٧٦) ، وقال المباركفوري ß ت ١٣٥٣ هـ رحمه الله تعالى ß (د . ت) عند شرحه للحديث :

> (بسنة عامة) : أي بقحط شائع لجميع بلاد المسلمين ، قال الطيبي : السنة القحط والجدب Ø ، (بيضتهم) : قال الجزري في النهاية : أي مجتمعهم وموضع سلطانهم ومستقر دعوتهم ، وبيضة الدار وسطها ومعظمها ؛ أراد عدوا يستأصلهم ويهلكهم جميعا Ø ، (السبي) : ويسبي كيرمي، عطف على يهلك ، أي ويأسر Ø ~ (ج٦ ، ص ص ٣٣٢–٣٣٣) .

وفي ذلك يقول حسنة (١٤١٤هـ–١٩٩٤م) :

> Øإن تسليط الأعداء على الأمة المسلمة ليس تسليط استئصال ، وأن إصابتهم للمسلمين ، وإضرارهم بهم ، ما هو إلا أذى ، وليس إنهاء لهم ، لأنهم أمة الرسالة الخالدة ، والخاتمة ، والشواهد التاريخية دليل ذلك .. فالأمة المسلمة تمرض وتضعف ، لكنها تستعصي على الموت الذي لحق بالكثير من الحضارات السابقة لها واللاحقة عليها ~ (ص ١٢) .

السنة الثانية :

أن الله إذا مكنها في الأرض فهو تمكين رضا أما تمكين الكافر فهو تمكين إملاء لقوله تعالى : ﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْۚ إِنَّمَا نُمْلِى لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾ ﴾! [آل عمران ٣/١٧٨] ؛ قال الأصفهاني ß ت ٤٢٥ رحمه الله تعالى ß (١٤١٢هـ ß ١٩٩٢م) : الإملاء : الإمداد (ص٧٧٦) ؛ وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) : أملى له بمعنى أطال له ووسع له فيما هو فيه (ج٢ ، ص٦٥٦) ، قال رضا - ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م رحمه الله تعالى - (د . ت) :

> إن هذا الإملاء للكافرين ليس عناية من الله بهم ، وإنما هو جري على سنته في الخلق ، وهي أن يكون ما يصيب الإنسان من خير وشر هو ثمرة عمله . ومن مقتضى هذه السنة العادلة أن يكون الإملاء للكافر علة لغروره ، وسببا لاسترساله في فجوره ، فيوقعه ذلك في الإثم الذي يترتب عليه العذاب المهين ~ (ج ٤ ، ص٢٥٠) .

ويؤكد ذلك محمد قطب (١٤٠٨هـß ١٩٨٨م) ثم يتبعه ببيان أوجه الخلاف بين تمكين كل من الحزبين فيقول :

> فهؤلاء وهؤلاء يمكنون ، ولكن يختلف نوع الحياة بين هؤلاء وهؤلاء اختلافا كبيرا ، رغم اشتراكهما الظاهري في التمكين ، لأن كلا منهما ممكن لأسباب مختلفة عن الآخر . المؤمنون ممكنون تمكين رضا ، والكافرون ممكنون تمكين استدراج .

ويختص المؤمنونß في تمكينهمß بصفتين لا تنالان الكفار أبدا : البركة والطمأنينة [قال جل ذكره] : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف ٩٦/٧] ، ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾ ﴾ [الرعد ٢٨/١٣] .

بينما الكفار ß رغم تمكنهم ß محرومون من البركة والطمأنينة يعيشون معيشة ضنكا ولو حصلوا على الرفاهية المادية ، ويتمتعونß حين يتمتعونß متاع الأنعام ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾ [طه ١٢٤/٢٠] ، ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ ﴾ [محمد ١٢/٤٧] ~ (ص ص ٩٥–٩٦) .

<u>السنة الثالثة :</u>

أن المؤمنين لا يمكنون حتى يبتلوا [٤٧] ابتلاء ذا هدف خاص يوضحه محمد قطب (١٤٠٨هـ–١٩٨٨م) بقوله :

كذلك من السنن الخاصة ابتلاء المؤمنين ß قبل التمكينß من أجل التمحيص ، ليقوم بنيانهم بعد ذلك على تمكن

[٤٧] من الدراسات العلمية القيمة التي تناولت سنة الابتلاء ؛ صالح ، عبد الله ، ميرغني ، محمد – (د . ت) ، **الابتلاء وأثره في حياة المؤمنين كما جاء في القرآن الكريم** ، بيانات النشر (بدون) ، القاهرة : دار الاعتصام . وهي رسالة علمية تقدم بها إلى كلية أصول الدين بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض لنيل درجة الماجستير .

ورسوخ [قال تعالى]: ﴿ الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت ٢٩/١-٣] ، [وقال تعالى] : ﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝١٤٠ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝١٤١ ﴾ [آل عمران ٣/١٤٠-١٤١] .

والابتلاء سنة عامة Ø ولكنا نتحدث هنا عن سنة خاصة يختص بها الله المؤمنينß الذين اتجهوا إلى الإيمان وساروا في طريقهß ولا يجريها بصورتها تلك ولا أهدافها تلك على الكافرين .

فهو ابتلاء الرحمة لا ابتلاء الغضب . . وابتلاء الاختيار لا مجرد الاختبار ~ (ص ١١٠-١١١) .

ولقد أدرك سلفنا الصالح حقيقة هذه السنة الخاصة فلقد سأل رجل الشافعي – ت ٢٠٤هـ رحمه الله تعالىß (في سرور ، ١٤١٢هـ-١٩٩٢م) : أيهما أفضل للرجل : أن يمكن أو يبتلى ؟ قال الشافعي : لا يمكن حتى يبتلى ، فإن الله ابتلى نوحاً وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمداً صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فلما صبروا مكنهم ، فلا يظن أحد أنه يخلص من الألم البتة (ص ٢٢٤) .

إن السنن الإلهية الخاصة بالمؤمنين لا تقتصر على ما تقدم ذكره ، بل هذه نماذج منها ، وقد رصد كثيرٌ من العلماء والمفكرين سواها ، ومن أولئك حسنة (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) حيث ذكر منها ما يلي :

وأن الأمة المسلمة لا تجتمع على الخطأ والضلالة ، فلا تزال عصمة الأمة بعمومها قائمة ومستمرة ، حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

وأن هناك طائفة من الأمة لا تزال قائمة على الحق ، تحرسه ، وتحول دون الانحراف عنه ، وتضمن سلامة التواصل الثقافي بين الأجيال ، لا يضرها من يخالفها حتى يوم الدين ، والتي تشكل خميرة النهوض والإمكان الحضاري في كل حين .

وأن العشرين الصابرين من المؤمنين المقاتلين يغلبوا مائتين ، وذلك حتى بعد التخفيف .

وأن الاستمساك بالإيمان ، واق من آثار الهزيمة ، وما تورثه من الوهن والحزن ، وداع إلى الاستعلاء وعدم السقوط ، والمعاودة للشهود الحضاري بعد الانكسار .

إلى جانب عدم انطباق قانون الدورات الحضارية الذي انتهى إليه علماء التاريخ والحضارة والاجتماع ، على الأمة المسلمة .. وهذه القضية يمكن أن نعتبرها من خصائص أمة الرسالة الخاتمة ، ومواثيق الله لها ، مهما حاولنا الحديث عن توفر أو تخلف الشروط والظروف ~ (ص ص ١٢ –١٣) .

أهمية دراسة السنن الإلهية والاسترشاد بها

عندما دب الضعف والانحسار في حضارة أمة الإسلام مؤخرا انبرى المصلحون والمجددون من العلماء والمفكرين لواقع الأمة المحزن آخذين على عاتقهم كشف أسباب الخلل والانحسار فاتفقوا على جملة من الأسباب ومن أهمها غياب فقه السنن الإلهية بدراستها والاسترشاد بها ، وفي ذلك يقول عبدالحميد (١٤١٦هـ ß ١٩٩٦م) :

الاتفاق الكامل على أن المسلمين لابد لهم في هذا العصر أن يهتموا بفهم السنن الإلهية في الكون ، وأن يستغلوها لصالح إنشاء حضارتهم الإسلامية الجديدة ، مستفيدين من كل جديد ومفيد في العلم والتقنية والتنظيم والفكر دون فقدان الأصالة ومحو الذات ، والكلمة الحكمة ضالة المؤمن أينما وجدها فهو أحق الناس بها كما قال الرسول الكريم [ﷺ] ~ (ص ١٣٥) .

وممن لفت الانتباه إلى غياب فقه السنن الإلهية رضا ß ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م رحمه الله تعالىß (د . ت) حيث يقول :

ولم يُقَصِّرْ المصنفون من المتقدمين والمتأخرين في شيء من علم الكتاب والسنة كما قصروا في بيان ما هدى إليه القرآن والحديث من سنن الله تعالى في الأمم والجمع بين النصوص في ذلك والحث على الاعتبار بها ، ولو عنوا بذلك بعض عنايتهم بفروع الأحكام ، وقواعد الكلام ، لأفادوا الأمة ما يحفظ به دينها ودنياها ، وهو ما لا يغني عنه التوسع في دقائق مسائل النجاسة والطهارة ، والسلم والإجارة ~ (ج٧ ، ص ص ٤٩٩-٥٠٠) .

وتعود أهمية دراسة السنن الإلهية والاسترشاد بها إلى عدة أمور هي :-

أولاً :

أن العلم بسنن الله تعالى وسيلة إلى كمال العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله ، يقول رضا -ت ١٣٥٤هـ/١٩٣٥م رحمه الله تعالىß (د . ت) :

فان العلم بسنن الله تعالى في عباده ، لا يعلوه إلا العلم بالله تعالى وصفاته وأفعاله ، بل هو منه أو من طرقه ووسائله ∅

∅ أما العلم بالله تعالى وبصفاته وأفعاله فهو معراج الكمال الإنساني ، وأما العلم بسننه تعالى في خلقه فهو وسيلة ومقصد ، أعني أنه أعظم الوسائل لكمال العلم الذي قبله ومن أقرب الطرق إليه ، وأقوى الآيات الدالة عليه ~ (ج٧ ، ص٥٠٠) .

إن التدبر في سنن الله تعالى والعلم بها يغرس في القلب اليقين أن لهذا الكون المُبْدَعِ مُبْدِعَاً بيده ملكوت كل شيء ولا يفعل إلا ما سبقت به حكمته وعدله .

ثانياً :

إن العلم بها يعين الإنسان المكلف على القيام بأمانة الاستخلاف في الأرض وعمارتها وذلك حين يحسن تسخيرها والإفادة منها ، وفي ذلك يقول كنعان (١٤١١هـ) :

إن كشف السنن ومعرفة شروطها وخصائصها ، يجعل الأمور ، التي تخضع لهذه السنن في نطاق التسخير لنا نحن البشر . أي إن معرفتنا بالسنن تجعلنا أقدر على تسخير الكون بما فيه من حولنا ، والاستفادة من ذلك في تصريف شؤون حياتنا ، فضلا عن تحديد مسار سلوكنا وفق ضوابط تحدد المعالم والأهداف والسبل الموصلة إليها ~ (ص٣٨) .

إن فاعلية الإنسان في بناء حضارته تزيد بزيادة تعمقه في فهم السنن الإلهية حيث يتقلص لديه الزمن الذي يستغرقه في إنجازاته المتعددة ، وهذه الحقيقة يؤكدها كنعان (١٤١١هـ) بقوله : والمعرفة بالسنن توفر لنا الوقت ، وتجعلنا أقدر على التحكم فيه ، وهذا ما يعجل مسيرة الحضارة ، ويدفعها للتسارع يوما بعد يوم ~ (ص ٤٢) .

ثم ساق كنعان شواهد عملية تؤكد قوله وهي :

احتاج الإنسان إلى ١١٢ سنة (١٧٢٧م-١٨٣٩م) لتطبيق المبدأ النظري الذي يبنى عليه التصوير الفوتوغرافي .

واحتاج إلى ٥٦ سنة (١٨٢٠م- ١٨٧٦م) لكي يتوصل من النظريات العلمية الخالصة إلى اختراع التليفون .

والى ٣٥ سنة (١٨٦٧م- ١٩٠٢م) لظهور الاتصال اللاسلكي .

والى ١٥ سنة (١٩٢٥م-١٩٤٠م) للرادار .

و ١٢ سنة (١٩٢٢م-١٩٣٤م) للتلفزيون .

و ٦ سنوات (١٩٣٩م-١٩٤٥م) للقنبلة الذرية .

و ٥ سنوات (١٩٤٨م-١٩٥٣م) للترانزيستور .

و ٣ سنوات (١٩٥٩م-١٩٦١م) لإنتاج الدوائر المتكاملة ~ (ص٤٤) .

وقبل هذه الشواهد عقد كنعان مقارنة بين مرض « الزهري » ومرض « الإيدز » ليدلل بها على أن التعمق في علم السنن الإلهية يساعد على توفير الوقت ، فأما الزهري فقد ظهر في أوروبا حوالي عام ١٤٩٣م واكتشف عقار البنسلين المضاد له بعد أكثر من أربعمائة سنة وذلك عام ١٩٢٨م . بينما ظهر الإيدز عام ١٩٨١م واستطاع العلماء في نحو عام واحد فضح أسراره وعزل الفيروس المسبب له . والسر في تحقيق هذا الإنجاز العلمي الرائع يرجع إلى معرفة السنن المتعلقة بالمرض ، ومن ثم تمكن العلماء من فك رموز الإيدز واختزال الزمن من أربعمائة عام إلى عام واحد (ص ص ٤٢-٤٣) .

وكذلك في مجال السنن الإلهية المتعلقة بالإنسان ، فإن العلم بها يعين الإنسان على استكشاف أسباب الخلل ونقاط الضعف في مسيرته الحضارية فيقرر بذلك السير على جادة سليمة ، وفي ذلك يقول أمحزون (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) :

> ومن خلال السنن في كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ نفهم التاريخ على حقيقته ، ونعرف عوامل البناء والأمن والاستقرار والتقدم ، وعوامل الهدم والخوف والانحطاط والتخلف .
>
> على أن هذه السنن مرتبطة بالأمر والنهي ، والطاعة والمعصية ، والإيمان والكفر ، والتوحيد والشرك ، فالإنسان إذا أتى الأمر واجتنب النهي ووقف عند حدود الله ، أصاب خير السنة الربانية ، وإذا أهمل الأمر وخالفه وارتكب المنهي عنه ووقع في حدود الله ، أصاب شر السنة الربانية ~ (ص ١١٥) .

ولذلك نجد نصوص القرآن الكريم والسنة المطهرة تكثر من ذكر سلوكيات الأمم الماضية وما ترتب عليها من جزاء ؛ وذلك لأهميتها البالغة للإنسان المتدبر الراغب في بناء حضارة سليمة تغمر أهلها بالطمأنينة والبركة فتحصل لهم السعادة الوافرة ، وفي ذلك يقول زيدان (١٤١٣هـß ١٩٩٣م) :

> إن دراستها وفهمها من الأمور المهمة جدا والواجبة ديانة ، لأن معرفتها معرفة لبعض الدين قال تعالى : ﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [النحل ٨٩/١٦] قال الآلوسي رحمه الله تعالى في تفسير هذه الآية : " والمراد من (كل شيء) ما يتعلق بأمور الدين أي بيانا بليغا لكل شيء يتعلق بذلك ، ومن جملته أحوال الأمم مع أنبيائهم " (ج١٤ ، ص ٢١٤) . ومن الواضح أن

> أحوال الأمم مع أنبيائهم ∅ تعني ما جرى لهم مع أنبيائهم وما حل فيهم بسبب سلوكهم معهم وموقفهم منهم وفقا لسنة الله ، وما طلبه الله منا من الاتعاظ والاعتبار بهم . فيتحصل من ذلك أن معرفة سنن الله جزء من معرفة الدين أو معرفة لجزء من الدين ، وأن هذه المعرفة ضرورية .ومن الواجبات الدينية لأنها تبصرنا بكيفية السلوك الصحيح في الحياة حتى لا نقع في الخطأ والعثار والغرور والأماني الكاذبة ، وبذلك ننجو مما حذرنا الله منه ، ونظفر بما وعد الله به عباده المؤمنين المتقين ~ (ص ص ١٦-١٧) .

ثالثاً :

إن العلم بها يعين على استشراف المستقبل والتخطيط له لكونها منارات تهدي إلى الطريق القويم الجامع بين عالم الغيب وعالم الشهادة ، وفي ذلك يقول محمد قطب (١٤١١هـ-١٩٩١م) :

> كما أن الإسلام من جهة أخرى وجه المسلمين إلى تدبر السنن التي يجري الله بها أحداث الكون المادي ، وأحداث الحياة البشرية ، وهذه السنن في الحقيقة هي « همزة الوصل» بين عالم الغيب ، وعالم الشهادة . فالله يدبر أمر الكون من عالم الغيب ، سواء أمر السموات والأرض ، والنجوم ، والشجر ، والدواب . . أو حياة البشر أفراداً وجماعات ، ولكنه سبحانه وتعالى ، يدبر أمرها بمقتضى سنن معينة ثبتها سبحانه ، وهو القدير على تغييرها إذا شاء ، وخرق معتادها إذا شاء . ووجه الله أنظار المسلمين لتدبر تلك السنن ليرتبوا حياتهم بمقتضاها . ومن ثم صارت قلوبهم موصولة بعالم الغيب ، ونشاطهم العملي ß العقلي والجسدي ß

منطلقا في عالم الشهادة، في توازن دقيق جميل أخاذ ~ (ص ص ٢١٩-٢٢٠) .

إن هذا التوازن الدقيق بين عالم الغيب وعالم الشهادة في حس الإنسان المسلم ووعيه هو الذي يُفْرِزُ عن عملية استشراف المستقبل والتخطيط له في ظل السنن الإلهية يقيناً صادقاً بمستقبل زاهر منتظر، ذا نتائج حتمية صادرة عن التماذج بين عالم الغيب ß منطلق دافعية المسلم ß وعالم الشهادة ß مسرح سعيه وكدحه - ، وفي ذلك يقول بكار (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) :

> السنن ماضية قاهرة ، ونحن لا نتعلمها من أجل تغييرها أو تحييدها ، وإنما من أجل الانسجام معها والعمل بمقتضاها وتلافي الاصطدام بها ، والسنن مع جبريتها لا تمنعنا من الحركة ، إذ أن بين جبرية السنن ووسع المسلم وطوقه مساحات واسعة تصلح للتحرك والعمل ~ (ص ص ١٢-١٣) .

وتوضيحا لمعادلة « جبرية السنن وحرية الإنسان واستطاعته » يقول هيشور (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) :

> ... تنفي نظرية السنن فكرة الجبر التي ترى أن الإنسان ليس حرا في الوجود ، وبالتالي ليس له فعالية حقيقية في الحياة ، وأن كل شيء يقوم به مفروض عليه بقوة غيبية خارجية لا يدركها ولا يحسها ، والحق أن الإنسان لا يقدر على فعل أي شيء ضد مشيئة الله ، والله ذاته شاء أن يمنح هذا الإنسان قدرا من الحرية في الاختيار والقدرة في السلوك والعمل ليدبر شئونه ، ولعل دليلنا على هذا هو إحساس الإنسان ذاته في قرارة نفسه أنه حر يستطيع فعل

ما يشاء وترك ما يشاء وكيف أراد ، دون جبر داخلي أو قهر خارجي صادر عن غيره ولذا كان مسؤولا مسئولية كلية عن حياته في حاضره ومستقبله أمام الناس وأمام الله في الدنيا والآخرة ~ (ص٣١٦) .

كما يؤكد ذلك رضا (د . ت) بقوله :

الناس عاملون بالإرادة والاختيار ، ولكنهم خاضعون في أعمالهم للسنن والأقدار ، فلا إجبار ولا اضطرار ، ولا تعارض بين عملهم باختيارهم وبين مشيئة الخالق سبحانه ، ولا يعدون به مشاركين له تعالى في إرادته وقدرته ، فإن صفاته تعالى ذاتية واجبة الوجود كاملة ، وإرادة العباد وقدرتهم من عطاء الله وخلقه حسب مشيئته ، فهو الذي شاء أن يخلق نوعا من الخلق ويجعله ذا قدرة محدودة ومشيئة تتوقف عليها أعماله الاختيارية . ومعنى خلقه تعالى الأشياء بقدر وتقديره لكل شيء أنه خلقها بنظام جعل فيها المسببات على قدر الأسباب عن علم وحكمة ولم يخلق شيئًا جزافا ولا أنفا كما يزعم منكرو القدر ، والأنف بضمتين الأمر الذي يكون بادئ الرأي عن غير تقدير ولا نظام يجري عليه ، فليس في القدر شيء من معنى الإكراه والإجبار على العمل البتة ~ (ج٨ ، ص٢٨٦) .

ومن ثم يحدد بكار (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م) : جملة من الواجبات الملقاة على عاتق المخططين لمستقبل الأمة الإسلامية فيقول :

واجبنا اليوم :

١- التركيز في معارفنا العامة على الدراسات التاريخية والنفسية والتربوية والاجتماعية ، لنتمكن من

استجلاء أكبر عدد ممكن من سنن الله تعالى في الأنفس والمجتمعات .

٢- بلورة مناهج للعمل الدعوي تتناسب مع تلك السنن في أساليبها وأدواتها .

٣- تربية أبنائنا وطلابنا على التفكير السنني ، ليحل محل الأوهام والخرافات التي عششت في أذهان كثير منهم .

٤- محاولة القيام بتقويم سنني للأحداث الكبرى في تاريخنا والمعالم البارزة في واقعنا المعاش .

٥- القيام بدراسات علمية مستقبلية تعتمد على ما فقهناه من سنن الله تعالى في حركة الفرد والمجتمع .

وإذا ما فعلنا ذلك فسوف نجد الخلاص من كثير من مشكلاتنا ، كما سنجد ساحات ودروبا للحركة والعطاء ~ (ص ص ١٣-١٤) .

أثر السنن الإلهية في تحديد الأهداف التربوية العامة

تقدم تحديد مفهوم « الهدف التربوي » في نظام الإسلام في التربية بأنه : « كل قرار يُتخذ لصالح الإنسان المستهدف بالتربية ، وينصب العمل على تحقيقه بالوسائل الممكنة ، بغية الحفاظ على سلامة فطرته ، وتنمية طاقاته ، والسمو بدوافعه ، من أجل تأهيله بالوعي اللازم لأداء دوره المهم في الحياة ، سواءً أكان منفرداً أم في جماعة ، ولتحصينه من أن يؤتى من قبل ضعفه فيسقط في مهاوي الردى ، وكل ذلك في وسطية تنال كل أبعاده الجسدية والروحية والعقلية » .

كما تقدم بيان أنواع السنن الإلهية وهي:

١- سنن كونية .

٢- سنن تاريخية .

٣- سنن تشريعية .

٤- سنن إنسانية .

بالإضافة إلى أن الله تعالى أمتن على المؤمنين به بسنن خاصة تجري لهم ولكنها لا تخرج في الجملة عن سننه العامة في العالم الأكبر .

واستنادا على ذلك ؛ فإنه لما كان الهدف التربوي قراراً مستقبلياً يتخذ لصالح الإنسان المسلم ، الذي له سننٌ إلهية خاصة به ؛ فإن الخطوة الأولى لتحقيق هذا الهدف التربوي هو تبين السنن الخاصة به . وفي ذلك يقول كنعان (١٤١١هـ) :

∅إن كل أمر في هذا الوجود يخضع لسنة مخصوصة! ∅وهذه الحقيقة يجب أن تظل ماثلة في أذهاننا كلما أردنا أن نحقق هدفا من الأهداف ، أو القيام بعمل من الأعمال ، فإن الخطوة الأولى في سبيل تحقيق ذلك هي أن نتبين السنة الخاصة بهذا العمل أو ذاك الهدف ، لأن القيام بأي عمل دون معرفة بالسنة التي يخضع لها ، يعد ضربا من العبث ، وإهدارا للطاقة ~ (ص ص ٦٦-٦٧) .

ومن هنا كانت السنن الإلهية من المصادر المهمة لاستمداد الأهداف التربوية ، فبها يمكن استشراف المستقبل والتخطيط له ، وبها أيضاً يمكن بناء القرارات اللازمة وذلك بصيغة أهداف عامة ومرحلية .

ويتجلى أثر السنن الإلهية في تحديد الأهداف التربوية العامة من خلال ما يلي :-

أولاً :

تتأثر فاعلية الإنسان في أداء دوره ورسالته في الحياة بحسب درجة السمو والانحطاط في دوافعه واحتياجاته . ولما كان الهدف التربوي في نظام الإسلام في التربية يسعى إلى السمو بدوافع الإنسان واحتياجاته ؛ لذا فإن الطريق إلى هذا السمو إنما يكون من خلال السنن الإلهية حيث حددت نوعية الدوافع التي تزيد من فاعلية الإنسان وساعدت على تفجير طاقاته الكامنة ، ومن الدوافع التي اعتنت السنن الإلهية بها : الإيمان بالله ، ووعي الإنسان وإدراكه لمسيرة الحياة البشرية منذ وجودها .

أما الإيمان بالله ﷻ فإنه يعتبر الوضع الطبيعي والحقيقي للفطرة السليمة ، وهو أعظم دافع يزيد من فاعلية الإنسان ويأخذ بيده إلى إطلاق طاقاته الكامنة ، ولذلك اعتنت السنن الإلهية ببيان الآثار المترتبة عليه ، وقد أورد حسنة (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) نماذج منها حيث يقول :

> لقد ربط القرآن كثيراً من النتائج المتحصلة من إعمال هذه السنن ، بالتقوى . . فمثلا :

ربط بين التقوى وما تؤدي إليه من بصيرة في النظر للأمور ، والحكم عليها بالحق والباطل ، والصواب والخطأ . . يقول تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الأنفال ٨/٢٩] .

وهناك ارتباط بين الإيمان والتقوى ، وبين اكتشاف سنن التسخير وزيادة الرزق ، قال تعالى : ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [الأعراف ٧/٩٦] ~ (ص ١٤) .

أما الوعي والإدراك وهو المظهر الرئيسي في تفرد الإنسان عن غيره من المخلوقات فإنه يزيد وينمو من خلال تنشيط أدوات اكتساب المعرفة الحسية والعقلية ؛ والسنن الإلهية هي الميدان الرحب الذي تنشط فيه هذه الأدوات بنوعيها ، ففي الكون وتدبره تنشيط للأدوات الحسية . وفي أخبار الأمم وتاريخها تنشيط للأدوات العقلية ؛ لأنها تعمل في رصيد الخبرة البشري المديد . وعندما يزيد الوعي والإدراك من خلال ميدان السنن الإلهية مع وجود دافع الإيمان بالله تعالى ، وعندما تغدو النتائج الحتمية ماثلة لكل من سلك طريقها ؛ عندئذ يصبح الوعي والإدراك دافعاً يزيد من فاعلية الإنسان في أداء دوره المهم في الحياة وتتفجر طاقاته الحسية والمعنوية .

ثانياً :

ينبئ قياس سلوك الأفراد والجماعات والأمم على مدى الصلاح والفلاح فيها ، وكثيراً ما تتباين وجهات النظر نحو ماهية السلوك الصالح بحسب القيم والثقافات ، ولذلك حددت مصادر الثقافة الإسلامية نوعية وماهية السلوك الصالح من خلال السنن الإلهية الواردة في مصادرها الرئيسة وذلك ببيان الآثار والنتائج المترتبة على سلوك الأفراد والجماعات والأمم عبر تاريخها الطويل ، وعنها استقت التربية الإسلامية نوعية السلوك الصالح ، وتبنته في قراراتها المتخذة لصالح الإنسان ، ومن الأمثلة على تلك السنن قوله تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَـٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَـٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ﴾ [الجن ٧٢/١٦-١٧] ويعلق عليها سيد قطب -ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى - (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) بقوله :

> وهذه اللفتة تحتوي جملة حقائق ، تدخل في تكوين عقيدة المؤمن ، وتصوره عن مجريات الأمور وارتباطاتها .
>
> والحقيقة الأولى: هي الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله ، وبين إغداق الرخاء وأسبابه ، وأول أسبابه توافر الماء وإغدوداقه Ø وهذا الارتباط بين الاستقامة على الطريقة وبين الرخاء والتمكين في الأرض حقيقة قائمة ~ (ج٦ ، ص ٣٧٣٤) .

إن السلوك الصالح تعبير صادق عن الاستقامة على الطريقة الواحدة الواصلة إلى الله ، ولذلك تعزز التربية الإسلامية كل سلوك صالح في الإنسان ، وتأخذ بيديه للتخلص من كل سلوك يقطع الصلة بينه وبين خالقه تعالى ، مثل الفسق في السلوك ، ومظاهر الترف ، وبطر المعيشة

والذي قال الله ﷻ عنه : ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ۝١٦ ﴾ [الإسراء ١٧/١٦] ، قال سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) في تفسيرها :

> والمترفون في كل أمة هم طبقة الكبراء الناعمين الذين يجدون المال ويجدون الخدم ويجدون الراحة ، فينعمون بالدعة والراحة وبالسيادة ، حتى تترهل نفوسهم وتأسن ، وترتع في الفسق والمجانة ، وتستهتر بالقيم والمقدسات والكرامات ، وتلغ في الأعراض والحرمات ، وهم إذا لم يجدوا من يضرب على أيديهم عاثوا في الأرض فسادا ، ونشروا الفاحشة في الأمة وأشاعوها ، وأرخصوا القيم العليا التي لا تعيش الشعوب إلا بها ولها . ومن ثم تتحلل الأمة وتسترخي ، وتفقد حيويتها وعناصر قوتها وأسباب بقائها ، فتهلك وتطوي صفحتها .
>
> والآية تقرر سنة الله هذه . فإذا قدر الله لقرية أنها هالكة لأنها أخذت بأسباب الهلاك ، فكثر فيها المترفون ، فلم تدافع ولم تضرب على أيديهم ، سلط الله هؤلاء المترفين ففسقوا فيها ، فعم فيها الفسق ، فتحللت وترهلت فحقت عليها سنة الله ، وأصابها الدمار والهلاك ~ (ج٤ ، ص ص ٢٢١٧–٢٢١٨)

إن الأخذ على أيدي المترفين يقع في الدرجة الأولى على عاتق نظام التربية في المجتمع حيث يمتزج فيه الاحتساب على المترفين مع تربية إنسان المجتمع على تجنب سلوكهم السيئ الجالب للدمار والهلاك .

إن نصوص الوحي الدالة على السنن الإلهية مليئة بأنواع السلوك البشري ، ومن ثم كانت هذه النصوص منارات تحدد لنظام التربية في الإسلام السلوك المقبول منه فتتبناه في أهدافه ، كما تحدد المرفوض منه فتحذره بتربية الإنسان على نقيضه .

الفصل الثالث

علم التغيير التربوي

الفصل الثالث
علم التغيير التربوي

بين يدي الفصل

تقدم الحديث أن التغيير جزء من عملية استشراف المستقبل والتخطيط له ، وهذا التغيير لا يمكن أن يتم وفق خطوات عشوائية ، وإنما يحتاج إلى تبصر ووضوح وسير وفق إجرائية مدروسة وآلية محددة ، وذلك ما جعل عملية التغيير علماً مستقلاً تطبيقياً ، فكيف يتم ذلك في العملية التربوية ؟ ، ذلك ما آمل إيضاحه في هذا الفصل .

مفهوم التغيير

قال الأصفهاني – ت ٤٢٥ رحمه الله تعالى – (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) :

~ والتغيير يقال على وجهين :

أحدهما : لتغيير صورة الشيء دون ذاته . يقال ، غيرت داري : إذا بنيتها بناء غير الذي كان .

والثاني : لتبديله بغيره . نحو : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ ﴾ [الرعد ١١/١٣] { (ص ٦١٩) .

وقال ابن منظور – ت ٧١١هـ رحمه الله تعالى – (د . ت) :

~ وتغير الشيء عن حاله : تحول ، وغيره حوله وبدله كأنه جعله غير ما كان ، وفي التنزيل العزيز : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ

﴾ [الأنفال ٨/٥٣] ، قال ثعلب : معناه حتى يبدلوا ما أمرهم الله } (ج٥ ، ص ٤٠) .

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠) التغيير والتغير على نوعين : مادي ؛ ومنه الغِيَرة أي الميرة ، وكذلك دية القتيل ، ومعنوي ؛ ويجيء في تغير الأحوال ، وتغاير الأشياء ، وغِيَر الدهر ، أي أحواله المتبدلة (ج ٢ ، ص ص ٣٠٠–٣٠١) .

إن الاقتباسات المتقدمة عن معنى التغيير والتغير في معاجم لغة العرب تؤكد ما قرره الدجاني (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) من اتساع مدلول كلمة « التغيير » حيث تزيد في المعنى عن كلمة « التغير » وفي ذلك يقول : ~ التغيير في اللسان العربي هو التحويل والتبديل ، فغير الشيء يعني حوله وبدله ، كأن جعله غير ما كان . والتغير هو التحول والتبدل والكلمة توحي بأن ذلك يتم تلقائيا دون مؤثر خارجي : بينما يتحقق التغيير بفعل هذا المؤثر وبوجود إرادة فعل وقدرة على الفعل } (ص ٢٠) .

وقد وافقه في ذلك جمعة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) بقوله : ~ إن الفرق بين التغير والتغيير هو الاختيار ، فيمكن أن نطلق على التغير اللاإرادي أو القهري كلمة (التغير) ...أما ما كان عن اختيار فهو (تغيير) } (ص ١٠٧) .

وبناء على ذلك يقول الدجاني (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) :

> ~ دائرة مدلول التغيير واسعة ، تشمل كل أشكال التحويل والتبديل ، فمن التغيير ما يحدث بفعل تجديد ما يبلى ؛ فهذا « تجديد » . ومنه ما هو « تطوير » لموجود . ومنه ما هو

> « مرحلي » يتم تدريجيا . ومنه ما هو مفاجئ اصطلح على تسميته في عصرنا « ثورة » والتغيير فيها يعني إحداث « انقلاب » شامل في الأوضاع ، وهو يتصف غالبا بالعنف والشدة فضلا عن المفاجأة ، ومن التغيير ما يقتصر على « التنقيح » { (ص ٢٠) .

إن التبديل والتحويل والذي يهدف الإنسان إلى تحقيقه بما له من إرادة وقدرة إنما يتم بناء على ما لديه من اتجاهات يتبناها تعزز إرادته في التغيير وتطلق قدرته على الفعل ، ولذلك عرّف جمعة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) مناهج التغيير بقوله : ~ ...فمناهج التغيير عبارة يفهم منها تلك الإجراءات المنبثقة عن فلسفة معينة لتبديل معين للوصول إلى هدف معين { (ص ١٠٣)

.

وقد ذكر الجابري (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) عند بيانه للمقصود من عملية التغيير أمثلة لتلك الأهداف وسماها موضوع التغيير حيث يقول :

> ~ إن المقصود بالتغيير هو الانتقال من حال إلى حال أفضل كما يراها طالب التغيير . وموضوع التغيير قد يكون حال الأمة : الأمة المستعبدة التي تطلب حريتها ، أو المتأخرة التي تطلب التقدم ، أو التي زاغت عن دينها وتريد العودة إليه ، أو المتقدمة وتريد زيادة في هذا التقدم أو التي تخاف على هذا التقدم { (ص ٢٦) .

وقد وافقهما على ذلك برغوث (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) عند تعريفه للتغيير الحضاري بقوله :

~ ...نستطيع أن نؤكد على ضرورة فهم التغيير من خلال التحديدين الآتين :

- أنه تعبير عن قدرة الحركة التغييرية على نقل وعيها الكامل بمقتضيات رسالة حضارية إلى حالة مشروع اجتماعي عملي يستجيب لحاجات المجتمع الوليد ويستهدف تغيير البناء الاجتماعي القائم بكل أوضاعه ومؤسساته وتشكيلاته الأيديولوجية والفكرية والمنهجية والنفسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية لتنسجم مع ضرورات الرؤية الكونية الجديدة التي استجابت لها الحركة التغييرية .
- كما أنه الجهد المنهجي الموجه الذي يهدف إلى تحقيق مشروع اجتماعي معين متفاعلا بذلك مع الواقع النفسي والاجتماعي المتأزم استجابة لمذهبية كونية معينة .

فمن خلال هذين التحديدين نستطيع أن نعرف التغيير الحضاري من الوجهة التربوية الحركية أنه : « محاولة ربط للإنسان والمجتمع بمشروع اجتماعي وتثقيفهما عليه والسعي لبنائه واقعيا استجابة لمذهبية كونية من أجل تحقيق مقاصد معينة » { (ص ٨٩) .

مفهوم التغيير الحضاري ، والتغيير التربوي الإسلامي

تعد الدراسات المستقبلية بمختلف مجالاتها وميادينها الخطوات الأولية لإحداث التغيير المنشود سواءٌ أكان تربوياً أو اجتماعياً أو اقتصادياً أو غير ذلك . وإذا كان التغيير شاملاً لمختلف أنشطة الحياة ونظمها فإنه يكون تغييراً حضارياً .

ولما كان لكل حضارة خصوصية تتميز بها عن غيرها من الحضارات فإن ذلك أوجد تبايناً بين مختلف الحضارات التي أنشأها الإنسان عبر مسيرته الطويلة . أما الأمة الإسلامية فإنها تتميز بمصادرها التي تنطلق منها -بما تتضمنه من قوانين إلهية- وتشكل ثقافتها الإسلامية بكل أبعادها وميادينها ، مما جعلها تختلف عن كافة الحضارات السابقة أو المعاصرة لها على مدى تأريخها الطويل ؛ حيث انعكست تلك الثقافة على كافة أنشطة الإنسان المسلم الحياتية ونظمه التي بناها .

وإذا ما دب الخلل في بعض هذه النظم بسبب قصور الجهد البشري أو انحرافه فإن ذلك ينعكس بالضرورة على كافة النظم الأخرى مما يجعل التداعي إلى التغيير شاملاً لكافة نظم الإنسان المسلم لتعود إلى اتساقها الجماعي وتعاضدها مع بعضها البعض ؛ ومعها – في مجموعها – مع النظام الإلهي العام .

وهذا التغيير الشامل يطلق عليه « التغيير الحضاري الإسلامي » وقد عرّفه برغوث (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) بأنه : ~ حركة ربط موجهة ومستمرة للناس بمشروع اجتماعي ومساعدتهم على وعيه العميق والانخراط الفعلي في بنائه استجابة للمذهبية التوحيدية [الإسلامية] لأجل السمو في العبادة والإعمار والإنقاذ والتعارف { (ص ٨٩) .

ويبرز هذا التغيير على شكل مشروع جماعي ذا مقاصد سامية وضحها برغوث (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) بقوله :

~ إن التغـيير الحـضاري في ...[الثقافـة الإسـلامية] مشروط بالفقه المستوعب لموجبات التفاعل المنهجي الإيجابي مع سنن الله التكوينية والتاريخية استجابة للإيمان التوحيدي من أجل السمو في العبادة والإعمار والإنقاذ والتعارف . فهو على هذا ذو اهتمامات دينية أخلاقية ونفسية واجتماعية وإنسانية .

فاهتماماته الدينية تصب في سياق توفير الضرورات الأساسية « للظهور الحضاري » للإسلام الذي سيبرهن عمليا « أنه الحق » وتحقيق شروط التعامل مع الرؤية التوحيدية [الإسلامية] واقعيا ، قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [التوبة ٩/٣٣] .

واهتماماته النفسية تتمحور حول التزكية النفسية والترقية العقلية والتربية السلوكية للإنسان ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾ ﴾ [آل عمران ٣/١٦٤] .

واهتماماته الاجتماعية تتركز حول التنمية الاجتماعية والتعمير الأرضي والتسخير الكوني .

واهتماماته الإنسانية تتمثل في التوحيد المصيري والشهود الجماعي والتكريم الحضاري للإنسانية حتى لا يحدث اختلال في السير الاجتماعي للناس .

فالتغيير الحضاري الإسلامي يهدف إلى خدمة الإنسان والمجتمع والإنسانية . وذلك بطرح بديله المنهجي الذي يوازن في

مجال الأداء البشري بين سنن الله في الذِكر والأنفس والكون { (ص ٨٨) .

إن اهتمامات التغيير الحضاري الإسلامي آنفة الذكر تصطف جميعها في درجة واحدة من الأهمية ؛ لأن التقليل من شأن أحدها يفقد التغيير الحضاري الإسلامي سماته العامة المتوازنة ، خصوصا أن جميع هذه الاهتمامات تنصب في خدمة الإنسان سواءً أكان منفرداً أم في جماعة أو أمة ، ومن ثم فإن النظام التربوي الهادف إلى إحداث التغيير في إنسان الحضارة الفاعل هو النظام الأهم بين بقية النظم الأخرى لحضارة الإنسان المسلم والمعني بإجراء عملية التغيير التربوي عليه ؛ لأن الإنسان المستهدف بالتربية هو المشيد للحضارة والمحرك لدورتها ، وإن كل تغيير تربوي يستهدفه تنصب حصيلته مؤخراً في جهود التغيير الحضاري الإسلامي الشامل . وقد أكد ذلك حسنة (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) بقوله :

{ خلق الله الإنسان ، محلا لهدايات الوحي ، وميزه بالعقل ، الذي جعله أهلا للتكليف ، ومنحه إمكانية الاختيار ، وناط التغيير بإرادته ، وجعله محور التغيير ، ووسيلته ، وهدفه ، ومعياره ، في الوقت نفسه . . وإنما يقاس نجاح مناهج التغيير ، والعطاء الحضاري الذي تثمره ، بمدى قدرتها على تحقيق إنسانية الإنسان ، وتنمية مواهبه ، وإطلاق ملكاته ، ورعاية قابلياته ، وتحقيق وعيه بذاته ، وانسجامه مع الكون والحياة ، والارتقاء بتطلعاته ، وسمو أهدافه ، ليحسن القيام بدوره في التغيير نحو الأفضل ، للوصول إلى البناء الحضاري المأمول ، الذي يُكرِمْ الإنسان ، ويُكَرّمْ به ...

لذلك ، فأية محاولة للتغيير ، وإعادة البناء ، لابد أن تتجه أولا إلى الإنسان ، إلى ما في النفس ، إلى عالم الأفكار ، فتعيد بناءها { (ص ص ٣٢٠–٣٢٢) .

وتأسيساً على ما سبق فمن الممكن تعريف « التغيير التربوي الإسلامي » بأنه : « محاولة حث الإنسان المسلم على أن يجري تحولاً إرادياً على نفسه ليبدل حاله من مواقع القصور إلى التمام أو ليرقى في مستويات الكمال ؛ وذلك يشمل جميع أبعاد حقيقته الإنسانية . ويحثه على ذلك ما وقر في قلبه من يقين وبصيرة يحصلها من خلال المعرفة الإسلامية المبثوثة حوله ، ويتمثل صدق تحوله فيما يتبناه من اتجاهات وما يصدر عنه من سلوك ، وكل ذلك لأجل تفعيل دوره في الحياة والقيام بأمانته خير قيام » .

إن عملية التغيير التربوي المستهدفة للإنسان والمسترشدة بهدي مصادر الثقافة الإسلامية تمتلك كافة مقومات النجاح ، وذلك للوضوح الذي تجليه تلك المصادر عن حقيقة الإنسان وماهيته ، ومن ثم فإنها – أي عملية التغيير التربوي – تمتلك مقدماً النتائج والتحولات الواعدة التي ترنو إليها في واقع الإنسان إن أتقنت السير على هداها .

التغيير كعلم تطبيقي

لقد انتقلت عملية التغيير في الحضارة الغربية المعاصرة من حيز الدعوة إليها كضرورة حتمية للمستقبل ، إلى حيز السعي إلى تحقيقها والقيام بها وفق منهجية وآلية علمية واضحة ، وبمعنى آخر ؛ انتقلت من النظرية إلى التطبيق ، أي من مرحلة دراسة المستقبل واستشرافه إلى مرحلة صناعته وتحقيقه كواقع ملموس .

بينما هي – أي عملية التغيير – في واقع الأمة الإسلامية المعاصرة ما زالت محصورة في حيز الضرورة الحتمية وعند من استشعر واقع الأمة المؤلم حيث تخلفت عن موقع قيادة الناس والشهادة عليهم ، ولم تنتقل عملية التغيير إلى مراحلها المتقدمة إلا عند حركات الإصلاح والتربية الشعبية بتعدداتها المختلفة حيث بذلت على تباين في المنهج فيما بينها جهوداً موفقة كانت سبباً للصحوة الإسلامية المعاصرة ، ومع ذلك لم تخط الأمة الإسلامية خطوات جماعية تشمل كافة مستوياتها في عملية التغيير الحضاري الإسلامي .

وأياً ما كان الواقع فإن الخطوة الأولى للقيام بعملية التغيير الإسلامي – بعد دراسة الواقع واستشراف المستقبل – سواءٌ أكان المنفذ لها الحركات الإصلاحية التربوية الشعبية أم كان التنفيذ لها على مستوى حضاري جماعي ؛ فإن الخطوة الأولى – بعد العودة إلى الخصوصية الحضارية الإسلامية والتمسك بها – الإفادة من جهود الغرب أو سواه في تقرير مناهج التغيير وآلياته وتقنياته ثم تسخيرها في تحقيق التغيير المنشود المستظل بالثقافة الإسلامية .

وممن دعا إلى هذه الخطوة بوزبر (١٤١٥هـ–١٩٩٥م) حيث قدم تصوراً إجمالياً عن مناهج التغيير المعاصرة وآلياته ، بالإضافة إلى محاولته إبراز ملامح المنهج التغييري في الفكر الإسلامي ، وسأثبت ما أورده عن عملية التغيير ملخصاً لأهميته :

فعن التغيير يقول :

> ~ « التغيير Change » . . في عالم الغرب اليوم هو موجة سائدة تنتقل مع معتقديها من علم لآخر . . من الاقتصاد إلى

السياسة . . ومن الاجتماع إلى التربية . . حتى غدا موضوع التغيير اليوم موضوعا هاما من مواضيع علم الإدارة والتخطيط الإستراتيجي { (ص ١٤٧)

ثم عدد محاور عملية التغيير على النحو التالي (ص ١٤٧) :-

الأول : ضرورة تفهم نوعية المتغير Target Audience

الثاني: ضرورة تفهم نوعية المغير Catalyst

الثالث: ضرورة تفهم ظروف البيئة المحيطة بالاثنين معا .

أما المتغير فيذكر أنه على أربعة أنماط هي (ص ص ١٤٨-١٥١) :-

١- المتغير العقلاني ؛ يؤمن بالتصور المجرد .

٢-المتغير المتأمل ؛ يؤمن بالمشاهدة التأملية .

٣- المتغير المادي ؛ يؤمن بالخبرة الملموسة .

٤- المتغير الديناميكي المنفذ ؛ يؤمن بالتجريب النشط .

ثم يوضح آليات التغيير المعاصرة على النحو التالي (ص ص ١٥١-١٥٥) :-

الآلية الأولى :

الإشارة إلى المستقبل لا التغني بالماضي ، وذلك يتطلب أمرين هامين هما :-

أ - إيجاد نوع من النفس التفاؤلي الواضح دون إغراق في التوقعات .

ب – ضرورة اعتماد هذا النفس التفاؤلي على منهجية علمية تحكمه وترشد توقعاته .

الآلية الثانية :

التعامل مع مستويات التغيير جميعاً بشكل متزامن ومرن وهي :–

أ – المستوى المتعلق بإضافة معارف **Knowledge** جديدة لدى من يتعرض للتغيير .

ب – المستوى المتعلق بتكوين اتجاهات **Attitudes** جديدة عند من يتعرض للتغيير .

ج –المستوى المتعلق بإحداث سلوكيات **Individual Behavior** جديدة على المستوى الفردي .

د –المستوى المتعلق بإحداث سلوكيات **Group Behavior** جديدة على المستوى الجماعي .

الآلية الثالثة :

استخدام القوة ... **Power** كقوة المعلومات ، وقوة المال ، وقوة العدد ، وقوة العلاقات، والقوة المادية ، وغيرها . . ولكن القوة الحقيقية هي القدرة على توظيف هذه العناصر (القوى) من أجل الحصول على التغيير المنشود .

ذلكم هو التصور الإجمالي الإجرائي الذي قدمه بوزبر لعملية التغيير في الحضارة الغربية المعاصرة حتى غدت علما تطبيقيا . وزيادة في التوضيح نقف مع بعض المصطلحات الواردة في مستويات التغيير لكونها بيت القصيد في عملية التغيير .

أما المعارف – جمع معرفة – Knowledge فقد عرفها بدوي (١٩٨٠م) بقوله : ~ مجموعة الوقائع والحقائق والمفاهيم والمعلومات التي تتكون لدى الإنسان نتيجة لمحاولات متكررة لفهم الأشياء والظواهر المحيطة به { (ص ١٦٤) .

والأشياء بالنسبة للإنسان تنقسم إلى نوعين كما يقول الزنيدي (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م ، ص ٦٧) هما :-

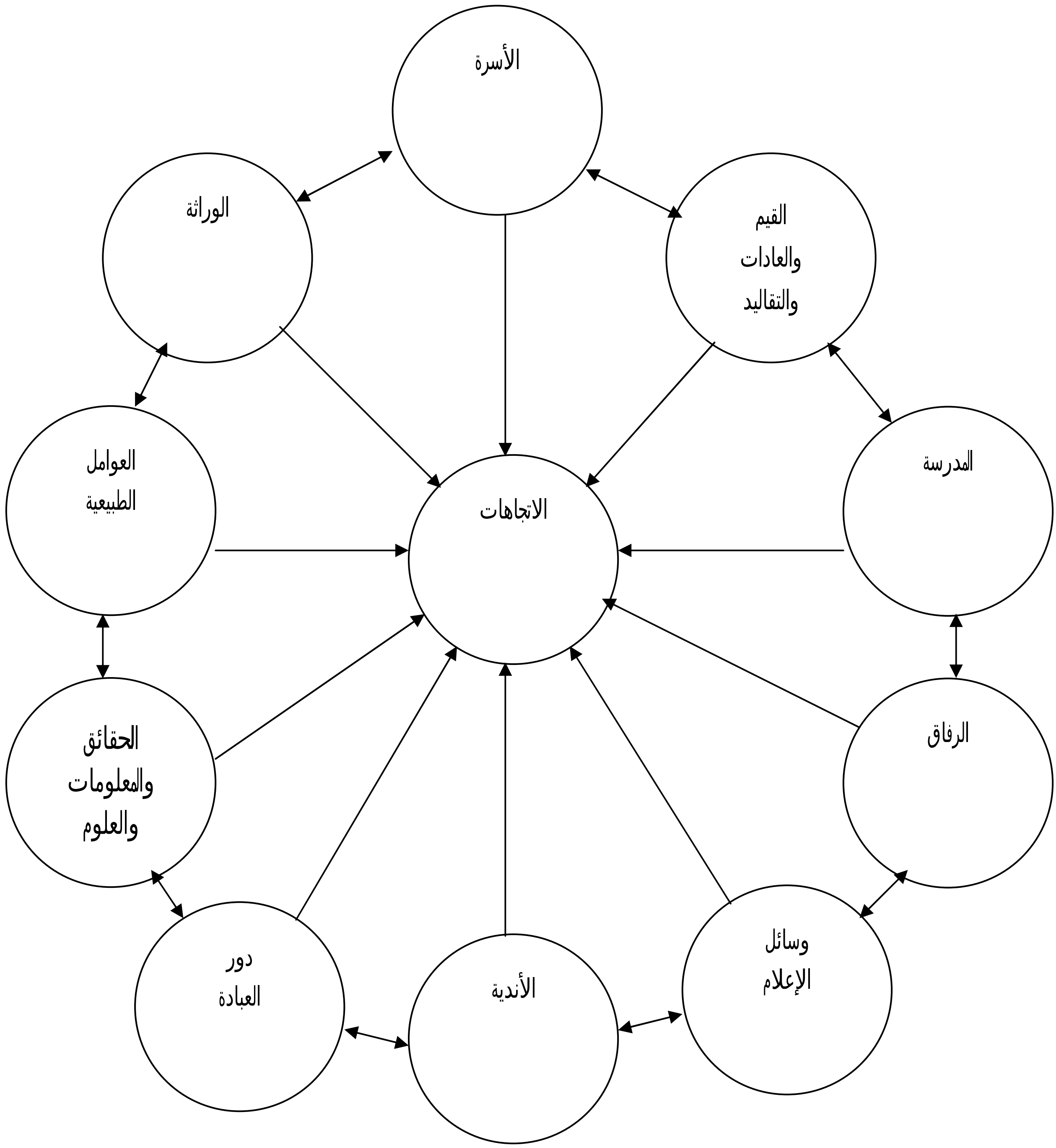
١- موجودات عالم الطبيعة ، التي يسميها القرآن : « عالم الشهادة » .

٢- وموجودات عالم ما وراء الطبيعة والقرآن يسميها : « عالم الغيب » .

أما الاتجاهات Attitudes فإن عطية وزملاؤه (١٩٩١م) يذكرون أن إعطاء تعريف دقيق للاتجاهات أمر صعب ، إلا أن التعريف الذي ذاع أكثر من غيره والذي لا يزال يحوز القبول لدى غالبية المختصين هو تعريف ألبورت G.W.Allport وهو : « الاتجاه حالة من الاستعداد أو التأهب العصبي والنفسي ، تنتظم من خلال خبرة الشخص ، وتكون ذات تأثير توجيهي أو دينامي على استجابة الفرد لجميع الموضوعات والمواقف التي تستثيرها هذه الاستجابة » ، وهناك تعريف آخر للاتجاهات ذكره الدكتور أحمد عزت راجح هو : « الاتجاه استعداد

وجداني مكتسب ، ثابت نسبيا ، يحدد شعور الفرد وسلوكه نحو موضوعات معينة ، ويتضمن حكما عليها بالقبول أو الرفض » (ص ص ٢١٩-٢٢١) .

وللاتجاهات عوامل تؤدي إلى تكوينها يمكن إجمالها في الشكل التالي (في عطية وزملاؤه ، ١٩٩١م ، ص ٢٢٦) :



شكل (٣) : عوامل تكوين الاتجاهات

(في عطية وزملاؤه، ١٩٩١م، ص ٢٢٦)

كذلك يذكر عطية وزملاؤه (١٩٩١م) أن لتكوين الاتجاهات عدة طرق وهي (ص ص ٢٢٧–٢٢٨) :–

١– الممارسة الفعلية والخبرة الشخصية والمجهود الذاتي – التعلم بالفعل أو عن طريق النشاط الذاتي – .

٢– الترغيب .

٣– القدوة الحسنة والمثال الفعلي .

٤– الإيحاء ؛ وهو التأثير دون إقناع منطقي .

٥– تعميم الخبرات .

٦– الاحتكاك أو التكرار مرات عديدة .

٧– التفكير والتحليل والدراسة .

أما السلوك **Behavior** فإن أحمد ، ميرغني (١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م) يعرفه على أنه :
~ كل ما يصدر عن الكائن الحي من أعمال وحركات ظاهرة وباطنة وفسيولوجية وعاطفية ، وأيضا نشاطات عقلية { (ص ٥٧) .

أما السلوك الجماعي **Group Behavior** فقد جاء في الموسوعة العربية العالمية (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م) عنه ما يلي :

~ السلوك الجماعي : مصطلح في علم الاجتماع يشير إلى
كيفية سلوك الأفراد عندما يكونون في حشود جماهيرية كبيرة ،

ومجموعات كبيرة أخرى غير منظمة نسبيا ، ومن أمثلة هذا السلوك : الولع الذي يستحوذ على الجماهير فترة مؤقتة من الزمن ثم يمضي ، وكذلك الرعب ، أو الهلع ، والشغب . وينشأ هذا السلوك الجماعي عادة في المواقف التي تثير عواطف الناس كالمنافسات الرياضية ومظاهرات الاحتجاج والكوارث .

يتصف معظم السلوك الجماعي بالتهور ولا يكون مخططا له ، كما أنه لا يستغرق وقتا طويلا . بناء على ذلك ؛ فإنه يختلف عن أنماط السلوك التي يمكن التنبؤ بها والتي تدوم فترة طويلة ... لكننا نجد أن بعض أنواع السلوك الجماعي توافق نمط الهياكل الاجتماعية المنظمة أو الحركات الاجتماعية ، قد تستخدم التظاهرات الجماهيرية وسيلة لإحداث تغيير اجتماعي تكون قد خططت له .

لم يكن العلماء قبل حلول القرن العشرين يعرفون إلا القدر اليسير عن القوى التي تؤثر في السلوك الجماعي ، وخلال تسعينيات القرن التاسع العشر ، أجرى جوستاف لوبون – الطبيب وعالم الاجتماع الفرنسي – واحدة من أولى الدراسات النفسية على الحشود .

وقد أدخل كل من عالمي الاجتماع الأمريكيين روبرت بارك وإرنست بيرجيس مصطلح « السلوك الجماعي» لأول مرة في كتابهما « مقدمة لعلم الاجتماع» (١٩٢١م) .

ونظرا لأن السلوك الجماعي يحدث في أشكال كثيرة متباينة لم يستطع علماء الاجتماع الوقوف إلا على نتائج قليلة عن منشئه وتطوره وما يترتب عليه من تبعات { (ج ١٣ ، ص ص ٧٧–٧٨) .

وبعد هذا الاستعراض السريع لعملية التغيير في الحضارة الغربية المعاصرة نتساءل ؛ هل تأيد الثقافة الإسلامية الخاصة ما صاغه الفكر الغربي ذو النزعة المادية عن عملية التغيير ؟ .

للإجابة على هذا السؤال يلزم عقد مقارنة موسعة عن منطلقات كل من الفكرين – الإسلامي والغربي – ثم تحقيق مناط دلالات المصطلحات والمفاهيم الواردة في ثنايا مناهج وآليات عملية التغيير ، وهذا بالتأكيد جهد يطول إعداده وليس هو غرضاً في هذه الدراسة التربوية ؛ ويكفي الإشارة إلى أن نظرة الإسلام إلى المعرفة – والتي هي جزء في عملية التغيير – تختلف عن غيرها من النظرات في مصادرها وأدوات اكتسابها وغاياتها وغير ذلك من مباحثها التي تندرج تحت مصطلح « نظرية المعرفة » [1] ، وذلك ما دفع كثيرً من المعنيين بقضايا المعرفة والفكر إلى دعوتهم بضرورة « أسلمة المعرفة » وعدم التسليم مطلقا للمعرفة المتشكلة تحت مظلة النظرات الأخرى والمختلفة عن نظرة الإسلام .

إن هذه الإشارة المتعلقة بالمعرفة ومباحثها كافية للإجابة على السؤال القائم ؛ وهي أن الخطوط العريضة لعملية التغيير في الحضارة الغربية المعاصرة غير مرفوضة من قبل الفكر

[1] من الدراسات القيمة التي عنيت بموضوع « نظرية المعرفة » ويحسن الرجوع إليها للاستزادة ما يلي : الكردي ، راجح عبد الحميد – (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) ، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة** ، ط ١ ، الرياض : مكتبة المؤيد ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي . وكذلك ؛ الزنيدي ، عبد الرحمن زيد – (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) ، **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام** ، ط ١ ، الرياض : مكتبة المؤيد ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

الإسلامي ويمكن اعتمادها وإمضاؤها ولكن بمعارف ومفاهيم ومصطلحات مؤسلمة أو مؤصلة ، وهو الذي حاول القيام به الجابري (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) حيث صاغ إجرائية عملية التغيير بتفصيل أكثر ومن منظور إسلامي حيث قرر أن العناصر الضرورية لأي مشروع حضاري يهدف إلى عملية الإحياء أو البناء أو التغيير هي : توفر قادة التغيير الغيورين ذوي الشعور العالي بالمسؤولية ، وكذلك توفر عناصر التغيير كالقيم الصحيحة والأفكار الفعالة ، وتوفر عناصر الاتفاق على الأهداف الجامعة (ص ٤٣) .

ثم يلخص الجابري (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) إجرائية عملية التغيير بقوله :

~ إن البداية – أي بداية عملية التغيير – هي في إحساس القيادة بالحاجة إلى التغيير ، فإن ظهر عنصر محرض [كالانحسار الحضاري للأمة الإسلامية أو تداعي الأمم الأخرى عليها] – فإنه يكون مساعدا على الانطلاق في عملية الإحياء [التغيير] . فتبدأ [القيادة المغيرة] بالتعرف على الوضع الحقيقي بالجواب على السؤال الهام : أين نحن الآن ؟ ، ثم تنطلق في عملية دراسة المستقبل بالجواب على السؤال الآخر : أين يجب أن نكون ؟ ، فإذا عرفت إلى أين تريد أن تقود مجموعتها درست عناصر التغيير الخاصة بمشروعها [مبتدئة أولا بتحديد] الأفكار والقيم الأساسية التي تؤمن بها وبأنها ضرورية لإنجاح مشروعها وذلك بالعودة إلى الأصول وتصحيح الانحرافات [الأسلمة والتأصيل] ، وبإطلاق الأفكار المحورية الخاصة بمشروعها لبناء أرضيته الفكرية ثم تحدد الأفكار التجديدية التطويرية التي تحتاج إليها للإجابة على المسائل المستجدة .

ثم هي تحتاج ثانيا إلى أن تعرف السنن الخاصة بمشروعها وتؤمن بها وتستفيد منها لتضعها إلى جانبها ولكي يكون لعملها أمل في النجاح ضمن الشروط الشرعية .

[ولذلك فإن على القيادة التغييرية ثالثا أن تمتلك جملة من المميزات هي :]

- مقدرة على الفهم العميق لسنن التغيير وأساليبه .
- والمقدرة على صياغة الرؤى [المستقبلية] .
- والاستقامة الضرورية لبناء الثقة والحصول على تأييد التابعين وتعبئة الإلتزام .
- ثم أخيرا أهلية بناء الوضع الجديد من إدخال التغيير إلى نظم المنظومة [ومنها النظام التربوي] والالتزام الشخصي بالسلوك المطلوب .

والعنصر الرابع الذي تحتاج القيادة إلى التأكد من تأمينه هو الموارد ، الموارد البشرية بأعدادها ونوعيتها والخبرات اللازمة (الشرط العدد) ، والتقنية المكافئة على الأقل لما يملك المنافس إذا لم تتقدم عليه ، والوقت الكافي للعملية التغييرية ، وأخيرا المكان الصالح [البيئة] والجاهز لتلك العملية .

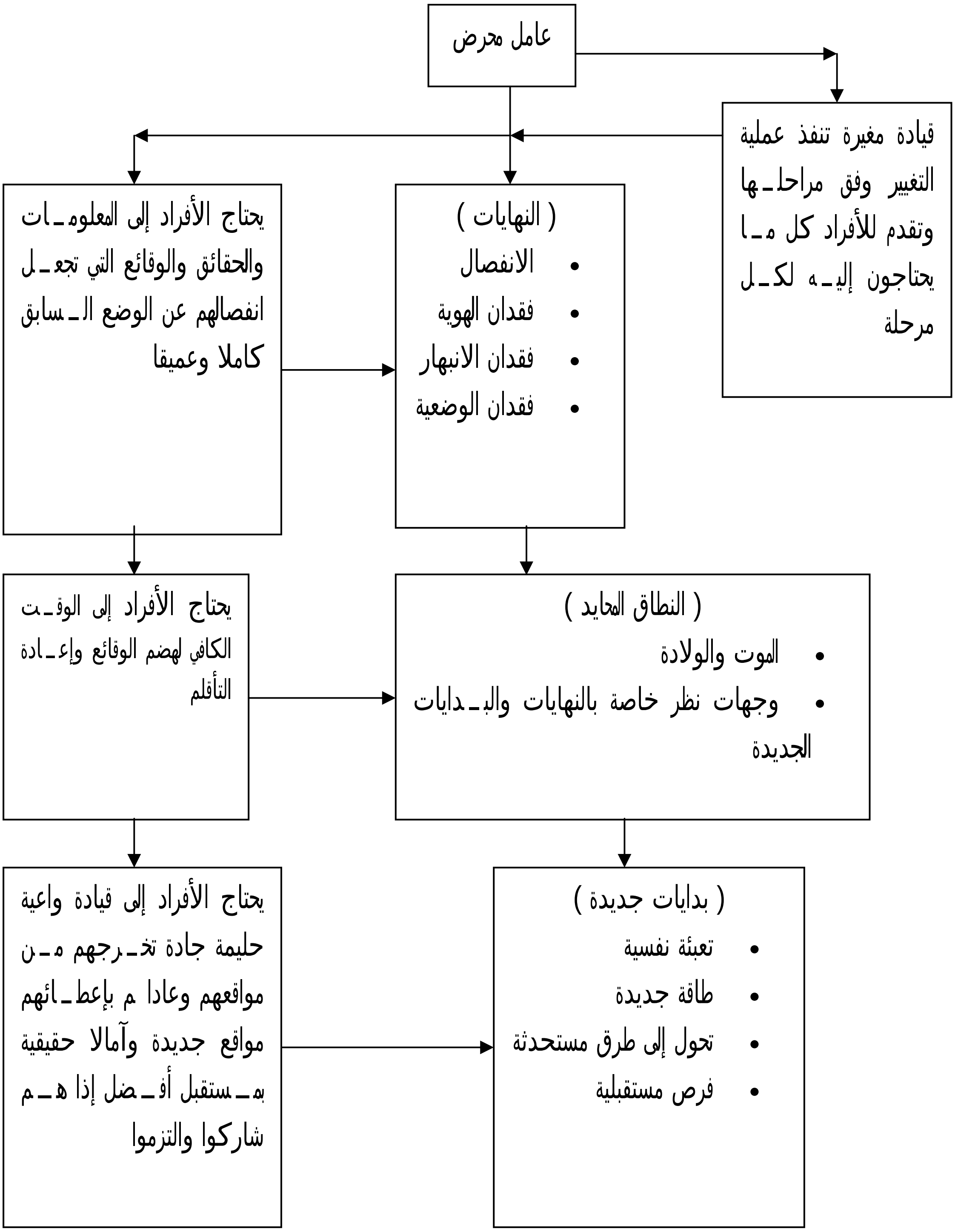
فإذا أمنت القيادة هذه العناصر دخلت معركة التغيير وهي مطلعة على ما تولده كل عملية تغييرية من « مشاعر متضاربة » لدى الأفراد ، ومن « قوى مقاومة » لدى المجموعات والمنظومة ككل : من قوى سياسية وقوى مقاومة تقنية وأخيرا قوى مقاومة ثقافية .

فتعامل القيادة مع الأفراد يجعلهم يمرون بمرحلة « النهايات » عن طريق إقناعهم بضرورة التغيير وأسبابه وتعرية الوضع الحالي ، أي بوضع اليد على الجرح وجعلهم ينفصلون عن هذا الواقع نفسيا بفقدان انبهارهم بالوضع القائم ، وتغير من مواقعهم وأعمالهم التي تعودوا عليها فيفقدون وضعيتهم وبذلك تتوقف ممارساتهم السابقة الخاطئة ، ويفقدون هويتهم المرتبطة بالمنصب أو المكانة السابقة ، ثم يمضي بهم ومعهم إلى « النطاق المحايد » حيث تجيب على تساؤلاتهم وتقنعهم بأن المستقبل المقترح أفضل من النتائج التي يمكن أن يوصل إليها الحاضر لو بقينا على ما نحن عليه . إنها تقوم بعملية دفن الماضي وإحياء المستقبل . ثم تبين لهم عن طريق التحرك الجديد ما يمكن أن يكسبوه شخصيا من هذا التغيير وتحول أحاسيس الإحباط واليأس إلى مشاعر إيجابية بناءة فتعبئهم نفسيا وتولد لديهم طاقة جديدة يحدوها الأمل ، تحول ممارساتهم إلى ممارسات أكثر فعالية وتريهم الفرص المستقبلية .

أما على مستوى المنظومة أو المجموعة فإن فقه ديناميكية تغييرها عامل آخر من عوامل النجاح . فإن المنظومة تحتاج إلى أن تقتنع كمجموعة « برؤى المستقبل » التي تعرضها القيادة ، وأن تستعد « للالتزام بالمنهج » الذي يوصل إلى هذا المستقبل المأمول ، وعلى القيادة أن تقدم « النظم » – [كالنظام التربوي الاجتماعي] – الخاصة بالجماعة والتي تجسد التغيير المطلوب وتقود إليه ، كما عليها أن تلتزم « بالسلوك » الذي توجبه هذه الاتجاهات الجديدة ،

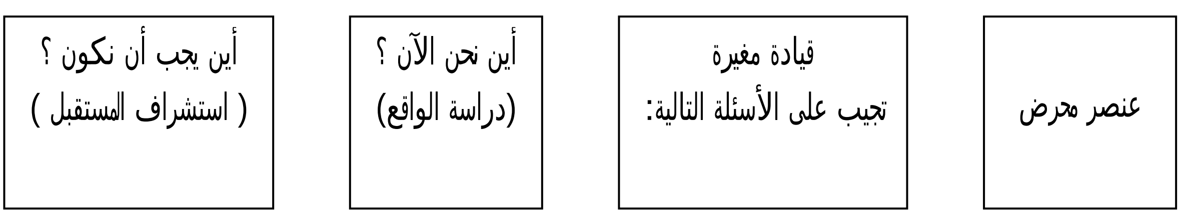
وأن تكون قراراتها مبنية على هذه الأسس الجديدة وأن تكون موصلة إلى تحقيق هذا الالتزام { (ص ص ٧٠ – ٧٢) .

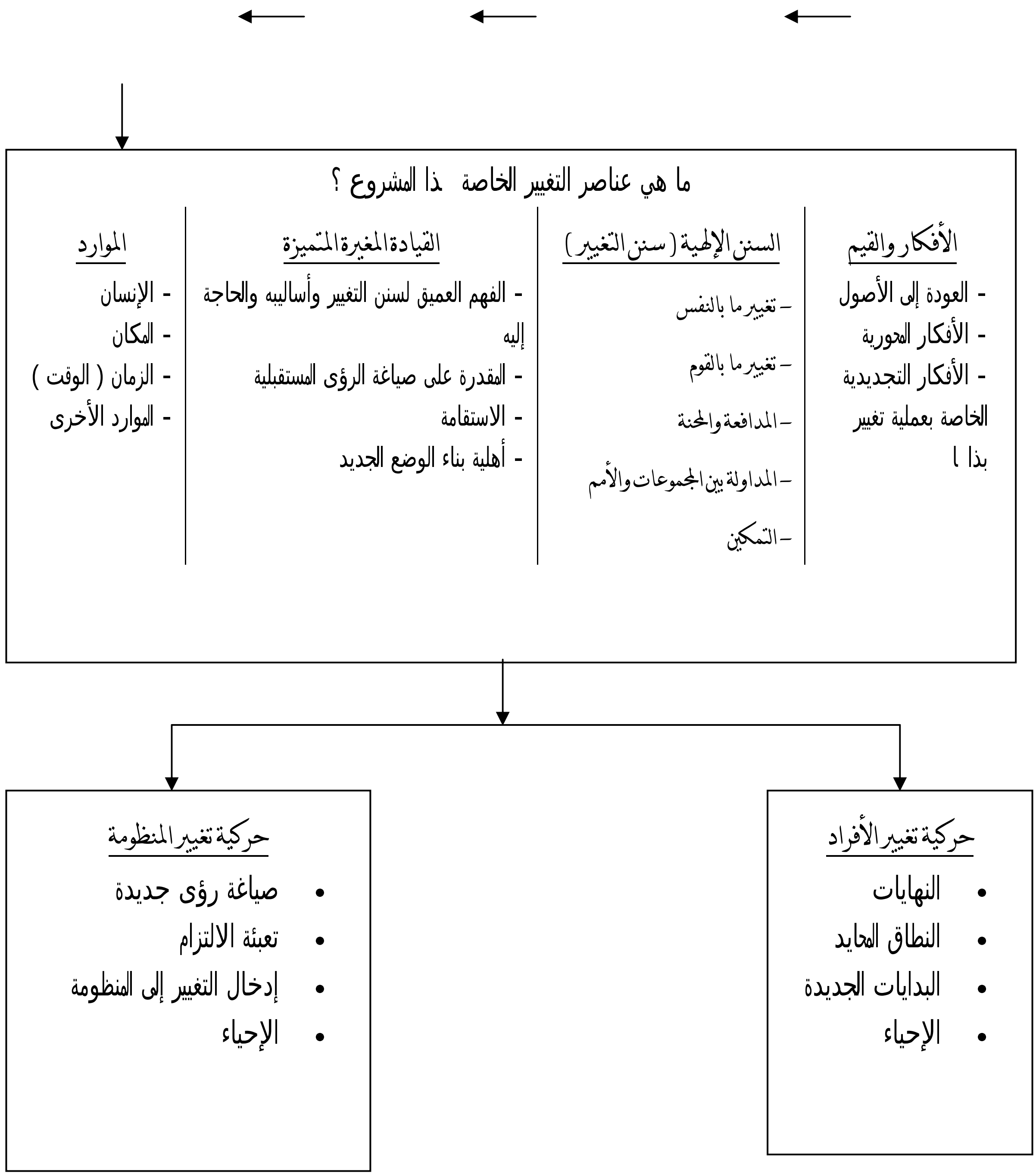
ولمزيد من التوضيح رسم الجابري الأشكال التوضيحية التالية لعملية التغيير ، أثبتها مع شيء من التصرف :



شكل (٤) : حركية (ديناميكية) تغيير الأفراد

(الجابري، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م، ص ٦١ بتصرف)





شكل (٥) : العملية التغييرية

(الجابري ، ١٤١٤هـ – ١٩٩٤م ، ص ٧٣ بتصرف)

تلكم هي إجرائية عملية التغيير من منظور إسلامي والتي لخصها الجابري ، وبالتأمل في كل من التصور الإجمالي لها والذي قدمه بوزبر آنفا وكذلك ما لخصه الجابري عنها نلاحظ التقارب الكبير بينهما حيث يؤدي الجانب المعرفي في عملية التغيير دوراً رئيساً يشكل الانطلاقة الأولى فيها سواءٌ أكان في تفهم « المتغير » و « المغير » وهو مجال الدراسات الإنسانية والنفسية ، أم عند دراسة الواقع واستشراف المستقبل حيث يدفع إليهما المحرض العارض الموجد للقناعة لدى القيادة التغييرية – وهذه القناعة كما يقول الجابري (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) : ~ لا تتأتى من أحاسيس وشعور فقط ، وإنما تحتاج إلى ما يعززها : تحتاج إلى الوقائع والمعلومات { (ص ٥٨) – ، أم عند تحديد عناصر التغيير : الأفكار والقيم ، السنن الإلهية ، مميزات القيادة المغيرة ، الموارد ؛ عند تحديدها والإفادة منها .

وتأسيسا على ذلك فإن المعرفة التي تنطلق منها العملية التغييرية الإسلامية يجب أن تكون معرفة مؤسلمة أو مؤصلة تهدف كما يقول العلواني (ب – ١٩٩٥م) إلى :

> ~ بناء لنظرية المعرفة التوحيدية [الإسلامية] التي تؤمن بأن للكون خالقا واحدا أحدا ليس كمثله شيء ، ولم يحل في شيء ، وهو خالق كل شيء ، وهو على كل شيء وكيل ، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير ، لا تحيط به العقول ولا تدركه الأفهام حق الإدراك ، استخلف الإنسان وعلمه ما لم يكن يعلم ، وجعل الوحي مصدرا إنشائيا أساسا لمعرفته ، والوجود مصدرا موازيا ؛ بقراءتهما في إطار التوحيد الخالص تتكون المعرفة السليمة الرشيدة الهادفة ، معرفة التوحيد والاستخلاف والأمانة والعمران والشهود الحضاري { (ص ٨) .

إن هذه المعرفة التوحيدية – الإسلامية – لا تقصر تطلع عملية التغيير على المستقبل القريب الممتد امتداد الحياة الدنيا ، وإنما تجعلها تتطلع إلى المستقبل الباقي الممتد بلا نهاية ولا فناء ؛ إلى الحياة الآخرة ، حيث يبعث التعلق الحقيقي بها التفاؤل والأمل بالاستمرار في العمل والبذل والعطاء في الحياة الدنيا لنيل الجزاء الوافي في الحياة الآخرة . وذلك ما يدفع كل من المغير والمتغير إلى الاعتصام بما تهدي إليه هذا المعرفة من أفكار وقيم [٢] وسنن الإلهية واستحضارها عند كل تحرك حضاري على مسرح الحياة الدنيا ، والذي منه العمل التربوي المستهدف للإنسان سواءً أكان منفردا أم في جماعة ؛ ولذا فإن عملية التغيير تستهدف الأفراد كما تستهدف الأمم والجماعات (المنظومات) ولكل منهما حركية إجرائية تختص به ، إلا أن استهداف الأمم والجماعات بالتغيير يتحقق بعد الخطوة الأولى المستهدفة للأفراد المكونين لتلك الأمم والجماعات ، مما يولي حركية تغيير الأفراد الاهتمام الأول .

[٢] من الدراسات التربوية الجادة والتي عنيت بموضوع القيم الإسلامية من منظور تربوي ؛ ما يلي : خياط ، محمد جميل بن علي – (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م) ، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى : مركز البحوث التربوية والنفسية . وكذلك ؛ مكروم ، عبد الودود محمود – (١٤١٤هـ – ١٩٩٤م) ، الأحكام القيمية الإسلامية لدى الشباب الجامعي – رؤية تربوية – ، ط ١ ، المدينة المنورة : مكتبة إحياء التراث الإسلامي . وأيضا ؛ السويدي ، وضحة – (١٤٠٩هـ – ١٩٨٩م) ، تنمية القيم الخاصة بمادة التربية الإسلامية لدى تلميذات المرحلة الإعدادية بدولة قطر – برنامج مقترح – ، ط ١ ، قطر – الدوحة : دار الثقافة .

وهذا ما يؤكده العلواني (ج- ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) عند تعليقه على قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ [الرعد ١١/١٣] حيث يقول:

~ لذلك فإن التغيير من النفس يبدأ وإليها يعود . ولقد بنى الإسلام كل مناهجه التغييرية وبرامجه على تغيير ما بالنفس فمن خلال الذات الإنسانية تنطلق عمليات التغيير، وعلى أساس منها يقوم بناؤه، وعلى محور النفس تدور عجلته، بل جعل التغيير الإلهي نتيجة وثمرة لتغيير ما بالنفس الإنسانية { (ص ٤٠) .

كما يؤكد ذلك القرضاوي (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) بقوله:

~ ومن الأولويات المهمة في مجال الإصلاح: العناية ببناء الفرد قبل بناء المجتمع، أو بتغيير الأنفس قبل تغيير الأنظمة والمؤسسات ... فهذا أساس كل إصلاح أو تغيير أو بناء اجتماعي: البداءة بالفرد، فهو أساس البناء كله، إذ لا أمل في إقامة بناء سليم متين، إذا كانت لبناته واهية أو فاسدة .

والإنسان الفرد هو اللبنة الأولى في جدار المجتمع، ولهذا كان كل جهد يبذل لتكوين الإنسان المسلم الحق وتربيته - تربية إسلامية كاملة - له الأولوية على ما سواه . لأنه مقدمة ضرورية لكل أنواع البناء والإصلاح، وهذا هو تغيير ما بالنفس { (ص ٢٠٩) .

ويؤكده أيضا الأسمر (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) بقوله:

~ يتبع الإسلام أسلوب التغيير المركزي، الذي يبدأ من المركز ثم ينتشر حتى يعم الكيان كله، وحيث أن الفرد هو مركز المجتمع ونواته الأولى، وأن المجتمع مجموعة كبيرة من الأفراد، إذا

> صلح كل منهم صلح المجتمع كله ، فإنه يبدأ بالفرد لتغيير الكيان الكلي للفرد ... وفي الفرد يتجه إلى النفس باعتبارها مركز التوجيه الحقيقي ، والقبول والاختيار والاقتناع والإرادة ، أو الرفض والعناد والمكابرة ، فإذا صلحت النفس في الفرد ، وأصبح مجموع النفوس مستعدا للتغيير تحقق التغيير المنشود { (ص ٣١٤) .

وهذا ما أكده خليل أيضا بقوله :

> ~ يتحرك الإسلام في توجيهاته الأساسية والتفصيلية ، لكي يبني الفرد ، ويرسي المجتمع ، ويعزز علاقاته ، ويمتّن أواصر ، ويعمق وحدته ، حركة هندسية مرسومة ومنطقية .
>
> إنه يبدأ من الذات باتجاه الموضوع ، ومن الفرد باتجاه الجماعة ، ومن الآني باتجاه المستديم ، ومن البيئة باتجاه العالم ، ومن المحدد باتجاه المطلق . كما أنه يتحرك بصيغة الاندياح الذي تنفذه الموجة ، وهي تندفع دائريا ، متسعة شيئًا فشيئًا ، باتجاه حالة أكثر شمولية وامتدادا .
>
> فها هنا بمقدور المرء أن يلحظ ، كيف أن التوجيهات الإسلامية في كتاب الله [ﷻ] وسنة رسوله ﷺ ، تطلب — في البدء — تعزيز الذات ، وتغييرها المتواصل إيمانيا ، ثم تمضي باتجاه الأسرة ، الأقرب إلى الإنسان الفرد ، في علاقاته الخارجية ، ومن هناك تنداح الدائرة باتجاه الجار ، والقربى ، والحي والمدينة ، فالمجتمع المسلم ، فالأمة الإسلامية على امتدادها ، فالشعوب والأمم المجاورة ، فالإنسانية جمعاء { (ص ٥٥) .

إن حتمية البدء بالنفس في عملية التغيير يستدعي في المقام الأول الاهتمام بحركية تغيير الأفراد حتى تتشكل من مجموعهم نفوسٌ صادقة ذات همم عالية وعزائم متحفزة فيكونون أمة

ضمن نسيج الأمة الإسلامية جمعاء تحمل أعباءها وتقودها إلى موقع الصدارة في قيادة بقية الأمم .

وهذا التدرج الظاهر في عملية التغيير من الإنسان كفرد إلى الإنسان الابن للأمة القطب [٣] متوافق تماما مع سنة إلهية مهمة وهي «سنة التدرج» المضيئةُ معالمها في أطوار خلق السموات والأرض والإنسان والحيوان والنبات ، حتى في مجال التشريع الإسلامي ، وفي عملية التربية والتعليم ؛ ولذلك يقول الغزالي – ت ١٤١٦هـ رحمه الله تعالى – (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) : ~ ... والتدرج سنة قرآنية ، لها أبعاد تربوية لابد من إدراكها حتى يمكن تبليغ دعوة وإقامة حضارة { (ص ١١٩) .

ولكن . . ماذا بالنفس الإنسانية ؟ ، وكيف يكون تغيير ما بها ؟ .

أما الشق الأول من السؤال فقد تقدمت الإجابة عليه عند بيان حقيقة الإنسان في الفصل الأول ، وقد أجمله بوزبر (١٤١٥هـ–١٩٩٥م) عند محاولته فهم آية التغيير حيث يقول :

---

[٣] إن مصطلح «الأمة القطب» هو عنوان كتاب للدكتورة منى عبد المنعم أبو الفضل يتناول خصائص الأمة الإسلامية التي تؤهلها لأن تكون «الأمة القطب» أو «أمة الأمم» ، وقد طبعه المعهد العالمي للفكر الإسلامي بالقاهرة عام (١٤١٧هـ – ١٩٩٦م) ، ولما لهذا المصطلح من أثر بالغ على نفس سامعه ومستخدمه حيث يشحذ الهمة ويزكي الاستعلاء الإيماني – وتلك أولى خطوات التغيير – آثرت استخدامه لنشره وتعميمه عسى الله ﷻ أن ينفع به ، ومقتديا في ذلك بالدكتور طه جابر العلواني .

~ إن المفهوم المبسط لهذه الآية يشرح لنا أمرين هامين :–

أولهما : أن التغيير الذي يحدثه الله تعالى هو : ﴿ مَا بِقَوۡمٍ ﴾ .

وثانيهما : أن التغيير المطلوب إحداثه هو أن يغير القوم ﴿مَا بِأَنفُسِهِمۡۗ ﴾ .

وبين هذه وتلك . . بين (مجال التغيير) و (تغيير المجال) تكون طبيعة التغيير .

فمجال التغيير إذن هو : (ما بالقوم) من تغييرات مشهودة من فقر أو غنى . . أو عزة أو ذله . . أو كثرة أو قلة . . أو قوة أو ضعف ...الخ .

وتغيير المجال مبدؤه (ما بأنفس القوم) من أفكار ومفاهيم . . أو مشاعر أو انفعالات . . أو عواطف وعلاقات ...الخ { (ص ١٤٤) .

كما يؤكد على ذلك القرضاوي (١٤١١هـ–١٩٩١م) معلقا على آية التغيير [الرعد ١٣/١١] حيث يقول :

~ وهذا هو المنطلق : تغيير ما بالأنفس من مفاهيم مغلوطة ، وأفكار ميته أو فاسدة ، وأخلاق مذمومة ، وصفات مرذولة ، إلى مفاهيم صحيحة ، وأفكار حية وصالحة ، وأخلاق محمودة ، وصفات طيبة .

يجب أن يتهيأ الناس لحياة غير الحياة التي ألفوها : حياة إنتاج وعمل ، لا بطالة وكسل . . . حياة جد لا هزل . . . حياة تقشف لا ترف . . . حياة عدل لا محاباة . . . حياة عرق لا دعة . . . حياة إصرار لا استرخاء { (ص ٥٤) .

فإذا ما تم هذا التغيير المنشود في الأنفس وما حوت ؛ فإن إرهاصات التغيير الحضاري للأمة الإسلامية ستضيء دلالاتها وَسَيَجِدُ سير الأمة القطب نحو القيادة والشهادة .

أما الشق الثاني من السؤال وهو ، كيف يكون تغيير ما بالنفس ؟ ، فقد أجاب عليه العلواني (ج – ١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) بقوله :

> ~ وتغيير ما بالنفس يبرز أول ما يبرز بعملية التزكية التي من شأنها أن تقوم بتحصين الإنسان من داخله ضد سائر استعدادات الشر والانحراف فيه ، وسائر المؤثرات الخارجية عليه ، وتحجيم نوازعه الداخلية ، وتوجيه طاقاته باتجاه البناء والعمران في إطار من الضوابط العقلية والتزكية السلوكية والأخلاقية ليصبح الإنسان إنسانا عمرانيا بناء نافعا لنفسه ، مفيدا لبني جنسه ، مدركا لانتمائه الإنساني ودوره العمراني غير مستلب من أحد ، متوازنا بحقيقته الإنسانية .
>
> ...، ولذلك كان إنسان التغيير هو الإنسان القابل للتزكية والترقية باستجابته للرسول [ﷺ] الذي يتلو عليه آيات الله [ﷻ] ، ويعلمه الكتاب والحكمة ويزكيه ... ، ليندفع الإنسان لتحقيق غاية وجوده موظفا سائر القدرات الهائلة التي زود بها ، مستفيدا من سائر المسخرات ، مكتشفا للسنن مدركا لعلاقاتها ليتحقق له بفعله واختياره وعون الله له ودفعه إياه التمكن في الأرض وتحقيق غاية الحق من الخلق . وضرب الباطل بالحق وإزهاقه ليسود الحق ، ويعم الهدى ، وينتشر الخير { (ص ص ٤٠–٤١) .

إن عملية التزكية للنفس الإنسانية والتي أشار إليها العلواني لا تتم خبط عشواء وإنما تفتقر لإنجاحها إلى جهد منظم يضطلع به نظام متمرس واضح المعالم والأهداف ويحمل

مسؤوليته قادة مخلصون متحمسون واعون حكماء ؛ ألا وهو النظام التربوي حيث يبدأ بنشر المعرفة الإسلامية تمهيدا لتكوين الاتجاهات ومنتهيا بإحداث وتعزيز السلوكيات للأفراد والجماعات والأمم ، ومستحضرا قبل البدء في تفعيل عملية التغيير التربوي ما يتبناه من أفكار وقيم ومفاهيم ، ومسترشدا بهداية الوحي المتضمنة لسنن الله في التغيير حيث يصوغ في ظلها أهدافه التربوية العامة ؛ والتي تعتبر منطلقه في عملية التغيير تمهيدا لتفعيل التغيير الحضاري بكافة أبعاده ، ويسانده في ذلك [أي النظام التربوي] كافة المؤسسات القائمة بمختلف انتماءاتها التنظيمية ، وهذا ما يؤكده القرضاوي (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) بقوله :

> ~ ولا يتم ذلك [أي تزكية الإنسان وبنائه] إلا في ضوء تصور كلي للوجود ، وفلسفة واضحة للحياة ، ومشروع متكامل للحضارة ، تؤمن به الأمة ، وتربي أبناءها وبناتها على اليقين به ، والعمل وفق حكمه ،والسير على نهجه ، تتعاون على ذلك كل المؤسسات : الجامع والجامعة ، والكتاب والصحيفة ، والتلفاز والإذاعة ، فلا تشرق مؤسسة في حين تغرب أخرى ، ويبني جهاز على حين يهدم آخر { (ص ص ٢١١-٢١٢) .

الفصل الرابع

تحديد الأهداف التربوية العامة

في ضوء سنن الله :

في التغيير ، والتمكين ، والتدافع الحضاري

الفصل الرابع

تحديد الأهداف التربوية العامة

في ضوء سنن الله في :

التغيير ، والتمكين ، والتدافع الحضاري

بين يدي الفصل

وبعد أن غدت إجرائية التغيير واضحة المعالم ، فقد حان أوان الشروع في تحديد الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية في ضوء سنن الله في : التغيير ، والتمكين ، والتدافع الحضاري ، مع الأخذ في الاعتبار الخطوات المرحلية لإجرائية عملية التغيير .

أما الإنسان المستهدف بالتغيير فقد عرفت ماهيته وحقيقته من منظور الثقافة الإسلامية وذلك في مطلع الدراسة ؛ في الفصل الأول منها .

أما القائمون على التغيير والمحركون لعمليته على مستوى الأفراد والمنظومات فهم القيادات التغييرية في مختلف مواقعهم ضمن نسيج الأمة ، سواءً أكان موقعاً سياسيا أو تربويا أو اقتصاديا أو تعليميا أو إعلاميا أو علميا ...إلى مختلف المواقع .

وعندما يكون التغيير مستهدفا للإنسان فإن العبء الأكبر عندئذ تحمله القيادات التربوية بالإضافة إلى من يساندها في مهمتها كالقيادات التعليمية والإعلامية ، مما يزيد من أهمية إعدادهم وتأهيلهم – لمكانتهم بين مدخلات عملية التغيير التربوي – من حيث التأهيل اللازم

والإعداد الكافي لعدد مناسب من التربويين والمعلمين والإعلاميين الذين يمكنهم توجيه دفة التغيير نحو أهدافها المحددة سلفا .

إن الإشارة السريعة إلى دور القيادات التربوية ومن يساندها إنما يراد منه التأكيد على أن لهم موقعا رئيسا ضمن مدخلات عملية التغيير مما يؤكد على أن القيام بإعدادهم وتأهيلهم هدفٌ إجرائيٌ مهمٌ لنظام الإسلام في التربية وذلك لأنه يتقدم استهداف الأفراد والجماعات والأمم بالتغيير ، ومن جهة أخرى ؛ لأنهم هم الساعون إلى تحقيق الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية .

أما الأمل المراد بعثه في نفس الإنسان المسلم المعاصر والذي يعتبر الوقود الذي يغذي عملية التغيير ويدفع بها إلى أهدافها ، فإن انبعاثه يتحقق من خلال تقوية ثقة الإنسان بنفسه ؛ فعندما يُعَرّف بأن الله – جل من منعم – أنعم عليه بالطاقات والقدرات والاستعدادات ما يمكنه من تسخير الكون من حوله ، فعندئذ ينبعث الأمل في نفسه ويوجد لديه الدافع إلى تحقيق رسالته في الحياة .

ومما يزيد من انبعاث الأمل في نفس الإنسان أيضا معرفته بسنن الله تعالى في خلقه المادي والإنساني ، حيث تضمن تلك السنن نتائجها إذا اتخذت مقدماتها لكونها قوانين ثابتة مطردة لا تتبدل ولا تتغير ولا تحابي أحدا ، فإذا نال الإنسان المسلم قسطاً وافراً من المعرفة الحاصلة من خلال فقه تلك السنن ؛ فإن هذه المعرفة تزيد من توقد الأمل في نفسه حيث يغدوا طريق التغيير

أمامه واضحاً جلياً مضمون العواقب ، مما يدفعه إلى الأخذ بمقدمات تلك النتائج ، وتتكون لديه اتجاهات إيجابية نحو مضامينها - أي السنن الإلهية - ؛ فيسهل عليه عندئذ - بعد توفيق الله له - القيام بكل سلوك تحمد عقباه أرشدت إليه تلك السنن .

ومن جهة أخرى فإن معرفة الإنسان المسلم أن له سنناً إلهية خاصة به لكونه معتصما بهدي ربه ، ولكونه من أمة رسوله محمد ﷺ ، وأن من تلك السنن الخاصة - والتي تقدمت الإشارة إليها - أن الأمة الإسلامية التي ينتمي إليها تمرض ولكنها لا تموت أو تهلك . فعندئذ يدرك أن الأزمة المعاصرة والتي تعيشها الأمة إنما هي أزمة مرض لا أزمة وجود ، تمتثل للشفاء باتخاذ أسبابه ، وهي باقية ما بقيت الحياة ، ومن يجد نصب عينيه حديث الرسول ﷺ مبشراً له والذي رواه أحمد - ت ٢٤١ رحمه الله تعالى - (د . ت) حيث يقول فيه ﷺ : « تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها ثم تكون ملكا عاضا فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون ملكا جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ثم تكون خلافة على منهاج النبوة » [ح ١٨٤٣٠] . فإذا عرف المسلم ذلك كله ازداد انبعاث الأمل في نفسه للسعي إلى ذلك الوعد النبوي الصادق .

وتأسيساً على ما سبق فإنه يتجلى بوضوح أن من أهداف نظام الإسلام في التربية تعريف الإنسان بحقيقة ذاته ابتداء ، ومن ثم تعريفه بسنن الله تعالى في خلقه وذلك لما تغذوه به هذه المعرفة من آمال دافعة ينطلق بها يتتبع معالم طريق السنن لصناعة الحياة ، ويجعل إيصالها

– أي المعرفة – للإنسان المستهدف بالتغيير من الأهمية بمكان بين باقي ميادين المعرفة ، ويجند لنشرها كل الوسائل الممكنة ؛ التعليمية من خلال المقرر الدراسي والنشاط الطلابي ، والإعلامية من خلال البرامج التلفزيونية والأنشطة المسرحية وسواها ، والشعائر التعبدية من خلال منابر صلاة الجمعة والعيدين وسواها ، بالإضافة إلى غيرها من الوسائل . خصوصا وقد تقدم بيان أهمية نشر المعرفة بين آليات التغيير بالوسائل المباشرة وغير المباشرة .

أما عملية التغيير فقد نالت قسطا رحبا في نصوص الوحي المقررة للسنن الإلهية ولذلك يمكن القول : أن من ملامح التغيير الإسلامي « السننية » ؛ ومعناها كما يقول بوزبر (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) : خضوع العالم المادي والاجتماعي لقوانين دقيقة صارمة لا محاباة فيها ~ (ص ١٤٥) ، ولذلك جعل الخالدي (١٤١٤هـ –١٩٩٤م) التعمق في فهم سنن الله في التغيير عنصرا مهما في عملية التغيير (ص ٧٠) ، وأيضا يؤكد سعيد (١٣٩٥هـ – ١٩٧٥م) أهمية معرفة سنن التغيير بقوله :

> فهذه المعرفة الواضحة – [بسنن التغيير] –...أمر ضروري للسيطرة على التغيير الذي نريده نحن .
>
> ١– فلابد من معرفة سنن التغيير لما بالأنفس .
>
> ٢– كما لابد من معرفة ما ينبغي أن نغيره ، من الأوهام ، وما ينبغي أن نثبته من الحقائق .
>
> ٣– ومعرفة من هؤلاء الذين ينبغي أن نجري على ما بأنفسهم هذا التغيير ...

فهذه المعرفة المفصلة أمر لابد منه للبدء في أية عملية تغيير

جاد ~ (ص ٣٧) .

ولكي نحدد الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية فسوف أتناول بعضا من تلك السنن وهي :

- سنن الله سبحانه وتعالى في التغيير .
- سنن الله سبحانه وتعالى في التمكين .
- سنن الله سبحانه وتعالى في التدافع الحضاري .

ومن خلال تأملها من منظور تربوي تتأكد أهمية العلم بها لعملية التغيير التربوي .

الأهداف المستمدة من سنة الله في التغيير

وردت في نصوص الوحي آيتان كريمتان ذكرت فيهما عملية التغيير صراحة ، وقد أستنبط منهما سنة أطلق عليها « سنة التغيير » ، إلا أنه لما كان الأسلوب الشرطي الذي يرتب النتائج على مقدماتها غالبا في تقرير السنن في نصوص الوحي توسع البعض في اعتبار كل جملة شرطية منها تتضمن سنة إلهية من سنن التغيير وأطلق عليها « سنن التغيير ذات العلاقة السببية » كما فعلت زينب عطية محمد (١٤١٦هـ-١٩٩٥م ، ج١ ، ص٦) .

وربما يكون هذا الاجتهاد صحيح من جهة التصنيف باعتبار الصيغ والأساليب التي ترد بها السنن ، إلا أن الأمثل منه التصنيف باعتبار الموضوع لأنه يرتكز على النتائج بينما الأول يلتزم شرطاً عاماً وغالباً تشترك فيه العديد من النتائج .

ولذلك نجد أن موضوع التغيير لم يرد فيه إلا آيتان هما :

الآيـة الأولى قولـه جـل ذكـره : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الرعد ١٣/١١] ، وفي ظلها يقول سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) :

> ... فإنه [أي الله ﷻ] لا يغير نعمة أو بؤسا ، ولا يغير عـزا أو ذلـه ، ولا يغـير مكانـة أو مهانـة ، إلا أن يغـير النـاس مـن مشاعرهم وأعمـالهم وواقع حيـاتهم ، فيغير الله مـا بهـم وفـق مـا صارت إليه نفوسهم وأعمالهم ...
>
> وإنها لحقيقـة تلقي على البشر تبعة ثقيلة ؛ فقد قضت مشيئة الله وجرت بها سنته ، أن تترتب مشيئة الله بالبشر على تصرف هؤلاء البشر ، وأن تنفذ فيهم سنته بناء على تعرضهم لهذه السنة بسلوكهم . والنص صريح في هـذا لا يحتمل التأويل . وهـو يحمل كذلك – إلى جانب التبعة – دليل التكريم لهذا المخلوق الذي اقتضت مشيئة الله ، أن يكون هـو بعمله أداة التنفيـذ لـمشيئة الله فيه ~ (ج ٤ ، ص ص ٢٠٤٩–٢٠٥٠) .

والآيـة الأخـرى قولـه تعـالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ [الأنفال ٨/٥٣] ، وفي ظلها يقول سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) :

> إنه [أي نص الآية الكريمـة] من جانب يقرر عدل الله في معاملة العباد ؛ فلا يسلبهم نعمة وهبهم إياها إلا بعد أن يغيروا نواياهم ، ويبدلوا سلوكهم ، ويقلبوا أوضاعهم ، ويستحقوا أن يغير

ما بهم مما أعطاهم إياه للابتلاء والاختبار من النعمة التي لم يقدروها ولم يشكروها .

ومن الجانب الآخر يكرم هذا المخلوق الإنساني أكبر تكريم ، حين يجعل قدر الله به ينفذ ويجري عن طريق حركة هذا الإنسان وعمله ؛ ويجعل التغيير القدري في حياة الناس مبنيا على التغيير الواقعي في قلوبهم ونواياهم وسلوكهم وعملهم ، وأوضاعهم التي يختارونها لأنفسهم .

ومن الجانب الثالث يلقي تبعة عظيمة – تقابل التكريم العظيم – على هذا الكائن . فهو يملك أن يستبقي نعمة الله عليه ويملك أن يزاد عليها ، إذا هو عرف فشكر ، كما يملك أن يزيل هذه النعمة عنه إذا هو أنكر وبطر ، وانحرفت نواياه فانحرفت خطاه .

وهذه الحقيقة الكبيرة تمثل جانبا من جوانب « التصور الإسلامي لحقيقة الإنسان » ؛ وعلاقة قدر الله به في هذا الوجود ؛ وعلاقته هو بهذا الكون وما يجري فيه ... كذلك تصور هذه الحقيقة ذلك التلازم بين العمل والجزاء في حياة هذا الكائن ونشاطه؛ وتصور عدل الله المطلق ، في جعل هذا التلازم سنة من سننه يجري بها قدره ، ولا يظلم فيها عبد من عبيده ~ (ج ٣ ، ص ص ١٥٣٥– ١٥٣٦) .

وبتأمل هذين النصين الكريمين وما قيل فيهما نجد أن مسؤولية إحداث التغيير ابتداء ملقاة على عاتق الإنسان مما يدل على أن له حرية استحق بها شرف التكريم ، كما أن هذه الحرية جعلته مسؤولاً عن اختيار المصير الذي سيؤول إليه أو النتائج التي سيحصلها سواءٌ في المستقبل القريب في دار الفناء أم المستقبل البعيد في دار الخلود ، ولذلك فإنه سيحاسب عن هذا الاختيار بين يدي الواحد القهار لقوله تعالى : ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ

رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ ﴾ [المدثر ٧٤/٣٨] ، وقوله سبحانه : ﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الصافات ٣٧/٢٤] .

إن هذه المسؤولية الممتدة عبر الزمن من ساعة التكليف إلى ساعة الحساب إنما هي سمة من سمات الثقافة الإسلامية ؛ وعنها يقول عبد الحميد (١٤١٦هـ – ١٩٩٦م) :

> البشرية قبل الإسلام كانت تضع المسؤولية إما على الإنسان في الدنيا وإما أن تؤجلها إلى اليوم الآخر . وجاء الإسلام موحدا بين المسؤوليتين . إذ لكل منهما دورها في النفس والمجتمع، وبين المسؤوليتين تعاون وتكامل وإحاطة بجوانب النفس وتوجيهها وإصلاحها وترقيتها والمسؤولية الأولى هي المقدمة للمسؤولية في اليوم الآخر ~ (ص ١٥٠) .

ولذلك قال يالجن (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) عن معنى المسؤولية : أما معناها فهو تحمل الشخص نتيجة التزامه وقراراته واختياراته العملية من الناحية الإيجابية والسلبية أمام الله في الدرجة الأولى وأمام ضميره في الدرجة الثانية وأمام المجتمع في الدرجة الثالثة ~ (ص ٢٥٢) .

ولما لهذه المسؤولية من أهمية قصوى لدى الإنسان الكيس ، فإن أولى ما يتجه إليه نظام الإسلام في التربية بالاهتمام والرعاية إنما هو توعية الإنسان بتبعة هذه المسؤولية عليه ، وتعزيز

شعوره بها(٥١) ، سواءً أكانت في مستواها المحدود ؛ مسؤوليته عن نفسه وأهله والدال عليها قوله جل ذكره : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ ﴾ [التحريم ٦٦/٦] ، أم في مستواها الرحب ؛ مسؤوليته عن دينه وأمته بحكم الانتماء والدال عليها قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَـٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ۝٧١ ﴾ [التوبة ٩/٧١] .

إن شعور الإنسان بمسؤوليته الفردية في هذه الحياة يجعله مسؤولا فيها – كما يرى يالجن (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) – عن كل تصميم وسلوك صادر عن قصد واختيار يتصل بحسن أو قبح وبخير أو بشر سواء كان إيجابيا أو سلبيا ~ (ص ٢٦١) . كما أن شعوره بالمسؤولية نحو سلوك الغير يجعله حصنا منيعا يحمي المجتمع من الشر وعواقبه ، وفي ذلك يقول يالجن (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) :

---

(٥١) المسؤولية شعور ذاتي يصدر عن الإنسان نتيجة اعتقادات ومفاهيم وتصورات يتبناها ، أو اهتمامات وحاجيات يرعاها ، وعملية تعزيزها أو التنشئة عليها من خلال الوسائل والأساليب في مختلف المحاضن التربوية تتطلب المزيد من الدراسات التربوية – وذلك لأهميتها القصوى في التفعيل الحضاري الإنساني – والتي ما زالت محدودة ومنها : باحارث ، عدنان ، حسن ، صالح – (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) ، **مسؤولية الأب المسلم في تربية الولد في مرحلة الطفولة** ، ط٣ ، جدة : دار المجتمع للنشر والتوزيع .

> إن الإنسان ليس مسؤولا فقط عن فعل الشر ، بل هو مسؤول أيضا عن دفع الشر ، لأن هدف الأخلاق تحقيق السعادة ، والسعادة لا تتحقق إلا بإنقاذ الإنسان من الشر أولا ثم تحقيق الخيرات له ثانيا ، وإنقاذ الإنسان من الشر لا يتم إلا بالكف عن الشر ودفع الشر ، ولذا كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من المبادئ الهامة للغاية في التفكير الأخلاقي في الإسلام ~ (ص ٢٦٦) .

حين يستشعر الإنسان مسؤوليته نحو دينه وأمته فإنه يصبح فاعلاً بناءاً وذا طبيعة تنفيذية إيجابية ، يجاهد لنصرة دينه والتمكين لأمته ، ويتخفف من حاجياته وكمالياته من أجلها في سعادة غامرة تزيل شعوره بالفقد والخسران ، وتضعف « الأنا » الممقوتة الطاغية عن حدها في نفسه ، فيغلب عندئذ مصلحة الدين والأمة على مصلحته الذاتية .

وتدارك الانحسار الحضاري الذي تعيشه الأمة الإسلامية مرهون باستشعار المسلم المعاصر بمسؤوليته نحوها ، واندفاعه نحو أداء واجب الانتماء إليها ، ليعيدها إلى موقعها الحقيقي بين الحضارات المتمثل في شهودها الحضاري ، وذلك ما يؤكده هيشور (١٤١٧هـ–١٩٩٦م) بقوله :

> وعند تحليلنا لعوامل تقدم المجتمع وازدهاره أو لعوامل وأسباب تأخره وانحطاطه نجدها تعود إلى ذات الإنسان . فعندما يعتقد المرء أن كل ما يصدر منه له دور في الحياة ، ويتيقن أن كل ما وصلت إليه الأمم في التاريخ القديم والحديث من تقدم أو انحطاط ، إنما كان وراءه الإنسان وهو وحده لا غير يبقى هو المسؤول عن كل ما تصير إليه المجتمعات والحضارات ~ (ص ١٧١) .

ومن جهة أخرى ؛ فإن توعية الإنسان بتبعة تلك المسؤولية عليه يستلزم تقوية يقينه بأن لديه من الطاقات والقدرات والاستعدادات ما يعينه على أداء حقوق تلك المسؤولية وذلك لما يتمتع به من حرية في الاختيار واستطاعة على الفعل واستعدادا للتعلم ، وهذا ما يؤكده سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) عند تعليقه على قوله تعالى : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس ٩١/٧–٨] حيث يقول :

> إن هذا الكائن مخلوق مزدوج الطبيعة ، مزدوج الاستعداد ، مزدوج الاتجاه ، ونعني بكلمة مزدوج على وجه التحديد أنه بطبيعة تكوينه – من طين الأرض ومن نفخة الله فيه من روحه – مزود باستعدادات متساوية للخير والشر ، والهدى والضلال ، فهو قادر على التمييز بين ما هو خير وما هو شر ، كما أنه قادر على توجيه نفسه إلى الخير والى الشر سواء ، وأن هذه القدرة كامنة في كيانه ، يعبر عنها القرآن بالإلهام تارة : ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ ﴾ [الشمس ٩١/٧–٨] ، ويعبر عنها بالهداية تارة : ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ ﴾ [البلد ٩٠/١٠] ، فهي كامنة في صميمه في صورة استعداد . والرسالات والتوجيهات والعوامل الخارجية [العملية التربوية] إنما توقظ هذه الاستعدادات وتشحذها وتوجهها هنا أو هناك . ولكنها لا تخلقها خلقا . لأنها مخلوقة فطرة ، وكائنة طبعا ، وكامنة إلهاما .

وهناك إلى جانب هذه الاستعدادات الفطرية الكامنة قوة واعية مدركة موجهة في ذات الإنسان هي التي تناط بها التبعة [المسؤولية] . فمن استخدم هذه القوة في تزكية نفسه وتطهيرها وتنمية استعدادات الخير فيها ، وتغليبه على استعداد الشر فقد أفلح ، ومن أظلم هذه القوة وخبأها وأضعفها فقد خاب : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠ ﴾ [الشمس ٩١/٩-١٠] .

وهناك إذن تبعة مترتبة على منح الإنسان هذه القوة الواعية القادرة على الاختيار والتوجيه ... فهي حرية تقابلها تبعة [مسؤولية] ، وقدرة يقابلها تكليف [عمل] ، ومنحة يقابلها واجب [التمكين والاستخلاف] .

ورحمة من الله بالإنسان لم يدعه لاستعداد فطرته الإلهامي ، ولا للقوة الواعية المالكة للتصرف ، فأعانه بالرسالات التي تضع له الموازين الثابتة الدقيقة [السنن الإلهية] ، وتكشف له عن موجبات الإيمان ، ودلائل الهدى في نفسه وفي الآفاق من حوله ، وتجلو عنه غواشي الهدى فيبصر الحق في صورته الصحيحة ، وبذلك يتضح له الطريق وضوحا كاشفا لا غبش فيه ولا شبهة فتتصرف القوة الواعية حينئذ عن بصيرة وإدراك لحقيقة الاتجاه الذي تختاره وتسير فيه ~ (ج٦ ، ص ص ٣٩١٧-٣٩١٨) .

ولكن استنادا إلى إجرائية التغيير المتقدم شرحها فإن توعية الإنسان المعاصر – على اختلاف مراحل عمره – بتبعة المسؤولية الملقاة على عاتقه ؛ باعتبار ذلك هدفاً عاماً لنظام

الإسلام في التربية ، إنما يتحقق إذا أدركت صفوة من الأمة الخيرة الواقع المرير الذي تعاني منه حضارة الإنسان المسلم المعاصر في أنظمتها المعاصرة ، أو في موقفها من تحديات المتداعين عليها للنيل منها ؛ فيغدوا إدراكها هذا محرضا لها يدفعها إلى أن تحمل على عاتقها مسؤولية تغيير حال الأمة والزود عنها ، فتعمد تلك القيادات التغييرية الصفوة عندئذ إلى تعريف الإنسان المسلم المعاصر بذاته على حقيقتها فتفجر فيه الطاقات والقدرات ، وتجمع الجهود المخلصة المستجيبة ، وتبعث فيها الثقة بالنفس والأمل للتطلع إلى غدٍ أفضل ، تصنعه أيادٍ متوضئة ، لحمته ونسيجه جسد الأمة الواحد .

واستخلاصا مما سبق فإن الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية في ضوء سنة التغيير ما يلي :-

١- توعية الإنسان بتبعة المسؤولية الملقاة على عاتقه وتعزيز شعوره بها أثناء جميع مراحل عمره من خلال الوسائل المناسبة لكل مرحلة .

٢- تعريف الإنسان بأن لديه من الطاقات والقدرات والاستعدادات ما يعينه على القيام بحقوق تلك المسؤولية عندما يحسن تنميتها واستغلالها .

ويبقى السؤال المهم والتالي لكل هدف يحدد ما ثلا لتجيب عليه دراسات تربوية أخرى ؛ ألا وهو : كيف تحقق هذه الأهداف في عالم الواقع من خلال نظرية النظم ، ووفق إجرائية علم التغيير التربوي ، وما دور المحاضن التربوية المتعددة في تحقيقها ؟ .

الأهداف المستمدة من سنة الله في التمكين

تعتبر مظاهر التمكين للأمة الإسلامية بمختلف أبعاده مؤشر صحة يدل على استشعار الإنسان المسلم لمسؤوليته نحو حضارته . وبالضد فإن مظاهر الضعف والوهن والتبعية الذي تعيشه الأمة مؤشر مرض يدل على ضعف أو غياب شعور الإنسان المسلم لمسؤوليته نحو حضارته .

ولما كانت الأمة الإسلامية تعيش انحسارا حضاريا في واقعها المعاصر سببه غياب فقه السنن الإلهية عند كثير من أفرادها بعامة وعند قياداتها بخاصة ؛ فإن ذلك يدل على خلل في استشعار المسؤولية والقيام بحقوقها .

ولذلك فإن استهداف نظام الإسلام في التربية للإنسان المسلم المعاصر بتنمية وتعزيز شعوره بالمسؤولية نحو الأسباب التي أدت إلى زوال التمكين عن الأمة الإسلامية ؛ يحرضه إلى معرفة المقومات التي بها ترجع الأمة إلى التمكين ، والعوائق التي تعترض العمل له ، وذلك في ضوء سنن الله سبحانه وتعالى في التمكين .

ولقد تقدم القول أن لتمكين الأمة الإسلامية سننا خاصة بها وذلك في الفصل الثاني من هذه الدراسة عند الحديث عن السنن الإلهية الخاصة بالمؤمنين . ومما يجدر الإشارة إليه قبل استعراض نصوص الوحي الواردة في موضوع التمكين لتحديد الأهداف التربوية العامة لنظام

الإسلام في التربية ، أن هناك مصطلحان يطلقان على سننه هما : « سنن التمكين » و « سنن الاستخلاف » وكلا الإطلاقين قريب .

فمن تلك الآيات قوله تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ وَمَن كَفَرَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [النور ٢٤/٥٥] .

وهذه الآية صريحة في أن الإيمان والعمل الصالح مقومان رئيسان للاستخلاف والتمكين ، قال الرازي – ت ٦٠٤هـ رحمه الله تعالى – (١٤٠١هـ – ١٩٨١م) : فقد وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات أي الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح أن يستخلفهم في الأرض ~ (ج٢٤ ، ص٢٤) .

والمقصود بتمكين الدين لهم يبينه سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ –١٩٧٨م) بقوله :

> ~ وتمكين الدين يتم بتمكينه في القلوب ، كما يتم بتمكينه في تصريف الحياة وتدبيرها ، فقد وعدهم الله إذن أن يستخلفهم في الأرض ، وأن يجعل دينهم الذي ارتضى لهم هو الذي يهيمن على الأرض ، ودينهم يأمر بالإصلاح ، ويأمر بالعدل ، ويأمر بالاستعلاء على شهوات الأرض ، ويأمر بعمارة هذه الأرض ، والانتفاع بكل ما

أودعها الله من ثروة ، ومن رصيد ، ومن طاقة ، مع التوجه بكل نشاط فيها إلى الله ~ (ج٤ ، ص ٢٥٢٩) .

أما الإيمان فقد بين رسول الله ﷺ أصوله في حديث جبريل عليه السلام والذي رواه مسلم – ت ٢٦١هـ رحمه الله تعالى – (١٩٧٢م) حيث سأل النبي ﷺ بقوله : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : « أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » قال : صدقت [ح٨] .

وفي بيان المقصود من هذه الأصول الستة يقول محمد قطب (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م ، ص ص ٨–٩) ما يلي :–

١– فالإيمان بالله يعني الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى وبوحدانيته في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات التي وصف بها نفسه في القرآن الكريم ، أو وصفه بها رسوله ﷺ .

٢– والإيمان بالملائكة يتضمن الإيمان بوجودهم ، وبأنهم خلق من خلق الله ، يعبدونه سبحانه وتعالى ، ولا يفترون عن عبادته ليلا ونهارا ، ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ، وأن لهم أعمالا كلفهم الله بها وهم يؤدونها في طاعة كاملة لله ، ومن بينها التنزل بالوحي على رسل الله وأنبيائه ، ومن بينها كتابة أعمال البشر وتسجيلها ، ومن بينها التنزل على قلوب المؤمنين بالطمأنينة والبشرى ...الخ .

٣- والإيمان بالكتب السماوية يتضمن الإيمان بكل ما أنزل الله على رسله من الكتب بما فيها القرآن الكريم ، وإن كانت الكتب السماوية السابقة كلها قد حرفت إلا القرآن الكريم وحده حفظه الله وقال سبحانه : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَـٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر ١٥/٩] .

٤- والإيمان بالرسل يقتضي الإيمان بأن الله ﷻ أرسل إلى البشرية رسلا متعددين ، منهم من قصه الله على نبيه محمد ﷺ في القرآن ، ومنهم من لم يقصصهم عليه كما قال تعالى : ﴿ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَـٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ﴾ [النساء ٤/١٦٤] .

وأن هؤلاء الرسل جميعا قد أوحى الله إليهم أن يبشروا الناس وينذروهم ، يبشروهم بالجنة لمن أطاع الله ورسله ، وينذرهم بالنار لمن عصى الله ورسله ... وأنهم جميعا جاءوا بكلمة واحدة تلقوها من عند الله وأمروا بتبليغها للناس ، وهي كلمة « لا إله إلا الله » والأمر بعبادته وحده دون شريك ... .

٥- والإيمان باليوم الآخر معناه الإيمان بالبعث بعد الموت ، وأن الله يبعث الناس جميعا يوم القيامة ويحشرهم إليه ، ويحاسبهم على كل شيء فعلوه في الدنيا ثم يجزيهم به ... كما يشمل الإيمان بالجنة والنار وكل ما جاء في القرآن والحديث عن البعث والحشر والحساب والجزاء .

٦- والإيمان بالقضاء والقدر يقتضي الإيمان بأن كل ما يحدث للإنسان من خير أو شر هو مقدر له ... ، كما يقتضي الإيمان بالعدل الإلهي فيما يجري به القضاء والقدر ~ (ص ص ٨-٩) .

إن كل أصل من هذه الأصول الستة له آثاره الإيجابية العميقة في النفس الإنسانية[٥٢] مما يحتم على نظام الإسلام في التربية اتخاذ كل وسيلة مشروعة لغرسها متبعا في ذلك ابتداء وسائل القرآن الكريم ؛ والتي منها ما ذكره محمد قطب أيضا (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م ، ص ١٨-١٩) وهي :-

١- إثارة الوجدان لتدبر آيات الله في الكون ، وإزالة التبلد الذي يقع في حس الإنسان من المشاهد المكرورة . وذلك يشمل الحديث عن الكون بضخامته الهائلة ودقته المعجزة ، وظاهرة الموت والحياة ، وإجراء الرزق ، وإجراء الأحداث ، وقدرة الله التي لا تحد ، وعلم الله الشامل للغيب ، كل ذلك بطريقة فذة تجعل الإنسان يستقبل هذه الأمور كلها كأنه يراها ويلاحظها لأول مرة ، فينفعل وجدانه ، ويستيقظ لحقيقة الألوهية .

---

[٥٢] إن كل أصل من أصول الإيمان الستة بجزئياته يعتبر بحد ذاته هدفا تربويا لنظام الإسلام في التربية ، وجدير بأن تعد عنه العديد من الدراسات التربوية والتي تعني بكيفية تحقيقه ، وبيان آثاره على النفس الإنسانية ، وتأتي أهمية هذه الدراسات لكونها من الدراسات المعنية بمدخلات نظام الإسلام في التربية والتي منها «الأهداف» .

٢- إثارة العقل ليتفكر في خلق الله ، ليدرك أن لهذا الكون خالقا ، وأنه لا يمكن أن يكون له شريك في الخلق ولا في الرزق ولا في تدبير الأمور ، وهذا يشمل كل الإشارات السابقة ولكن بطريق آخر غير إثارة الوجدان والانفعال . هو طريق التفكير والتدبر المنطقي . وان كان يلاحظ أن الطريقتين كثيرا ما تقترنان معا في آيات كثيرة من آيات القرآن ، فيخاطب الوجدان ويخاطب العقل في آن واحد .

٣- مواجهة الإنسان بحقيقة ما يدور في داخل نفسه وقت الشدة من اللجوء إلى الله ونسيان الشركاء ، ومن الغفلة والنسيان والبغي في الأرض بغير الحق بمجرد زوال الأزمة ونجاته من الخطر . وهي حقيقة كثيرا ما ينساها الإنسان فيذكره القرآن بها ليصحح سلوكه تجاه الله ، ويستقيم على العقيدة السليمة .

٤- مناقشة الانحرافات كلها التي يقع فيها الجاهليون تارة بالدليل العقلي وتارة بالدليل الوجداني ، ودحضها وبيان تفاهتها وعدم قيامها على أي أساس صحيح . ونلاحظ هنا كذلك أنه كثيرا ما يقترن الدليل العقلي بالدليل الوجداني في مناقشة الانحرافات .

٥- التذكير الدائم بقدرة الله التي لا تحد ، وعظمته وجلاله حتى يخشع القلب ويستسلم لله .

٦- التذكير الدائم بأن الله مع الإنسان يراه ويراقبه ثم يحاسبه يوم القيامة على ما عمل من خير أو شر ، وإشعار الإنسان بعلم الله الشامل الذي لا يغيب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ، ولا يخفى عليه من عمل الإنسان شيء حتى السر وما هو أخفى من السر .

٧- التذكير الدائم بالله ﷻ في حالتي السراء والضراء ، ففي السراء ينبغي على الإنسان أن يذكر الوهاب المنعم فيشكره ، وفي الضراء يصبر الإنسان لقضاء الله ويتوجه إليه ليكشف عنه الضر .

٨- إيراد القصص التي تثبّت الإيمان ، بذكر الأنبياء وصبرهم على الأذى ونصر الله لهم في النهاية ، والكفار وعنادهم وتدمير الله عليهم في النهاية .

٩- رسم الصور المحببة للمؤمنين وصفاتهم وما ينالهم من جزاء ، والصور الكريهة المنفرة للكافرين وما ينالهم من جزاء .

ولما كانت هذه الوسائل كلها متوفرة في كتاب الله تعالى ، والمنزل بلسان عربي مبين ، فإن أسمى هدفٍ يسعى إليه نظام الإسلام في التربية إنما هو ربط المسلم بكتاب ربه (٥٣) ، لأنه هو

(٥٣) لقد كان للجهود المتعددة والمعاصرة المعنية بتدبر القرآن الكريم سواءً أكانت تفسيرا مقروء مثل «في ظلال القرآن» للشهيد سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – ، أو دروسا ملقاة عبر وسائل الإعلام المرئية مثل دروس الإمام محمد متولي الشعراوي – ت ١٤١٩هـ رحمه الله تعالى – أثرا إيجابيا رائعا في نفوس الكثيرين ، ولا زالت الحاجة ماسة إلى

السبيل إلى غرس الإيمان في قلبه ، ذلك الربط الوثيق الذي يدفعه إلى تلاوته وتدبره باعتباره الوحي المقروء للهداية التي أخبر ﷻ عنها بقوله : ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [البقرة ٢/٣٨] ، وباعتباره المرشد إلى إحسان تدبر الوحي المخلوق ؛ ألا وهو الكون وما حوى .

ولكي يؤتي هذا الربط بين المسلم وكتاب ربه ثماره ، وتؤتي الوسائل التي يسلكها آثارها في النفس الإنسانية ، فإن نظام الإسلام في التربية يهدف إلى حث المسلم على التمسك باللغة العربية وتعلمها وتقوية أواصره بها لا بكونها محورا يتمركز حولها ؛ ولكن بكونها الوعاء الذي يحقق الاتصال الناجح بين المسلم وكتاب ربه الحاوي على خبرة السنين العميقة منذ بدء الخلق ، والهادية لكل ذي لب يتدبره فيما يستقبله في معترك الحياة . تلك الخبرة المتضمنة على معايير الإيمان والداعية إليه .

لقد أدرك المربون الواعون لأسباب الخلل في واقع الأمة الإسلامية المعاصرة ضرورة البدء بتربية الإنسان وتزكيته بالإيمان ، ومنهم القرضاوي (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) حيث يقول :

الكثير من تلك الجهود المعينة على ربط المسلم بكتاب ربه ، وبكل وسيلة ممكنة تساعد المسلم المعاصر على تدبره وتأمله لاسيما وأن هناك ضعف عام في الاعتناء بلغة القرآن الكريم لديه مما أثر على عملية الاتصال بينهما .

وإنما يبنى الإنسان أول ما يبنى بالإيمان ، أي بغرس العقيدة الصحيحة في قلبه ، التي تصحح له نظرته إلى العالم والى الإنسان ، والى الحياة والى رب العالم ، وبارئ الإنسان ، وواهب الحياة وتعرف الإنسان بمبدئه ومصيره ورسالته ، وتجيبه عن الأسئلة المحيرة لمن لا دين له : من أنا ؟ ، ومن أين جئت ؟ ، والى أين أصير ؟ ، ولماذا وجدت ؟ ، وما الحياة وما الموت ؟ ، وماذا قبل الحياة ؟ ، وماذا بعد الموت ؟ ، وما رسالتي في هذا الكوكب منذ عقلت حتى يدركني الموت ؟ .

الإيمان – ولا شيء غيره – هو الذي يمنح الإنسان إجابات شافية عن هذه الأسئلة المصيرية الكبرى ، ويجعل للحياة هدفا ومعنى وقيمة . وبدون هذا الإيمان سيظل الإنسان هباءة تائهة ، أو ذرة تافهة ، في هذا الوجود ، لا قيمة له من حيث الحجم أمام مجموعات هذا الكون الكبير ، ولا من حيث العمر ، أمام الأزمنة الجيولوجية المتطاولة ، والأزمنة المستقبلية اللانهائية ، ولا من حيث القدرة ، أمام أحداث الطبيعة التي رءآها تهدده ، بالزلازل والبراكين والأعاصير والفيضانات التي تدمر وتقتل ، والإنسان أمامها عاجز أشل اليدين ، رغم ما يملك من علم وإرادة وتكنولوجيا متطورة .

الإيمان هو طوق النجاة دائما ، وبه يمكن تغيير الإنسان من داخله ، وإصلاحه من باطنه ، فالإنسان لا يقاد كما تقاد الأنعام ، ولا يصنع كما تصنع الآلات من حديد أو نحاس أو معدن .

إنما يحرك من عقله وقلبه ، يقنَع فيقتنع ، ويُهدَى فيهتدي ، ويُرغب ويُرهّب ، فيرْغب ويَرْهَب ، والإيمان هو الذي يحرك الإنسان ويوجهه ويولد فيه طاقات هائلة ، لم تكن لتظهر بدونه ، بل هو ينشئه خلقا جديدا ، بروح جديدة ، وعقل جديد ، وعزم جديد ، وفلسفة جديدة ~ (ص ص ٢٠٩–٢١٠) .

وإذا كان الإيمان هو الأساس الذي يربى عليه الإنسان ليجني ثماره والتي منها إطلاق طاقاته وقدراته ، فإن الحضارة الإسلامية المعاصرة لن تعود إلى سابق عهدها قائدة للناس وشاهدة عليهم إلا إذا أسست على الإيمان الذي يربط بين أفرادها ، وفي ذلك يقول المودودي – ت ١٣٩٩هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٠هـ–١٩٧٠م) :–

> إن الأفراد إذا كانوا متفرقين وكانوا يؤمنون بعقائد مختلفة وأفكار متفرقة وكانت أعمالهم في الحياة قائمة على أسس متضاربة متخالفة فإنه من المحال أن توجد بهم وتتركب منهم هيأة اجتماعية ، . . . ، وعلى العكس من هذا إذا استقرت فكرة مشتركة في أذهان عدد كبير من الأفراد على سبيل الإيمان ، فإن رابطة اشتراكهم في الإيمان لا بد أن تؤلف منهم جميعا أمة أو جماعة منظمة قوية ، . . . ، وهنا لابد أن يحدث فيها التعاون والتعامل والتكافل ، ويكفل لهم بسرعة متزايدة في رقيهم وتقدمهم يوما فيوما ، كأن نوعا من الإيمان هو الذي يحدث التشابه في سلوكهم والتجانس في أعمالهم ، وبذلك لا بد أن يبرز إلى حيز الوجود نوع خاص من العمران والمدنية ، ولا بد أن تنهض أمة جديدة بسيرة جديدة وعقلية جديدة وأفكار جديدة ومنهاج للعمل جديد وتشيد صرح الحضارة على أسلوب مبتكر جديد ~ (ص ٩٣–٩٤) .

لقد تبوأ الإيمان تلك المكانة الرئيسة بصفته الأساس الذي يربى عليه الإنسان الفرد ، والأساس الذي تشيد عليه الحضارة الإسلامية ؛ ذلك لأنه كما يرى المودودي – ت ١٣٩٩هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٠هـ–١٩٧٠م) :   الأساس الفكري [العقدي] لسيرة الإنسان وحياته العملية ، هو الذي يصطلح عليه القرآن [الكريم] بكلمة « الإيمان » ~ (ص ٩٢) ،

ولذلك كان الإيمان الشرط الأول لنظام الأعمال وهو ما يشرحه المودودي (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) بقوله :

> أن اختيار حياة الإنسان العملية نظاما محكما وترتيبا خاصا جديرا بأن يعتمد عليه ويطمئن إليه ، إنما يتوقف على أن تكون للإنسان في حياته سيرة ثابتة معروفة ، وإنما تتوقف سيرته في ثباتها ورصانتها على أن يخرج ذهنه من حالة تشتت الأفكار وتفرق الخواطر وتستقر فيه أفكار مخصوصة معروفة المعالم والحدود ، وأن تكون هذه الأفكار بالغة من الرسوخ والثبات والمتانة والأصالة والرصانة بحيث لا تسمح لأفكار من نوع آخر بأن تدخل فيه وتحدث في دنياه شيئا من الاضطراب والارتباك والفوضى . إنه على قدر ما تكون هذه الأفكار متأصلة بجذور قوية في ذهن الإنسان ، يكون الإنسان قويا متينا في سيرته وتكون حياته مرتبة منظمة يوثق بها ويطمأن إليها ، وعلى العكس من هذا فإنها على قدر ما تكون واهنة متهلهلة ، وعلى قدر ما تسمح لأفكار متضاربة وخواطر متفرقة بالدخول في ذهن الإنسان ، يكون الإنسان ضعيفا متهلهلا في سيرته ، ولا يكون لحياته العملية أي نظام أو ترتيب أو انسجام جدير بالاعتماد عليه ~ (ص ٩٢) .

أما وصف إيمان الإنسان بالقوة أو الضعف فمعناه على حد قول المودودي (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) :

> فالمراد بإيمان الإنسان بشيء أنه قد استقر في ذهنه تصديقا ويقينا ولم يعد بعده يخاف أن يتسرب إلى ذهنه شيء يخالفه . والمراد بضعف إيمانه به أن قلبه لم يطمئن إليه اطمئنانا كاملا ولذا لا يأمن أن تدخل في ذهنه أشياء تخالفه وتوهن عليه سيرته وتحدث الاضطراب والارتباك والاختلال والفوضى في

حياته العملية . والمراد بقوة إيمانه به أن قد قامت سيرته بعد تصديقه إياه على أسس قوية رصينة يجوز الاعتماد عليها والاطمئنان بأن الأعمال لن تصدر عنه إلا متفقة معها بكل معنى الكلمة ~ (ص ٩٣) .

وبناء على ذلك ، واتباعا لإجرائية عملية التغيير التربوي الإسلامي – السابق توضيحها – والتي من مستوياتها بث المعرفة الإسلامية ؛ فإن تقوية الإيمان في قلب الإنسان المستهدف بالتغيير يتطلب أن ينال هذا الإنسان قسطا وافرا من المعرفة الإسلامية الصحيحة عن الإيمان وأركانه الستة حتى يستقر الإيمان في قلبه تصديقا ويقينا ، وتتكون لديه اتجاهات إيجابية نحو مقتضياته وتصدقها سيرته وسلوكياته سواء أكان منفردا أم في جماعة تحمل مسؤولية التغيير الحضاري الإسلامي في مشروع متكامل تتبناه .

إن مهمة بث تلك المعرفة الإيمانية تقع على عاتق المحاضن التربوية المختلفة ابتداء من الأسرة والمسجد إلى المدارس والجامعات ووسائل الإعلام المختلفة في خطابها العام لجميع شرائح المجتمع ، وهذا ما يشير إليه المودودي – ت ١٣٩٩هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م) بقوله : ومن اللازم . . . أن يكون العلم مقدما على التربية ، حقيقة لا يكابر في صحتها عاقل ، لأن العلم هو أساس العمل ومن المحال أن يكون العمل صحيحا ما لم يكن العلم صحيحا ~ (ص ١٣٠) . ولذلك أدرك سلفنا الصالح – رحمهم الله جميعا – هذه الحقيقة وطبقوها في حياتهم وأشاروا إليها في كتبهم ، ومنهم البخاري – ت ٢٥٦هـ رحمه الله تعالى –

(١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) حيث عنون في صحيحه بابا بعنوان : باب العلم قبل القول والعمل (ج ١ ، ص ٣٧) .

ولقد بين المودودي - ت ١٣٩٩هـ رحمه الله تعالى - (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) أنواع العلم بقوله :

إن العلم على نوعين :

علم يتعلق بجزئيات حياتنا ، وهو الذي نتلقاه في المدارس والكليات ويشتمل على عدة فنون وعلوم . وعلم هو العلم الكلي وهو المعروف في الاصطلاح في القرآن « بالعلم » وهو لا يتعلق بمعاملاتنا وجزئيات حياتنا وإنما يتعلق بنا نحن ، ويأخذ بالبحث موضوع : ماذا نحن ، وما هي مكانتنا في هذه الدنيا التي نعيش فيها ؟ ومن ذا الذي قد خلقنا وهذه الدنيا ؟ وما هي العلاقة بيننا وبين هذا الخالق ؟ وما هو الصراط المستقيم لقضائنا أيام حياتنا ؟ وكيف لنا أن نتعرف على هذا الصراط المستقيم ؟ وما هي الغاية التي ستنتهي إليها حياتنا في هذه الدنيا ؟ .

إن هذا « العلم الكلي » له حكم الأصل والأساس وما كل علومنا الجزئية إلا فرع لهذا الأصل ، وعلى استقامته أو اعوجاجه تتوقف كل أفكارنا وأعمالنا وشؤون حياتنا في صحتها أو فسادها . فأيما نظام يوضع لتربية الإنسان وتهذيبه وتثقيفه ، لا يقوم بنيانه إلا على أساس هذا « العلم الكلي » ، وهو إن كان صحيحا صالحا فلا بد أن يكون نظام التربية والتهذيب هو الآخر صحيحا صالحا ، وإن كان فيه نوع من الفساد ، فلا بد أن يفسد بفساده نظام التربية والتهذيب أيضا .

> والمعتقدات المذكورة في القرآن الكريم عن الله والملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر لا تتعلق كلها إلا بهذا « العلم الكلي » ، وما شدد القرآن في دعوة الإنسان إلى الإيمان بها إلا لأن هذا « العلم الكلي » هو الذي يقوم عليه نظام الإسلام للتربية والتهذيب ~ (ص ١٣٠-١٣١) .

إن هذا العلم الكلي والذي هو بمثابة الأصل والأساس لنظام الإسلام في التربية يكشف للإنسان من خلال مباحثه وتساؤلاته الغاية العظمى التي يجب أن يكرس سعيه وكسبه وعمله من أجلها وهي : ابتغاء مرضاة الله تعالى ورضوانه ، إذ لا خير في علم أو عمل – مهما كان نفعه الدنيوي – لا ينال الإنسان به رضا خالقه وهاديه والفوز بجنته وقربه في الحياة الباقية . وهذا المعنى تؤكده العديد من الآيات القرآنية ومنها :-

١- قوله جل ذكره : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ ﴾ [البقرة ٢/٢٠٧] .

٢- وقوله سبحانه : ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثۡبِيتٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ كَمَثَلِ جَنَّةِۭ بِرَبۡوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٞ فَـَٔاتَتۡ أُكُلَهَا ضِعۡفَيۡنِ فَإِن لَّمۡ يُصِبۡهَا وَابِلٞ فَطَلّٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ ﴾ [البقرة ٢/٢٦٥] .

٣- وقولـه سـبحانه : ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ ﴾ [الفتح ٤٨/٢٩] .

٤- ومنـها قولـه تقدسـت أسمـاؤه : ﴿ أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ١٠٩ ﴾ [التوبة ٩/١٠٩] .

٥- ومنها قوله تعالت عظمته : ﴿ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ إِن كَانُواْ مُؤۡمِنِينَ ٦٢ ﴾ [التوبة ٩/٦٢] .

٦- ومنها قوله جل جلاله : ﴿ ۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوۡفَ نُؤۡتِيهِ أَجۡرًا عَظِيمٗا ١١٤ ﴾ [النساء ٤/١١٤] .

وتأسيسا على ما سبق ، وفي ضوء إجرائية التغيير التربوي فإن على عاتق القيادات التربوية تعريف الإنسان المستهدف بالتغيير بالغاية العظمى التي يجب أن يجهد من أجلها ويستحضرها في قلبه عند سعيه وكدحه ، وأن يعينوه – أي القيادات التربوية – على تحقيقها

مسترشدين بالوسائل التي قررها المودودي – ت ١٣٩٩هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م ، ص ٢٨٤) وهي :-

١ – أن ينال [الإنسان] معرفة صحيحة بالله تبارك وتعالى .

٢ – وأن لا يرى [الإنسان] في أحد غير الله آمرا ولا ناهيا ولا حاكما ولا مطاعا على الإطلاق ويجعل حريته الذاتية تابعة لأحكامه تعالى .

٣ – وأن يتعرف [الإنسان] على الطرق والوسائل التي يستطيع بها أن ينال مرضاة الله ، ثم لا يقضي كل حياته إلا تبعا لها وبالتعرف عليها .

٤ – وأن يتعرف [الإنسان] على ثمرات مرضاة الله وعواقب عدم مرضاته حتى لا يغتر بالنتائج الناقصة الظاهرة لأعماله وأقواله في هذه الحياة الدنيا .

ثم يبين المودودي (١٣٩٠هـ – ١٩٧٠م) أن هذه الوسائل أو الحاجات الأربع – والتي هي بمثابة أهداف تربوية عامة لنظام الإسلام في التربية – هي التي تقتضيها أركان الإيمان ؛ حيث يقول :-

> فما كل ما قيل في القرآن عن ذات الله وصفاته ، إلا لينال به الإنسان معرفة صحيحة بالله الذي قد بعثه خليفة منه في هذه الأرض ، والذي إن نِيلَ مرضاته هو الغاية المقصودة من حياته .
>
> وما كل ما قيل في القرآن عن وجود الملائكة ووظائفهم إلا لأن لا يرى الإنسان في قوة من القوى العاملة في هذا الكون ذاتَ ألوهية وربوبية وحاكمية أو مشاركة الله تعالى في ألوهيته وربوبيته

وحاكميته كما هي نافذة في نظام الكون كله وفي الشعبة التكوينية غير الاختيارية لحياة الإنسان نفسه ، كذلك على الإنسان أن يقر بأن الله هو الإله وأنه هو الرب وأنه هو الحاكم الوحيد في الشعبة التشريعية الاختيارية لحياته وأنه تبارك وتعالى هو واضع القانون لجملة شؤون حياته وما هو – نفسه [أي الإنسان] – إلا خاضع لهذا القانون ، وأن عليه – أي على الإنسان – أن يحد جملة صلاحياته وحرياته بالحدود التي قد وضعها لها هذا القانون .

فالإيمان على هذا الوجه هو الذي يحوز في نفسه القوة المعدة للإنسان لتفويض أمره إلى الله طوعا ورغبة ، وبه ينشأ في داخل المؤمن ضمير من نوع خاص وسيرة ذات طابع خاص ، لا بد له منهما في اتباعه القانون والتزامه الحدود طوعا لا كرها .

أما الحاجة الثالثة فيقضيها الإيمان بالرسول والكتاب ، فبه يعرف الإنسان على وجه شامل القوانين والمناهج والطرق التي قد قررها الله سبحانه وتعالى لحياته وبه يعرف الحدود والقيود التي قد حد بها الله تبارك وتعالى حرياته وصلاحياته ، فالاعتقاد بأن تعليم الرسول هو تعليم الله وأن الكتاب الذي جاء به هو كتاب الله . . هو الإيمان بالرسول وهو الإيمان بالكتاب . وبهذا الإيمان يتأهل الإنسان لأن يلتزم – على أكمل يقين وأمثل إذعان – القوانين والمناهج والحدود التي قد دعاه الله إليها بواسطة رسوله وبواسطة كتابه .

أما الحاجة الرابعة – والأخيرة – فتقضيها عقيدة الآخرة، أي العلم بالمعاد . فهي تشحذ نظر الإنسان شحذا ينظر به إلى عالم آخر وراء ظاهر من الحياة الدنيا ويعرف أن ليس النعيم أو البؤس ، ولا النفع أو الضرر في هذه الحياة الدنيا هو المقياس لمرضاة الله أو سخطه وأن الثواب أو العقاب على الأعمال من جانب الله لا ينتهي في هذه الدنيا فحسب وإنما سيأتي بعد هذه الحياة الدنيا عالم آخر سيحكم فيه الله بين عباده ويجزيهم على أعمالهم جزاء وفاقا ، إن

> خيرا فخير وإن شر فشر ، وأن ليست العبرة إلا بجزاء الله في ذلك العالم وأن ليس له أن يفوز بالنجاة والسعادة في ذلك العالم إلا بأن يتبع قانون الله ويلتزم ما وضع من الحدود لحياته في هذه الحياة الدنيا . والجزم والإيقان بهذه العقيدة هو المعبر عنه بالإيمان باليوم الآخر ، وهو القوة الثانية ، بعد الإيمان بالله ، تحرض الإنسان على اتباع قانون الإسلام والتزام حدوده ، وله يد وأي يد في إعداد الإنسان إعدادا فكريا لقبول الحضارة الإسلامية واتباعها ~ (ص ص ٢٨٤– ٢٨٦) .

تلك بعض آثار الإيمان وأركانه على الإنسان المستهدف بالتغيير وعلى الحضارة التي يبنيها ، مما يؤكد أهمية البدء بغرس الإيمان وتقويته في قلبه وعقله قبل الاعتناء بقدرته واستطاعته أو بعبارة أخرى بالعمل ومكوناته ، لأن العمل ما هو إلا نوع من السلوك الذي لا يصدر إلا عن معرفة مسبقة دفعت إليه وحددت وجهته .

إلا أن بعض مناهج التربية المعاصرة والمغايرة انشغلت بمكونات العمل مثل تقوية إرادة الإنسان وتنمية قدراته العقلية المختلفة حتى جعلته يمتلك القدرة على معطيات الكون من حوله ، وكل ذلك في معزل عن الخبرة الواسعة الصحيحة بمختلف أنواعها والمبثوثة في ثنايا نصوص الوحي الإلهي مصدر العلم الكلي، فلم ترى بأدواتها المحسوسة إلا الخبرة المادية الضيقة ، وغاب عنها الإيمان الحقيقي الدافع والذي يحقق كل ما سعت إليه من عمل ؛ إلا أنه عمل مؤمن مبارك فيه ؛ عمل مؤمن يصنع الحياة على وفق ما يحبه الله ويرضاه ووعد به قال تعالى : ﴿ مَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً

طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ [النحل ١٦/٩٧] .

إن الاعتناء بمكونات العمل الصالح – والذي هو الشرط الثاني للاستخلاف – مهم ، إلا أن الأهم منه الاعتناء بغرس الإيمان في القلوب ؛ لأنه الأساس الذي يقوم عليه وفي ذلك يقول سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ –١٩٧٨م) عند حديثه عن قوله تعالى : ﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾ ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٤] : ولا بد من الإيمان لتكون للعمل الصالح قيمته ، بل ليثبت للعمل الصالح وجوده . ولا بد من العمل الصالح لتكون للإيمان ثمرته ، بل لتثبت للإيمان حقيقته ~ (ج٤ ، ص ٢٣٩٧) .

ولذلك نجد أن نصوص الوحي السننية اعتنت أشد الاعتناء ببيان نوع العمل ؛ الصالح منه والسيئ ، لأن الهدف هو إرشاد الإنسان إلى العمل الصالح الذي يحقق له الاستخلاف (٥٤) ومع ذلك لم تُغفل مكونات العمل المتعددة مثل الإرادة والقدرة وغيرها والكامنة في الإنسان في

(٥٤) لأن الحكم على نوع العمل من جهة كونه صالحا أو سيئا يعود إلى مصادر الثقافة الإسلامية وليس إلى العقل ، لأن وظيفة العقل التدبر في علة الحكم ؛ وإن لم يصل إليها –أي العلة – فليس عليه إلا الاستسلام والامتثال لحكم مصادر الثقافة الإسلامية ، ولذلك فإن تنمية القدرات العقلية مهم من جهة أداء دورها في التدبر والتفكر . ومما يؤكد ذلك أيضا واقع الحضارات المعاصرة غير الإسلامية حيث أنمت في إنسانها قدراته العقلية ولكنه مع ذلك مازال يقع في أقبح الأعمال وأشنعها مثل فاحشة الزنا والتي عوقب بسببها بسلسلة من الأمراض وآخرها مرض الإيدز فلم يرشده عقله بالامتناع عنها ؛ ولذلك كان بيان نوع العمل أهم من تنمية مكوناته .

استعداداته وطاقاته وقدراته والقابلة للاستخدام والنمو فطريا ولكن بحسب الدافع الذي يوجهها وينهضها . فإن كان الباعث هو الإيمان والشعور بالمسؤولية حسن اتجاهها واستخدامها وكان العمل صالحا ، وإن كان الهوى والشيطان ساء اتجاهها واستخدامها وكان العمل سيئًا .

بالإضافة إلى ذلك فإن أهمية الاعتناء بمكونات العمل تعود إلى الغاية التي يراد تحققها منها ، فمثلا تنمية القدرات العقلية بمختلف مستوياتها – من الحفظ إلى التحليل والتركيب – ضرورة لإنجاز العمل ومن مكوناته الرئيسة ، ولكن ليس الغرض من تنميتها لذاتها وإنما للغاية التي ترجى منها والتي تتمثل في تعقل العمل الصالح ، ولذلك لم يرد في القرآن الكريم الإشارة إلى « العقل » إلا من خلال وظيفته أو العملية التي يجريها ، وهذا ما قرره الكردي (١٤١٢هـ–١٩٩٢م) بقوله :

> فالقرآن مثلا لم يتحدث ولا في كلمة واحدة عن العقل بصيغة العقل ، وإنما ذكر التعقل أي الوظيفة أو العملية التي هي : تعقلون ويعقلون وعقلوه ونعقل ... كما ذكر القرآن كذلك وظائف للعقل مثل : التذكر والتفكر والنظر والذكر والفقه والتدبر ، لتدل كلها على ما يدل على التعقل ، من وظائف الإنسان ~ (ص ص ٦٠٤–٦٠٥) .

ولتحقيق تلك الوظائف أو العمليات للعقل استهدف القرآن الكريم غرس الإيمان في قلب الإنسان لأنه الأساس الذي يبنى عليه العمل الصالح وبالتالي الأساس لمكوناته والتي منها « العقل المؤمن » ؛ وعليه فإن بيان نوع العمل الصالح المؤسس على الإيمان هو الغاية الأهم .

ومن النصوص السننية المشيرة إلى الأعمال الصالحة ما يلي :-

١- قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠٥] .

٢- قال تعالى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَأَجْرُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يوسف ١٢/٥٦-٥٧] .

٣- قال تعالى : ﴿ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾ لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ ﴾ [الجن ٧٢/١٦-١٧] ، وفيها يرى سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ – ١٩٧٨م) أنها تحتوي على حقيقة الارتباط بين استقامة الأمم والجماعات على الطريقة الواصلة . وبين إغداق الرخاء وأسبابه وأولها توافر الماء وما له من أهمية عمرانية وارتباطه بالتمكين في الأرض (ج٦ ، ص ٣٧٣٤) .

تلك بعض الآيات السننية المشتملة إلى نماذج من الأعمال الصالحة وهي : العبادة ، الصلاح ، الإحسان ، الاستقامة .

وأما من نصوص السنة النبوية المطهرة فمنها ما رواه ابن حبان – ت ٢٤٥هـ رحمه الله تعالى – (في الفارسي – ت ٧٣٩هـ –، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م) عن أبي كثير السحيمي عن أبيه – رحمهما الله تعالى – قال : سألت أبا ذر ﷺ قلت : دلني على عمل إذا عمل العبد به دخل الجنة ؟، قال [أبو ذر ﷺ]: سألت عن ذلك رسول الله ﷺ فقال : « يؤمن بالله ، فقلت : يا رسول الله إن مع الإيمان عملا ، قال : « يرضخ مما رزقه الله » ، قال : وإن كان معدما لا شيء له ، قال : « يقول معروفا بلسانه » ، قال : قلت ، فإن كان عييا لا يبلغ عنه لسانه ، قال : « فيعين مغلوبا » ، قلت : فإن كان ضعيفا لا قدرة له ، قال : قال : « فليصنع لأخرق»، قلت : وإن كان أخرق ، قال : فالتفت إلي وقال : « ما تريد أن تدع في صاحبك شيئًا من الخير ، فليدع الناس من أذاه » ، فقلت : يا رسول الله إن هذه كلمة تيسير ، فقال ﷺ : والذي نفسي بيده ما من عبد يعمل بخصلة منها يريد بها ما عند الله إلا أخذت بيده يوم القيامة حتى تدخله الجنة » (ح ٣٧٣) ، قال محققه شعيب الأرنؤوط : الرضخ : العطية القليلة ، والأخرق : من ليس في يده صنعة ، والحديث أخرجه الحاكم ١/٦٣ من طريق العباس بن الوليد عن أبيه الوليد عن الأوزاعي بهذا الإسناد وصححه ، ووافقه الذهبي (ج ٢ ، ص ٩٦) .

بتأمل هذا النص النبوي الشريف القائم على أسلوب الحوار التعليمي نلحظ سعة تقرير الهادي البشير ﷺ لدائرة العمل الصالح والقائم على مبدأ الفروق الفردية ، كما نلحظ إشارة النبي ﷺ إلى أن الدافع إلى العمل الصالح إنما هو الخير الكائن في النفس الإنسانية والذي إن حرمت منه حرمت من كل عمل صالح يمكن أن يصدر عنها .

إن النفوس التي تغلّب فيها الشر على الخير ، وبُنيت اتجاهاتها على أساسه ، ونمت طاقاتها وقدراتها واستعداداتها في محضنه ، لا يصدر عنها إلا كل عمل سيئ – وإن بدى في أوج زخرفه – فهو يصدع بنيان الإنسان وحضارته ، ولذلك بينت النصوص السننية أنواع العمل السيئ والآثار المترتبة عليه من أجل تجنبه والحذر منه ، ومن تلك النصوص ما يلي :–

١– قال تعالى : ﴿ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّن لَّكُمْ وَأَرْسَلْنَا ٱلسَّمَآءَ عَلَيْهِم مِّدْرَارًا وَجَعَلْنَا ٱلْأَنْهَٰرَ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنۢ بَعْدِهِمْ قَرْنًا ءَاخَرِينَ ﴿٦﴾ ﴾ [الأنعام ٦/٦] .

٢– قال تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ [الأعراف ٧/٩٦] .

٣– قال تعالى : ﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الروم ٣٠/٩] .

تلك بعض الآيات السننية المشتملة على نماذج من الأعمال السيئة وهي : الذنوب ، عدم الإيمان والتقوى ، تكذيب الرسل ، الظلم .

وقد كان الرسول ﷺ شديد الحرص على تحذير أمته من كل عمل سيئ ينزع منها بركتها ويؤدي بها إلى الهلاك ، ومن ذلك ما رواه مسلم – ت ٢٦١هـ رحمه الله تعالى – (١٩٧٢م) أن زينب بنت جحش رضي الله عنها زوج النبي ﷺ سألته فقالت : يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون ؟ ، قال : « نعم إذا كثر الخبث » (ح ٢٨٨٠) . قال النووي – ت ٦٧٦هـ رحمه الله تعالى – (في مسلم ، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م) عند شرحه للحديث : الخبث هو بفتح الخاء والباء وفسره الجمهور بالفسوق والفجور ، وقيل المراد الزنا خاصة ، وقيل أولاد الزنا ، والظاهر أنه المعاصي مطلقا ، ... ، ومعنى الحديث أن الخبث إذا كثر فقد يحصل الهلاك العام وإن كان هناك صالحون ~ (ج١٨ ، ص ص ٣–٤) .

وكذلك ما رواه ابن ماجة – ت ٢٧٥هـ رحمه الله تعالى (د . ت) أن رسول الله ﷺ قال : « يا معشر المهاجرين خمس إذا ابتليتم بهن وأعوذ بالله أن تدركوهن لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن مضت في أسلافهم الذين مضوا ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المئونة وجور[الظلم والميل عن الحق] السلطان عليهم ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر [المطر] من السماء ولولا البهائم لم يمطروا ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط الله عليهم عدوا من غيرهم فأخذوا بعض ما

في أيديهم وما لم تحكم أئمتهم بكتاب الله ويتخيروا مما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم » (ح٤٠١٩) .

وكذلك ما رواه مالك – ت ١٧٩هـ رحمه الله تعالى (١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م) أن النبي ﷺ قال : « ما ظهر الغلول [الخيانة] في قوم قط إلا ألقي في قلوبهم الرعب ولا فشا الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا قطع عنهم الرزق ولا حكم قوم بغير الحق إلا فشا فيهم الدم ولا ختر [غدر] قوم بالعهد إلا سلط الله عليهم العدو » (كتاب الجهاد ، ح٢٦) .

وكذلك ما رواه أحمد – ت ٢٤١هـ رحمه الله تعالى – (١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م) أنه ﷺ قال : « ... وإياكم والغلو [التشدد] في الدين فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين » (ح١٨٥١) ، وقال المحقق أحمد شاكر – ت ١٣٧٧هـ رحمه الله تعالى – : إسناده صحيح ~ (ج٣ ، ص ٢٥٧) .

وكذلك ما رواه مسلم – ت ٢٦١هـ رحمه الله تعالى – (١٩٧٢م) أن رسول الله ﷺ قال : « اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم » (ح٢٥٧٨) . قال النووي – ت ٦٧٦هـ رحمه الله تعالى – (في مسلم ، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م) عند شرحه للحديث : قوله ﷺ « واتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم » قال القاضي : يحتمل أن هذا الهلاك هو

الهلاك الذي أخبر عنهم به في الدنيا بأنهم سفكوا دماءهم ، ويحتمل أنه هلاك الآخرة وهذا الثاني أظهر ، ويحتمل أنه أهلكهم في الدنيا والآخرة . قال جماعة : الشح أشد من البخل وأبلغ في المنع من البخل ~ (ج١٦ ، ص ١٣٤) .

وكذلك ما رواه مسلم أيضا (١٩٧٢م) أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه لما قدم أبو عبيده رضي الله عنه بشيء من البحرين : « فأبشروا وأملوا ما يسركم فوالله ما الفقر أخشى عليكم ولكني أخشى عليكم أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها ، وتهلككم كما أهلكتهم » وفي رواية « وتلهيكم كما ألهتهم » (ح ٢٩٦١) .

لقد حوت هذه النصوص النبوية السننية على نماذج عدة من الأعمال السيئة ؛ مثل : الخبث ، ظهور الفاحشة ، نقص المكيال والميزان ، منع الزكاة ، نقض عهد الله ورسوله ، الحكم بغير ما أنزل الله ، الغلول ، الزنا ، الغلو في الدين ، الظلم ، الشح ، التنافس على الدنيا .

إن بيان نصوص الوحي المتقدمة لنوعي العمل الصالح والسيئ له أثره على النفس الإنسانية المؤمنة حيث تكون نحوها اتجاهاتها السلبية والإيجابية – بحسب نوع العمل – ومن ثم تسعى إلى سلوك كل عمل صالح بدافع الإيمان الراسخ في قلبها .

ولذلك كان بيان نوع العمل مقدم على تنمية مكوناته – مع أهميتها – ، وهذا يحتم على نظام الإسلام في التربية أن يجعل من أهدافه العامة توعية الإنسان المسلم بالأعمال الصالحة ليتجه إليها ويحفز طاقاته وقدراته واستعداداته الكامن فيها مكونات العمل الصالح .

ونظراً لاتساع دائرة العمل الصالح بالإضافة إلى حجم الجهد الذي يجب بذله للتمكين للأمة الإسلامية في وقتها المعاصر وضع المخلصون من أبنائها مبادئ وضوابط تقدر بها أهمية كل عمل في ضوء فقه الأولويات ، ومن أولئك القرضاوي (١٤١٥هـ-١٩٩٥م ، ص ص ٩٩-١٢٦) حيث ذكر جملة من الضوابط وهي :-

١- أولوية العلم الدائم على العمل المنقطع .

٢- أولوية العمل المتعدي النفع على القاصر .

٣- أولوية العمل الأطول نفعا والأبقى أثرا .

٤- أولوية العمل في زمن الفتن عنه في سائر الأزمان .

٥- أولوية عمل القلب على عمل الجوارح .

٦- اختلاف الأفضل باختلاف الزمان والمكان والحال .

ومن أولئك أيضا الكيلاني (١٤١٧هـ-١٩٩٧م ، ص ص ٦٤-٦٨) حيث ذكر جملة من المبادئ وهي :-

١- تكامل مظاهر العمل وعدم فاعلية أي منها دون الآخر .

٢- أن العمل الصالح لا يقتصر على جلب الخير النافع وإنما يتعداه إلى محاربة الشر الضار [المسؤولية عن عمل الغير] .

٣- إن العمل الصالح من حيث صفته ينقسم إلى قسمين : عمل أخلاقي ، وعمل ناجح ، واجتماع الصفتين أمر ضروري في التربية الإسلامية [لكي يكون العمل] نافعا غير ضار ، جالبا للسعادة والاستقرار .

٤- مبدأ النفعية ؛ أي أن العمل مقصود به منفعة العامل .

٥- ضرورة الإعداد والتربية والتدريب على « العمل الصالح » وتوفير بيئاته ومؤسساته وأساليبه ووسائله وخبراته .

إن توعية الإنسان المؤمن المعاصر بهذه المبادئ والضوابط له من الأهمية بمكان لتحديد ميادين العمل الصالح ذات الأولوية والتي ستؤدي - بإذن الله - إلى أن يشرق فجر جديد لحضارة إسلامية معاصرة تشهد على الأمم وتقودهم إلى الخير والسعادة .

واستخلاصا مما سبق فإن الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية والتي أمكن تحديدها في ضوء سنن الله ﷻ في التمكين هي :-

١- غرس الإيمان في قلب الإنسان ليجني ثماره والتي منها إطلاق طاقاته وقدراته واستعداداته وتوجهها نحو الخير . ووسيلته في ذلك ربط المسلم بكتاب ربه لأنه هو السبيل إلى غرس الإيمان في قلبه . وهذا الربط يستلزم تقوية أواصر المسلم باللغة العربية .

٢- تعريف الإنسان أن غايته العظمى في الحياة ابتغاء مرضاة الله تعالى ورضوانه وسبيل تحقيق ذلك :-

أ- أن ينال معرفة صحيحة بالله تبارك وتعالى .

ب- وأن لا يرى في أحد غير الله آمرا ولا ناهيا ولا حاكما ولا مطاعا على الإطلاق ويجعل حريته الذاتية تابعة لأحكامه تعالى .

ج- وأن يتعرف على الطرق والوسائل التي يستطيع بها أن ينال مرضاة الله ، ثم لا يقضي كل حياته إلا تبعا لها وبالتعرف عليها .

د- وأن يتعرف على ثمرات مرضاة الله وعواقب عدم مرضاته حتى لا يغتر بالنتائج الناقصة الظاهرة لأعماله وأقواله في هذه الحياة الدنيا .

٣- تعريف الإنسان بالعمل الصالح ، والعمل السيئ ، وأن الحكم على العمل من حيث الحسن أو القبح إنما هو للمذهبية الإسلامية ومصادرها ،ومن ثم توعيته بالآثار المترتبة على القيام بكل منهما ، لتتكون لديه اتجاهات إيجابية وسلبية نحوهما على أساس الإيمان العامر في قلبه ، وتحثه على القيام بالعمل الصالح وممارسته في ضوء المبادئ والضوابط المبنية على فقه الأولويات في عصره ، مع مساعدته على تنمية طاقاته وقدراته واستعداداته المتضمنة لمكونات العمل الصالح ، وتهيئة الأجواء له لكي يمارسه بحرية .

ويبقى السؤال المهم والتالي لكل هدف يحدد ما ثلا لتجيب عليه دراسات تربوية أخرى ؛ ألا وهو : كيف تحقق هذه الأهداف في عالم الواقع من خلال نظرية النظم ، ووفق إجرائية علم التغيير التربوي ، وما دور المحاضن التربوية المتعددة في تحقيقها ؟ .

الأهداف المستمدة من سنة الله في التدافع الحضاري

التدافع بين الناس باق ما بقية الحياة ، وعلى أيديهم تجري فعالياته بقدر الله تعالى ، ولكل منهم دوافع واتجاهات عدة تحركه ، ويحكم على نوع العمل أو السلوك الصادر عنها – أي الدوافع والاتجاهات – بموجب معيار الحق والباطل في مصادر الثقافة الإسلامية ، قال تعالى : ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ [البقرة ٢/٢٥١] وفي ظلها يقول سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) :

> [تبرز هذه الآية] حكمة الله العليا في الأرض من اصطراع القوى وتنافس الطاقات وانطلاق السعي في تيار الحياة المتدفق الصاخب الموار ، وهنا تتكشف ...ساحة الحياة ... تموج بالناس ، في تسابق وزحام إلى الغايات . . ومن ورائها جميعا تلك اليد الحكيمة المدبرة تمسك بالخيوط جميعا ، وتقود الموكب المتزاحم المتصارع المتسابق ، إلى الخير والصلاح والنماء ، في نهاية المطاف...يكون بقيام الجماعة الخيرة المهتدية المتجردة . تعرف الحق . . . وتعرف طريقها إليه واضحا ، وتعرف أنها مكلفة بدفع الباطل وإقرار الحق في الأرض ~ (ج١ ، ص ٢٧٠ بتصرف) .

ولا سبيل إلى أن ينجح حملة لواء الحق في مدافعة الباطل وإزهاقه إلا إذا كانوا من حزب الله تعالى ، الذين جعلوا الإيمان دافعهم ، والعمل الصالح عدتهم ، ومدافعة الباطل مسؤوليتهم .

وفي وقتنا المعاصر تعيش الإنسانية انفتاحاً حضارياً مزق حاجز الحرية باختراق دائرة الخصوصية الحضارية ، حيث أوجد نوعاً من التدافع الهادئ ، ذا الأساليب الأشد خطراً ، والأمضى فتكاً ، من أساليب التدافع العنيف القائم على الرغبة في محو الآخر وإلغائه وإزالته بالكلية ، أساليب تشوه في النفس الإنسانية فطرتها ، وتذهب خيرها وصفائها وضيائها ،أساليب تحفز على عبادة الهوى واتباع الشهوات ، بعد أن غرست الشكوك وأقامت الشبهات ، أساليب تروم الإضعاف لا المحو ؛ لتحقق التبعية والاستغلال ، ومع ذلك ما زال التدافع العنيف قائما يلجأ إليه إن غلبت الحيلة وفشل المكر .

عندما تعيش أمتنا الإسلامية المعاصرة – أمة الحق – تحت ظروف الضغط الحضاري لأمة الباطل المتحدة حين يتداعون عليها كما يتداعى الأكلة إلى قصعتها من على منابرهم ، وذلك مصداق حديث رسول الله ﷺ والذي رواه أبو داود – ت ٢٧٥هـ رحمه الله تعالى – (في العظيم آبادي —ت ١٣٢٩هـ رحمه الله تعالى – ، ١٣٨٩هـ–١٩٦٩م) حيث يقول المصطفى ﷺ فيه : « يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها » ، فقال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ، قال : « بل أنتم يومئذ كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم ، وليقذفن الله في قلوبكم الوهن » ، فقال قائل : يا رسول الله وما الوهن ؟ ، قال : « حب الدنيا وكراهية الموت » (ح٤٢٧٦) ، وفي رواية عند أحمد – ت ٢٤١هـ رحمه الله تعالى – (د . ت) أنه ﷺ قال : « يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق » (ح٢٢٤٥٠) .

يتداعون نحو أمتنا الإسلامية لينالوا منها ، وتدافعهم قائم على استهداف إنسانها المسلم الذي بناها ، عندئذ لا مغيث لأمتنا إلا أن تلجأ إلى الله ﷻ لتتدبر من سننه ﷻ ما جاء في مدافعة الحق والباطل ، وتتبين بها معالم الطريق الذي يخرجها من قهر الضغط الحضاري الذي تشعر به ، ومن الغربة الحضارية التي أحاطت بها بين بقية الحضارات المعاصرة ، أما عزاءها في ذلك فحديث رسول الله ﷺ والذي رواه أحمد – ت ٢٤١هـ رحمه الله تعالى – (١٣٧٤هـ – ١٩٥٥م) والذي يقول فيه ﷺ : « طوبى للغرباء » ، فقيل : من الغرباء يا رسول الله ؟ ، قال : « أناسٌ صالحون في أناسِ سوءٍ كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم » (ح ٦٦٥٠) ، وقال المحقق أحمد محمد شاكر – ت ١٣٧٧هـ رحمه الله تعالى – : إسناده صحيح ~ (ج ١٠ ، ص ١٣٥) . وفي رواية عند الترمذي – ت ٢٩٧هـ رحمه الله تعالى – (١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م) أنه ﷺ قال : « ... إن الدين بدأ غريباً ويرجع غريباً فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي من سنتي » (ح ٢٦٣٠) ، وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ~ (ج ٥ ، ص ٢٠) .

تُدَبّرْ سنن الله في التدافع لتعيد تفعيل أنظمتها على نحو يمكنها من إعداد العدة لمواجهة باطل الحضارات المعاصرة امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ﴾ [الأنفال ٨/٦٠] ، وكل نظام منها بحسب مسؤوليته وأهدافه . ولكن لما أستهدف الباطل إنسانها المسلم لإضعافه ، وتشويه فطرته ، وتحقيق تبعيته ، وإغراقه في حمأة الهوى والشهوات ؛ تحتم على نظامها التربوي أن يحدد له أهدافا صالحة تعين على مواجهة تلك

الأهداف الباطلة ، وفي ضوء سنن التدافع والخاصة بإعداد إنسانها الذي هو سر كل قوة تعدها .

ومن النصوص السننية التي جاءت في موضوع التدافع قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ ﴾ [آل عمران ٣/١٣٩] . نزلت هذه الآية في أعقاب هزيمة غزوة أحد لتواسي المسلمين وتقويهم وتثبتهم ، وفي ظلها يقول سيد قطب – ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٨هـ–١٩٧٨م) :

> لا تهنوا – من الوهن والضعف – ، ولا تحزنوا – لما أصابكم ولما فاتكم – ، وأنتم الأعلون . . عقيدتكم أعلى ... ومنهجكم أعلى ... ودوركم أعلى ... ومكانكم في الأرض أعلى ... فإن كنتم مؤمنين حقا فأنتم الأعلون . وإن كنتم مؤمنين حقا فلا تهنوا ولا تحزنوا ، فإنما هي سنة الله أن تصابوا وتصيبوا ، على أن تكون لكم العقبى بعد الجهاد والابتلاء والتمحيص ~ (ج ١ ، ص ٤٨٠ بتصرف) .

تؤكد هذه الآية الكريمة على أن الإيمان الكامل هو شرط الاستخلاف والتمكين والذي لابد وأن يسبقه الابتلاء والتمحيص بمدافعة الباطل . كما أنها تغرس في نفوس المؤمنين أحاسيس الاستعلاء ومشاعر العزة والكرامة ، وهي أحاسيس ومشاعر تصون نفوسهم من الوهن والحزن اللذان هما أولى خطوات التبعية والعجز عن المدافعة مع توفر القوة . كما أنها تصون نفوسهم مما هو أقل من التبعية ؛ تصونها من الميل ومد النظر إلى أهل الباطل ومتاعهم بالإعجاب .

ومن النصوص السننية في موضوع التدافع قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿١١٣﴾ ﴾ [هود ١١/١١٣] قال الزمخشري – ت ٥٣٨هـ رحمه الله تعالى – (١٣٩٢هـ-١٩٧٢م) في تفسيرها :

> ولا تركنوا ... من أركنه إذا أماله . والنهي متناول للانحطاط في هواهم ، والانقطاع إليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا بأعمالهم ، والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين إلى زهرتهم ، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم . وتأمل قوله : ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ ﴾ فإن الركون هو الميل اليسير ، وقوله : ﴿ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ﴾ أي إلى الذين وجد منهم الظلم ، ولم يقل إلى الظالمين ~ (ج ٢ ، ص ٢٩٦) .

إن الظلم عمل سيئ ، وقد يكون فاعله مسلماً فَجَرَ في عمله ، ولكن من حمل على عاتقه تشويه النفس الإنسانية في فطرتها ليوقعها في حمأة الهوى والشهوات ويطفئ بذلك بريق حضارتها المسلمة ؛ فهو من أعظم الناس ظلما ولذا استحق وعيد الله له ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ﴾ [النور ٢٤/١٩] ، ولذلك كان التحذير من الركون إليه أشد وألزم سواءٌ أكان مسلما أم كافرا لاشتراكهما في الظلم العظيم المتمثل في تشويه النفس الإنسانية .

إن الانفتاح الحضاري في وقتنا المعاصر والذي أوجد اختراقا واسعا لخصوصيتنا الحضارية – من خلال وسائل الاتصال المختلفة – أصاب النظام التربوي للمسلم المعاصر في البيئة المحيطة بمكوناته ؛ مما أوجد اضطراباً في العملية التربوية ، لا سيما إذا كان الإنسان المستهدف بالتربية ضعيف الإيمان ، فما تبنيه العملية التربوية بمختلف مؤسساتها تهدمه وسائل الإعلام الخارجية الغازية – وربما المحلية ! – . وهذا بدوره يوجد مظاهر من الركون تتمثل في تقليد واتباع العادات والتقاليد والثقافات الغازية .

ولخطورة الركون إلى الباطل وأهله جاءت العديد من الآيات القرآنية تعزز البراءة من الباطل [٥٥] بكرهه والنفور منه بكل أشكاله ، ومنها ما يلي :–

١– قال تعالى : ﴿ لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةًۗ ﴾ [آل عمران ٣/٢٨] .

٢– قال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ

---

[٥٥] من الدراسات القيمة في موضوع الولاء والبراء دراسة : القحطاني ، محمد ، سعيد ، سالم – (١٤٠٤هـ) ، **الولاء والبراء في الإسلام من مفاهيم عقيدة السلف** ، ط ٢ ، الرياض : دار طيبة . تناول فيها أثر التربية والتعليم والإعلام في تعميق قيمة الولاء والبراء ، وعرض المخططات المستهدفة لزعزعته في النفوس في بعض بقاع العالم الإسلامي من خلالها (ص ص ٣٩٧–٤٠٨) .

وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ ﴾ [آل عمران ٣/ ١١٨] .

٣- قال تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾ ﴾ [آل عمران ٣/ ١٤٩-١٥٠] .

٤- قال تعالى : ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [المجادلة ٥٨/ ٢٢] .

تلك جملة من النصوص الواردة في موضوع التدافع والتي تؤكد على أهمية بناء حاجز نفسي لدى أهل الحق نحو أهل الباطل ، يصونهم من شرورهم ، ويحفظ عليهم خصوصيتهم ووجودهم ، مهما أوتوا من امتلاك للقوة والقدرة على النفوذ والتأثير . ومن ثم فإن من أهداف نظام الإسلام في التربية بناء ذلك الحاجز النفسي لتصون إنسانها المستهدف من مخترقات البيئة التي تحيط به فيستعلي بإيمانه عليهم بالكلية ، وإن تعامل معهم أو أخذ عنهم فعلى حذر

شديد ، يعرض ما يصل إليه منهم على ميزان الإيمان ، فيأخذ عنهم ما أصابوا فيه ويرد عليهم سواه .

ومن النصوص السننية المهمة الواردة في موضوع التدافع قوله تعالى : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَـٰبَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ كَـٰفِرِينَ ﴿١٠٠﴾ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ ۗ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران ٣/١٠٠-١٠٣] ، وما أروع تعليق سيد قطب - ت ١٣٨٧هـ رحمه الله تعالى - (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) على هذه الآيات حيث يقول :

> يحذر [الله ﷻ] الأمة المسلمة من اتباع غيرها ، ويبين لها كذلك طريقها لإنشاء الأوضاع الصحيحة . ويبدأ بتحذيرها من اتباع أهل الكتاب ، وإلا فسيقودونها إلى الكفر لا مناص .
>
> إن طاعة أهل الكتاب والتلقي عنهم ، واقتباس مناهجهم وأوضاعهم ، تحمل ابتداء معنى الهزيمة الداخلية ، والتخلي عن دور القيادة الذي من أجله أنشئت هذه الأمة المسلمة . كما تحمل معنى الشك في كفاية منهج الله لقيادة الحياة وتنظيمها والسير بها

صعدا في طريق النماء والارتقاء . وهذا بذاته دبيب الكفر في النفس ، وهي لا تشعر به ولا ترى خطره القريب ...

وبعد هذا التحذير ... ينادي الله الجماعة المسلمة ويوجهها إلى القاعدتين الأساسيتين اللتين تقوم عليهما حياتها ومنهجها ... هما : الإيمان . والأخوة . الإيمان بالله وتقواه ومراقبته في كل لحظة من لحظات الحياة ، والأخوة في الله ، تلك التي تجعل من الجماعة المسلمة بنية حية قوية صامدة ، قادرة على أداء دورها العظيم في الحياة البشرية ، وفي التاريخ الإنساني ؛ دور الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . وإقامة الحياة على أساس المعروف وتطهيرها من لوثة المنكر ~ (ج ١ ، ص ص ٤٣٨-٤٤١ بتصرف) .

بتأمل الآيات الكريمة وما قيل فيها ندرك أن الإيمان والأخوة هما القاعدتان الأساسيتان اللتان تقوم عليهما الجماعة المسلمة ، بل يمكن القول استنادا إلى ما تقدم في سنن الله ﷻ في التمكين أن للحضارة الإسلامية أسس ثلاث تقوم عليها هي : الإيمان ، والعمل الصالح ، والأخوة . وقد تقدم الحديث عن الإيمان والعمل الصالح .

أما الأخوة الإسلامية أو ما يمكن تسميته بالوحدة الإسلامية فقد بين الأنصاري (١٤١٥هـ-١٩٩٤م) المراد منها بقوله : المراد بالوحدة الإسلامية : أنه الاتحاد الخالص السليم من العيوب والافتراق والاختلاف والنزاع بين المسلمين الذين وحدوا الله تعالى بالعبودية وإفراده بالخوف والرجاء والخضوع والخشية وسلمت صدورهم وأقوالهم وأفعالهم من الانقياد لغير الله تعالى ~ (ج ١ ، ص ٢٢) .

ولقد جاءت آيات كثيرة في القرآن الكريم تدعوا إلى الوحدة وتنهى عن التفرق ؛ لأنه سبب للضعف الذي يطمّع الأعداء ، ومنها قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ [الأنفال ٤٦/٨] ، وقوله جل ذكره : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ ﴾ [آل عمران ١٠٥/٣] ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣ ﴾ [الأنفال ٤٣/٨] .

إن الانحسار الحضاري الذي تعاني منه أمتنا الإسلامية في وقتها المعاصر يجعل وحدتها الإسلامية ضرورة لاستعادة مكانتها والقيام بدورها ، ولذلك فإن من أهداف نظام الإسلام في التربية غرس الإحساس في نفس الإنسان المسلم المعاصر والمستهدف بالتربية بأهمية الوحدة وذم التفرق [٥٦] ، وتتخذ لتحقيقه كل الوسائل الممكنة ، لا سيما وأن الفروق الفردية بين بني الإنسان توجد نوعا من التعدد ؛ ولكنه مقبول ما زال في حدود التنوع ولم يصل إلى درجة التضاد ، فإن أصبح سببا للتعارض والتناقض المذموم تغلبت الرغبة في الوحدة على

[٥٦] من الدراسات الجادة والمعينة على وضع آلية محددة لمجابهة مظاهر الخلاف والتفرق ؛ الدراسة النفسية التي أعدها الدكتور عبد المنعم شحاتة ونشرها في مجلة المسلم المعاصر على ثلاث حلقات متتالية ابتداء من العدد (٨٣) سنة (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ، تناول فيها موضوع الاختلاف من جهة كونه من السنن الإلهية ثم تناول أسبابه بين المسلمين وأخيرا آليات تقليله بينهم .

النزوة إلى التفرق ، وهذا ما يؤكده شحاته (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) عند تعداده للأسباب التي تجعل الوحدة ضرورة للبقاء حيث يقول :

> ويجب أن تظل هذه التعددية تعدد تنوع وتخصص ، لا تعدد تعارض وتناقض ، وعلى الأفراد المتباينين أن يتوحدوا ويتكاملوا ، لعدة أسباب :-
>
> ١- أن هذا التوحد يأتي استجابة لميل كل منهم الفطري للاجتماع بالآخرين والرغبة في العيش وسط جماعة ، والتنازل عن بعض جوانب تفرده مقابل إشباع هذا الميل بالبقاء عضوا بهذه الجماعة .
>
> ٢- أن توحد الأفراد في جماعة يقدم إشباعا لحاجة كل منهم إلى الانتماء لآخرين يشاركونه الاهتمامات والميول .
>
> ٣- أن وحدة الأفراد معا يعد تحقيقا للهدف – وهو [وحدة الأمة] – ، وتعد الوحدة هدفا في حد ذاتها ؛ لأنها تيسر الحياة وتمكن الفرد من الوصول إلى أقصى أداء يستطيعه ... إذا تم في إطار جماعة .
>
> ٤- أن الصراع والاختلاف يعد وصفا غير مريح للفرد ومصدر ألم بالغ الشدة ، حتى المخالفة في الرأي .
>
> ٥- [وهو الأهم] أن على أفراد هذه الأمة الإسلامية أن يتوحدوا ويتعاونوا ؛ لأن الله ﷻ طلب منهم ذلك [ورسوله ﷺ] .
>
> ٦- أن بقاءهم كأمة إسلام كلفوا بقيادة العالم وذلك بأمر سكانه بالمعروف ونهيهم عن المنكر [مرهون]

بتآلف قلوبهم وتكامل جهودهم ~ (ص ص ١٢٤–١٢٦ بتصرف) .

واستخلاصا مما سبق فإن الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية والتي أمكن تحديدها في ضوء سنن الله ﷻ في التدافع الحضاري هي :

١- ضرورة غرس الإيمان في قلب الإنسان لأنه الأساس الأول في التدافع الحضاري ، كما أنه الأساس في التمكين .

٢- تنمية أحاسيس الاستعلاء بالإيمان ومشاعر العزة والكرامة في نفس المسلم المعاصر ، لتوجد تلك الأحاسيس والمشاعر حاجزاً نفسياً بينه وبين الباطل وأهله ، فيكون واقياً له – بإذن الله تعالى – من كل أنواع الاختراقات المعنوية والمادية .

٣- غرس الإحساس بأهمية الوحدة الإسلامية في نفس المسلم المعاصر ، لأنها السبيل إلى كل عمل جماعي صالح مثمر يعود على الحضارة الإسلامية المعاصرة بالبقاء والنماء .

ويبقى السؤال المهم والتالي لكل هدف يحدد ماثلا لتجيب عليه دراسات تربوية أخرى ؛ ألا وهو : كيف تحقق هذه الأهداف في عالم الواقع من خلال نظرية النظم ، ووفق إجرائية علم التغيير التربوي ، وما دور المحاضن التربوية المتعددة في تحقيقها ؟ .

الخاتمة

- الخلاصة
- التوصيات

الخاتمة

وعند التمام أحمد الله سبحانه وتعالى على تيسيره ومنّه ، راجيا منه التوفيق والسداد ، مقرا بأن ما أصبت فيه منه جل جلاله فهو ولي كل نعمة ، وما أخطأت فيه فمني ومن الشيطان ، والله ورسوله منه بريئان .

وأضع بعد الانتهاء من الدراسة خلاصة ما جاء فيها :-

الخلاصة

١- خرجت الدراسة بوضع مفهوم للتربية مستندا إلى طبيعة الإنسان وحقيقته من منظور الثقافة الإسلامية وهو : **« هي تلك العمليات التربوية المستهدفة للإنسان خلال جميع مراحل عمره والتي تنتهج طرائق وأساليب تحافظ بها على سلامة فطرته الإنسانية ، وتعمل على تنمية طاقاته والسمو بدوافعه من أجل تأهيله بالوعي اللازم لأداء دوره المهم في الحياة ، سواءٌ أكان منفرداً أم في جماعة ، كما تحصنه من أن يؤتى من قبل ضعفه فيسقط في مهاوي الردى ، وكل ذلك في وسطية تنال كل أبعاده الجسدية والروحية والعقلية »** .

٢- أكدت الدراسة على أن النظام التربوي هو أحد أهم الأنظمة التي تشكلها الحضارات لأنه يستهدف إنسانها الذي يبنيها ، وبالتالي من المهم جدا أن تتساند كل النظم وتتعاضد معه لتحقيق أهدافه . ويجب ضمان ذلك - نظرا لأهميته -

من خلال منح النظام التربوي صلاحية الاحتساب على أنشطة المؤسسات التنفيذية لضمان عدم صدور أنشطة لها تعارض أهدافه وتأثر عليه سلبا .

٣- خرجت الدراسة بوضع مفهوم للهدف التربوي استنادا إلى نظرية النظم والتي تجعل الهدف أحد مدخلات النظام ؛ وهذا المفهوم هو : « كل قرار يُتخذ لصالح الإنسان المستهدف بالتربية ، وينصب العمل على تحقيقه بالوسائل الممكنة ، بغية الحفاظ على سلامة فطرته ، وتنمية طاقاته ، والسمو بدوافعه ، من أجل تأهيله بالوعي اللازم لأداء دوره المهم في الحياة ، سواءٌ أكان منفرداً أم في جماعة ، ولتحصينه من أن يؤتى من قبل ضعفه فيسقط في مهاوي الردى ، وكل ذلك في وسطية تنال كل أبعاده الجسدية والروحية والعقلية » .

٤- أوضحت الدراسة أن « التغيير » علم له آلياته وإجرائياته ، ويرتبط بكثير من ميادين الحياة ، حتى بالتربية ، لذلك تم وضع تعريف « للتغيير التربوي » وهو : « محاولة حث الإنسان المسلم على أن يجري تحولاً إرادياً على نفسه ليبدل حاله من مواقع القصور إلى التمام أو ليرقى في مستويات الكمال ؛ وذلك يشمل جميع أبعاد حقيقته الإنسانية . ويحثه على ذلك ما وقر في قلبه من يقين وبصيرة يحصلها من خلال المعرفة الإسلامية المبثوثة حوله ، ويتمثل صدق تحوله فيما يتبناه من اتجاهات وما يصدر عنه من سلوك ، وكل ذلك لأجل تفعيل دوره في الحياة والقيام بأمانته خير قيام » .

٥- بينت الدراسة أن الأمل هو الوقود الذي يغذي عملية التغيير ويدفع بها إلى أهدافها ، وله بواعث عدة في نفس الإنسان ؛ ومنها معرفته بسنن الله ﷻ في خلقه المادي والإنساني ، حيث تضمن تلك السنن نتائجها إذا اتخذت مقدماتها ، وبذلك يغدوا طريق التغيير أمامه واضحا جليا مضمون العواقب .

٦- حددت الدراسة الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية والتي أمكن تحديدها في ثنايا فصولها بعامة ، وفي ضوء سنن الله ﷻ في : « التغيير » و « التمكين » و « التدافع الحضاري » بخاصة ؛ وهي :-

أ- غرس الثقة في نفس المسلم المعاصر بذاته من خلال تعريفه بحقيقة نفسه من منظور الثقافة الإسلامية .

ب- بعث الأمل في نفسه من خلال تعريفه بسنن الله ﷻ في خلقه .

ج- تقوية صلته باللغة العربية لأنها وعاء حضارته ، فبها يتصل بكتاب ربه ويحسن تدبره ، وبها تنجح عملية الاتصال التربوية في النظام التربوي الذي يستهدفه بالتغيير .

د- توعية الإنسان بواقع أمته المعاصرة من حيث موقعها بين الحضارات الأخرى ليكون ذلك محرضا له يدفعه إلى السعي نحو تغيير حال أمته .

ه- توعية الإنسان بتبعة المسؤولية الملقاة على عاتقه وتعزيز شعوره بها أثناء جميع مراحل عمره من خلال الوسائل المناسبة لكل مرحلة .

و- تعريف الإنسان بأن لديه من الطاقات والقدرات والاستعدادات ما يعينه على القيام بحقوق تلك المسؤولية عندما يحسن تنميتها واستغلالها .

ز- غرس الإيمان في قلبه بأركانه الستة ليجني ثماره والتي منها إطلاق طاقاته وقدراته واستعداداته وتوجهها نحو الخير من خلال كل عمل صالح، كما أنه سبب لتمكينه واستخلافه في الأرض ، ووسيلته في ذلك ربط المسلم بكتاب ربه لما فيه من الوسائل الهادفة إلى إزكاء الإيماء .

ح- تعريف الإنسان أن غايته العظمى في الحياة ابتغاء مرضاة الله تعالى ورضوانه وسبيل تحقيق ذلك :-

- أن ينال معرفة صحيحة بالله تبارك وتعالى .
- وأن لا يرى في أحد غير الله آمرا ولا ناهيا ولا حاكما ولا مطاعا على الإطلاق ويجعل حريته الذاتية تابعة لأحكامه تعالى .
- وأن يتعرف على الطرق والوسائل التي يستطيع بها أن ينال مرضاة الله ، ثم لا يقضي كل حياته إلا تبعا لها وبالتعرف عليها .
- وأن يتعرف على ثمرات مرضاة الله وعواقب عدم مرضاته حتى لا يغتر بالنتائج الناقصة الظاهرة لأعماله وأقواله في هذه الحياة الدنيا .

ط- تعريف الإنسان بالعمل الصالح ، والعمل السيئ ، وأن الحكم على العمل من حيث الحسن أو القبح إنما هو للثقافة الإسلامية ومصادرها وليس للعقل نحوه إلا التفكر في علة الحكم عليه لعله يكتشفها وعلى الإنسان المكلف الامتثال لله تعبدا ابتغاء مرضاته بالقيام بالعمل الصالح المأمور به وتجنب السيئ المنهي عنه ، ومن ثم توعيته بالآثار المترتبة على القيام بكل منهما ، لتتكون لديه اتجاهات إيجابية وسلبية نحوهما على أساس الإيمان العامر في قلبه ، وتحثه على القيام بالعمل الصالح وممارسته في ضوء المبادئ والضوابط المبنية على فقه الأولويات في عصره ، مع مساعدته على تنمية طاقاته وقدراته واستعداداته المتضمنة لمكونات العمل الصالح ، وتهيئة الأجواء له لكي يمارسه بحرية .

ي-غرس أحاسيس الاستعلاء بالإيمان ، ومشاعر العزة والكرامة ، في نفسه لتوجد لديه حاجزاً نفسياً بينه وبين الباطل وأهله ، فيكون واقيا له – بإذن الله تعالى – من كل أنواع الاختراقات المعنوية والمادية لا سيما في وقتنا المعاصر .

ك- غرس الإحساس بأهمية الوحدة الإسلامية في نفسه ، لأنها السبيل إلى كل عمل جماعي صالح مثمر يعود على الحضارة الإسلامية المعاصرة بالبقاء والنماء .

٧- أن بيان نوع العمل الصالح أهم من تنمية مكونات العمل ؛ لأن استحسان العمل وتقبيحه يعود إلى نظرة مصادر الثقافة الإسلامية إليه ، وليس إلى القدرة العقليةß والتي هي إحدى مكونات العملß مع أهميتها حيث أن دورها التفكر والتدبر في علة الحكم على العمل مع الامتثال له .

التوصيات

١- من المهم جدا إنشاء مؤسسة تربوية مستقلة ذات سلطة تنفيذية عليا على جميع مؤسسات الدولة المسلمة الأخرى ، حيث تراقب أنشطتها المتعددة بحيث تضعها في إطار من التكامل والانسجام تتحقق به أهداف نظام الإسلام في التربية

.

٢- أن تتبنى مؤسساتنا وجامعاتنا الإسلامية مهمة بناء معايير القياس المناسبة بمختلف مجالاتها لحضارتنا الإسلامية والمنطلقة من الثقافة الإسلامية .

توصيات لبحوث مستقبلية

١- إجراء دراسة علمية تعمل على إبراز آلية تنفيذية تساعد الدولة المسلمة على تحقيق الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية من خلال تفعيل كافة نظمها ومؤسساتها المختلفة المنبثقة عنها في إطار من الانسجام والتكامل فيما بينها .

٢– إعداد دراسات علمية تكشف جهود بعض المؤسسات المشبوهة ذات الأنشطة المختلفة والتي تؤثر أو تتدخل بشكل مباشر أو غير مباشر في النظام التربوي والنظام التعليمي على وجه الخصوص كاقتراح أهداف له ، أو تقديم مناهج بديلة ، وربما تحت أهداف لا يرتاح لها كالتطوير ، أو التحسين ، أو المساهمة في التخطيط .

٣– إجراء دراسات علمية تبرز الدور المأمول أن تقوم به المنظمات الإسلامية المستقلة مثل : « رابطة الجامعات الإسلامية » و « رابطة العالم الإسلامي » و « منظمة المؤتمر الإسلامي » . . . وسواها ، في تفعيل النظام التربوي لأمتها من منظور الثقافة الإسلامية ، مع اقتراح الآلية التنفيذية التي يتحتم عليها سلوكها لتحقيق ذلك .

٤– إجراء دراسات علمية تبرز دور المقاصد العامة للشريعة الإسلامية في تحديد الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية .

٥– إجراء دراسات تربوية تهدف إلى الكشف عن الأساليب والوسائل المناسبة لتحقيق كل هدف عام لنظام الإسلام في التربية وتم تحديده في ضوء السنن الإلهية – وذلك من خلال نظرية النظم ، ووفق إجرائية علم التغيير التربويß ولا سيما

منها ما يتعلق بقضية «الإيمان» وأركانه الستة، حيث أن كل ركن من أركانه يستحق دراسة تربوية مستقلة .

٦- إجراء دراسات تربوية أخرى تستكمل فيها بقية نصوص السنن الإلهية وموضوعاتها المختلفة، وذلك لتحديد الأهداف التربوية العامة لنظام الإسلام في التربية في ضوئها .

تم بحمد الله وتوفيقه

﴿ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾ ﴾ [هود ١١/٨٨]

وصلى الله وسلم وبارك على المبعوث رحمة للعالمين

الفهارس

- فهرس الآيات القرآنية
- فهرس الأحاديث النبوية
- فهرس الأعلام
- فهرس المصادر والمراجع والدوريات

فهرس الآيات القرآنية

فهرس الأحاديث النبوية

فهرس الأعلام

ق

ك

ل

م

ن

هـ

و

ي

فهرس المصادر والمراجع والدوريات

١- القرآن الكريم

٢- أبو العينين ، علي ، خليل ، مصطفى ß (١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م) ، **أهداف التربية الإسلامية مصادر اشتقاقها ومعايير صياغتها للمجتمع الإسلامي المعاصر** ، ط ١ ، المدينة المنورة : مكتبة إبراهيم حلبي .

٣- أبو العينين ، علي ، خليل ، مصطفى ß (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، **منهجية البحث في التربية الإسلامية** ، مجلة رسالة الخليج العربي ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، العدد ٢٤ ، ص ص ٣-٣٣ .

٤- أبو خليل ، شوقي ß (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) ، **الحضارة العربية الإسلامية وموجز عن الحضارات السابقة** ، ط ١ ، دمشق : دار الفكر .

٥- أبو سليمان ، عبد الحميد ، أحمد ß (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) ، **أزمة العقل المسلم** ، ط ٢ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ß سلسلة المنهجية الإسلامية (١) .

٦- أبو صالح ، محب الدين ، أحمد ß (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) ، **تصور مقترح حول منهج البحث** ، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي تحت عنوان : «

المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية » والمنعقد في السودان في الفترة من ١٥-٢٠ جمادي الأولى ١٤٠٧هـ الموافق ١٥-٢٠ يناير ١٩٨٧م ، ط ٢ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص ص ٧٨١-٨٠٨ .

٧- أحمد ، مدهش ، علي ، خالد ß (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ، **الأهداف التربوية في القصص القرآني** ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى ، كلية التربية بمكة ، بحث مكمل غير منشور لنيل درجة الماجستير في التربية الإسلامية والمقارنة .

٨- أحمد ، ميرغني ، دفع اللهß (١٤٠٣هـß ١٩٨٣م) ، **المعجم الوجيز في المصطلحات التربوية** ، ط ١ ، الكويت : دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع .

٩- أحمد بن حنبلß (١٣٧٤هـß ١٩٥٥م) ، المسند ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، مصر : دار المعارف .

١٠- أحمد بن حنبلß (د . ت) ، **مسند الإمام أحمد بن حنبل** ، مصر : مؤسسة قرطبة .

١١- الأسمر ، أحمد ، رجبß (١٤١٧هـß ١٩٩٧م) ، **فلسفة التربية في الإسلام انتماء وارتقاء** ، ط ١ ، الأردنß عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع .

١٢- الأصفهاني ، الراغب (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ، **مفردات ألفاظ القرآن** ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، ط ١ ، دمشق : دار القلم ، بيروت : الدار الشامية .

١٣- الألباني ، محمد ، ناصر الدين (١٤٠٢هـ ١٩٨٢م) ، **صحيح الجامع الصغير وزيادته (الفتح الكبير)** ، ط ٣ ، بيروت : المكتب الإسلامي .

١٤- أمحزون ، محمد (١٤١٨هـ-١٩٩٧م) ، **العلم بالسنن الربانية** ، مجلة البيان ، بريطانيا : المنتدى الإسلامي ، السنة ١٢، العدد ١١٥ ، ، ص ص ٥٠-٥٥ .

١٥- أمزيان ، محمد ، محمد (١٤١٣هـ- ١٩٩٢م) ، **منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية** ، ط ٢ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٦- الأميري ، عمر ، بهاء الدين (١٩٨٣م) ، **الإسلام وأزمة الحضارة الإنسانية المعاصرة في ضوء الفقه الحضاري** ، ط ١ ، قطر الدوحة : مؤسسة الشرق للنشر والترجمة .

١٧- الأنصاري ، محمد ، محمد ، الأمين (١٤١٥هـ ١٩٩٤م) ، **منهج الكتاب والسنة في تحقيق الوحدة الإسلامية وأثره من الناحية التطبيقية** ، بيانات النشر : (بدون) ، وهو الذي أعدها لنيل درجة الدكتوراه ولعلها من الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

١٨- ابن تيمية ، أحمد ß (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) ، **مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية** ، جمع وترتيب : عبد الرحمن بن محمد بن قاسم العاصمي ، الرياض : دار عالم الكتب .

١٩- ابن عاشور ، محمد ، الفاضل ß (١٤١٣هـ-١٩٩٢م) ، **روح الحضارة الإسلامية** ، ط ٢ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي .

٢٠- ابن كثير ، إسماعيل ، عمر- (د . ت) ، **تفسير القرآن العظيم** ، تحقيق : عبد العزيز غنيم وآخرون ، القاهرة : دار الشعب .

٢١- ابن ماجة القزويني ، محمد ، يزيد ß (د . ت) ، **سنن ابن ماجة** ، تحقيق : محمود فؤاد عبد الباقي ، بيروت : المكتبة العلمية .

٢٢- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري ß (د . ت) ، **لسان العرب** ، بيروت : دار صادر .

٢٣- الباني ، عبد الرحمن ß (١٤٠٣هـ ß ١٩٨٣م) ، **مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام** ، ط ٢ ، بلد النشر : (بدون) ، المكتب الإسلامي .

٢٤- البخاري الجعفي ، محمد ، اسماعيلß (١٤٠٧هـß ١٩٨٧م) ، **صحيح البخاري** ، ط ٣ ، باعتناء الدكتور مصطفى ديب البغا ، المدينة المنورة : مكتبة دار التراث ، دمشق و بيروت : دار ابن كثير واليمامة .

٢٥- البدر ، حمود ، عبد العزيزß (١٤١٢هـß ١٩٩٢م) ، **الإعلام التربوي في دول الخليج العربي** ، بحث مقدم إلى اجتماع مسؤولي الإعلام التربوي في دول الخليج العربية والمنعقد في قطرß الدوحة في الفترة من ١٩-٢٠/٥/١٤١٢هـ الموافق ٢٥-٢٦/١٢/١٩٩١م ، الرياض : مكتب التربية العربي لدول الخليج .

٢٦- بدري ، مالك – (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، **التفكر من المشاهدة إلى الشهود دراسة نفسية إسلامية** ، ط ٤ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلاميß سلسلة أبحاث علمية (٣) (إسلامية علم النفس) .

٢٧- بدري ، مالك – (١٤١٦هـ – ١٩٩٥م) ، **علم النفس الحديث من منظور إسلامي** ، بحث مقدم إلى المؤتمر العالمي الرابع للفكر الإسلامي تحت عنوان « المنهجية الإسلامية والعلوم السلوكية والتربوية » والمنعقد في السودان في الفترة من ١٥-٢٠ جمادي الأولى ١٤٠٧هـ الموافق ١٥-٢٠ يناير ١٩٨٧م ، ط ٢ ،

الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ص ص ١١٠١-١١٥٢ .

٢٨- البستاني، المعلم بطرس - (١٩٨٣م)، **محيط المحيط** ، بيروتß لبنان : مكتبة لبنان .

٢٩- بدوي ، أحمد ، زكي – (١٩٨٠م) ، **معجم مصطلحات التربية والتعليم** ، القاهرة : دار الفكر العربي .

٣٠- برغوث ، عبد العزيز – (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، **التغيير الحضاري المعاصر ومشكلة المنهج نحو حركية حضارية** ، بحث مقدم إلى ندوة «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر» المنعقدة في الكويت في الفترة من ١٢-١٦/شعبان/١٤١٥هـ الموافق ٢٤-٢٨/يناير/١٩٩٤م ، ط ١ ، الكويت : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ص ص ٦٥-١٠٠ .

٣١- بكار ، عبد الكريم – (١٤١٣هـ – ١٩٩٢م) ، ﴿ **ولن تجد لسنة الله تحويلا!** ﴾ ، **مجلة البيان** ، بريطانيا : المنتدى الإسلامي ، العدد ٥٦ ، ص ص ٨-١٤ .

٣٢- بوزبر ، أحمد – (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، **أين الفكر الإسلامي من مناهج وآليات التغيير المعاصرة** ، بحث مقدم إلى ندوة «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر» المنعقدة في الكويت في الفترة من ١٢-١٦/شعبان/١٤١٥هـ

الموافق ٢٤-٢٨/يناير/١٩٩٤م، ط ١، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص ص ١٣٧-١٥٧ .

٣٣- البوطي، محمد سعيد، رمضان – (١٣٩٧هـ)، **كبرى اليقينيات الكونية وجود الخالق ووظيفة المخلوق**، ط ٥، سورياß دمشق: دار الفكر .

٣٤- البوطي، محمد سعيد، رمضانß (١٤٠٢هـ- ١٩٨٢م)، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، ط ١، سورياß دمشق: دار الفكر .

٣٥- الترمذي، محمد، عيسى، سورةß (١٤٠٨هـß ١٩٨٧م)، **الجامع الصحيح - وهو سنن الترمذي -**، ط ١، بتحقيق وشرح أحمد محمد شاكر، بيروت: دار الكتب العلمية .

٣٦- الجابري، بشير، شكيب – (١٤١٤هـ-١٩٩٤م)، **القيادة والتغيير وبحوث قيادية أخرى**، ط ١، جدة: دار حافظ للنشر والتوزيع .

٣٧- جاكسون، جون وزميليه – (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م)، **نظرية التنظيم منظور كلي للإدارة**، ترجمة: خالد حسن زروق، المملكة العربية السعودية: معهد الإدارة العامة

.

٣٨- جمعة ، علي - (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) ، **فلسفة مناهج التغيير** ، بحث مقدم إلى ندوة « مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر » المنعقدة في الكويت في الفترة من ١٢-١٦/شعبان/١٤١٥هـ الموافق ٢٤-٢٨/يناير/١٩٩٤م ، ط ١ ، الكويت : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ص ص ١٠١-١١٣ .

٣٩- جمعة ، علي وآخرون - (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) ، **بناء المفاهيم دراسة معرفية ونماذج تطبيقية** ، ط ١ ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٤٠- جودة ، حسن وزملاؤه - (د . ت) ، **المؤامرة على التعليم والمعلم** ، مصر - المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية (٣) .

٤١- جوهري ، محمد ، ربيع - (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ، **أخلاقنا** ، ط ١ ، بيانات النشر (بدون) .

٤٢- حسنة ، عمر ، عبيد - (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) ، **مراجعات في الفكر والدعوة والحركة** ، ط ٢ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٤٣- حسنة ، عمر ، عبيد - (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ، **مناهج التغيير ووسائله في ضوء الكتاب والسنة** ، بحث مقدم إلى ندوة «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي

المعاصر» المنعقدة في الكويت في الفترة من ١٢-١٦/شعبان/١٤١٥هـ الموافق ٢٤-٢٨/يناير/١٩٩٤م ، ط ١ ، الكويت : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ص ص ٣١٧-٣٥٤ .

٤٤- الحميد ، حسن ، صالح - (١٤١٤هـ-١٩٩٣م) ، **سنن الله في الأمم من خلال آيات القرآن - دراسة موضوعية -** ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية أصول الدين ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قدمت لقسم القرآن وعلومه .

٤٥- خضر ، عبد العليم ، عبد الرحمن - (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ، **المسلمون وكتابة التاريخ دراسة في التأصيل الإسلامي لعلم التاريخ** ، ط ٢ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٤٦- الخطيب ، علم الدين ، عبد الرحمن - (١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م) ، **الأهداف التربوية تصنيفها وتحديدها السلوكي** ، ط ١ ، الكويت : مكتبة الفلاح .

٤٧- خليل ، عماد الدين - (١٤١٦هـ- ١٩٩٥م) ، **رؤية إسلامية في قضايا معاصرة** ، ط ١ ، قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، كتاب الأمة (٤٥) .

٤٨- الخنساء ، عادل - (أ - ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م) ، المسلمون وعلوم المستقبل ، الكويت : مجلة المجتمع ، العدد ١٢٦٨ ، ص ٤٥ .

٤٩- الخنساء ، عادل – (ب – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م) ، **علم المستقبل . . ماذا يعني ؟** ، الكويت : مجلة المجتمع ، العدد ١٢٧١ ، ص ٤٦-٤٧ .

٥٠- خياط ، محمد جميل ، علي – (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م) ، **النظرية التربوية في الإسلام دراسة تحليلية** ، ط ١ ، بيانات النشر : (بدون) .

٥١- الدجاني ، أحمد ، صدقي – (١٤١٥هـ – ١٩٩٥م) ، **أفكار في التغيير** ، بحث مقدم إلى ندوة « مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر » المنعقدة في الكويت في الفترة من ١٢-١٦/شعبان/١٤١٥هـ الموافق ٢٤-٢٨/يناير/١٩٩٤م ، ط ١ ، الكويت : وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، ص ص ١٧-٣٢ .

٥٢- دراز ، محمد ، عبد الله – (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ، **دستور الأخلاق في الإسلام – دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن** – ، تعريب وتحقيق وتعليق : عبد الصبور شاهين ، ط ٤ ، الكويت : دار البحوث العلمية بالاشتراك مع بيروت : مؤسسة الرسالة .

٥٣- الرازي ، محمد ، عمر – (١٤٠١هـ – ١٩٨١م) ، **التفسير الكبير ومفاتيح الغيب** ، ط ١ ، بيروت : دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع .

٥٤- رضا ، محمد ، رشيد – (د . ت) ، **تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار** ، ط ٢، بيروت : دار المعرفة .

٥٥- روبن ، برنت – (١٤١٢هـ – ١٩٩١م) ، **الاتصال والسلوك الإنساني** ، ترجمة : نخبة من أعضاء قسم الوسائل وتكنولوجيا التعليم بكلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض ، المملكة العربية السعودية : معهد الإدارة العامة .

٥٦- الزاوي، الطاهر أحمد ß (١٩٨٠م)، **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة** ، ط ٣ ، طرابلس-ليبيا : الدار العربية للكتاب .

٥٧- الزحيلي ، محمد – (د . ت) ، **مرجع العلوم الإسلامية (تعريفها – تاريخها – أئمتها – علمائها – مصادرها – كتبها)** ، بلد النشر (بدون) : دار المعرفة .

٥٨- الزركلي، خير الدين ß (١٩٨٤م) ، **الأعلام** ، ط ٦ ، بيروت : دار العلم للملايين .

٥٩- الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود ، عمر – (١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م) ، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل** ، الطبعة الأخيرة ! ، مصر : شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

٦٠- الزنيدي ، عبد الرحمن ، زيد – (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) ، **مصادر المعرفة في الفكر الديني والفلسفي دراسة نقدية في ضوء الإسلام** ، ط ١ ، الرياض : مكتبة المؤيد ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٦١- الزنيدي ، عبد الرحمن ، زيد – (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م) ، **السلفية وقضايا العصر** ، ط ١ ، الرياض: مركز الدراسات والإعلام بدار اشبيليا .

٦٢- زيدان ، عبد الكريم – (١٤١٣هـ-١٩٩٣م) ، **السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية** ، ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

٦٣- زينب عطية محمد – (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ، **أصول العلوم الإنسانية من القرآن الكريم –** كشاف موضوعي – الجزء الأول : السنن الإلهية في الآفاق والأنفس والأمم ، ط ١ ، مصر ß المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع .

٦٤- سراج الدين ، عبد الله – (١٤١١هـ – ١٩٩١م) ، **هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان** ، ط ١ ، حلب : مكتبة دار الفلاح .

٦٥- سرور ، رفاعي – (١٤١٢هـ – ١٩٩٢م) ، **قدر الدعوة – تحديد منهج الدعوة بتصور** القدر والأسباب والسنن الثابتة وأحاديث آخر الزمان وعلامات الساعة ، القاهرة : مكتبة الحرمين للعلوم النافعة .

٦٦- سفر ، محمود ، محمد – (١٤٠٩هـ) ، دراسة في البناء الحضاري – **محنة المسلم مع حضارة عصره** – ، ط ١ ، قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، كتاب الأمة (٢١) .

٦٧- السلمي، محمد، صامل، العلياني – (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م)، **منهج كتابة التاريخ الإسلامي**، ط١، الرياض: دار طيبة.

٦٨- سيد، فتح الباب، عبد الحليم (١٤١٢هـ-١٩٩١م)، **الغايات والأهداف التربوية في القرآن والسنة**، بحث مقدم إلى المؤتمر التربوي الذي عقد في عمان – الأردن في الفترة ٢-٥ محرم ١٤١١هـ الموافق ٢٤-٢٧ تموز (يوليو) ١٩٩٠م، بعنوان «نحو بناء نظرية تربوية إسلامية معاصرة»، وطبعت أبحاثه في مجلدين بعنوان «بحوث المؤتمر التربوي» بتحرير د. فتحي حسن ملكاوي، عمان: الشركة الجديدة للطباعة والنشر.

٦٩- السيوطي، جلال الدين، عبد الرحمنß (د. ت)، **تنوير الحوالك شرح موطأ مالك**، بيروت: دار الندوة الجديدة.

٧٠- شحاته، عبد المنعم – (١٤١٧هـ – ١٩٩٧م)، **خلافات المسلمين – رؤية نفسية –**، الكويت: مجلة المسلم المعاصر، العدد ٨٣، ص ص ١١٥-١٣١.

٧١- شرف الدين، عبد التواب – (١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م)، **الموسوعة العربية في الوثائق والمكتبات**، ط١، قطر – الدوحة: دار الثقافة.

٧٢- الشريف، عبد السلام، نصر الله – (١٤١٥هـ-١٩٩٤م)، **سنة الله في عقاب الأمم في القرآن الكريم**، ط١، الرياض: دار المعراج الدولية للنشر.

٧٣- شهوان ، راشد ، سعيد ، يوسف – (١٤١١هـ – ١٩٩٠م) ، **السنن الربانية في التصور الإسلامي** ، الرياض : جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، كلية الشريعة ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قدمت لقسم الثقافة الإسلامية .

٧٤- صافي ، لؤي - (١٩٩٥م) ، **نحو منهجية أصولية للدراسات الإنسانية** ، **مجلة التأصيل**، السودان – الخرطوم : وزارة التعليم العالي – إدارة تأصيل المعرفة ، العدد ٢ ، ص ص ٢٣–٤١ .

٧٥- الطبري ، محمد ، جرير – (١٣٨٨هـ –١٩٦٨م) ، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن** ، ط ١ ، مصر : مكتبة مصطفى البابي الحلبي .

٧٦- الطريقي، عبدالله، إبراهيم، علي –(١٤١٥هـ)، الثقافة والعالم الآخر الأصول والضوابط دراسة تأصيلية، ط١، المملكة العربية السعودية–الرياض:دار الوطن.

٧٧- طه ، الزبير ، بشير – (١٩٩٥م) ، علم النفس الإسلامي : **معقول . . أم غير معقول ؟** ، **مجلة التأصيل** ، السودان – الخرطوم : وزارة التعليم العالي – إدارة تأصيل المعرفة ، العدد ٢ ، ص ص ٦٥–٧٧ .

٧٨- العالم ، يوسف ، حامد – (١٤١٥هـ – ١٩٩٤م) ، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية** ، ط ٢ ، الرياض : الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٧٩- عباس ، محمد ، يوسف – (١٤٠٧هـ – ١٩٨٧م) ، **مفتاح كنوز في ظلال القرآن** ، ط ١ ، السعودية – الرياض : دار طيبة .

٨٠- عبد الحميد ، محسن – (١٤٠٤هـ) ، **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري** ، ط ١ ، قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، كتاب الأمة (٦) .

٨١- عبد الحميد ، محسن – (١٤١٦هـ -١٩٩٦م) ، **تجديد الفكر الإسلامي** ، ط ١ ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٨٢- عبد الدائم ، عبد الله – (١٩٨٠م) ، **التخطيط التربوي** ، ط٤ ، بيروت : دار العلم للملايين .

٨٣- عبد الله ، عبد الرحمن ، صالح – (١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م) ، **خصائص الأهداف التربوية في الإسلام** ، مكة المكرمة : جامعة أم القرى – مجلة كلية التربية ، العدد ٥ ، ص ص ٣٧-٥٦ .

٨٤- عبد الهادي ، جمال وزملاؤه – (د . ت) ، **دعوة لإنقاذ التعليم نماذج من الغزو الفكري في مجال التعليم** ، مصر – المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، سلسلة الغزو الفكري في المناهج الدراسية (١٥) .

٨٥- عرجون ، محمد الصادق – (١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م) ، **سنن الله في المجتمع** ، ط ٣ ، السعودية – جدة : الدار السعودية للنشر والتوزيع .

٨٦- عطية ، محمد ، عطية وزملاؤه (١٩٩١م) ، **مفاهيم أساسية في التربية الإسلامية والاجتماعيات** ، ط ١ ، الأردنß عمان : دار الفكر للنشر والتوزيع .

٨٧- العظيم ابادي ، محمد شمس الحقß (١٣٨٩هـß ١٩٦٩م) ، **عون المعبود شرح سنن أبي داوود** ، ط ٢ ، المدينة المنورة : المكتبة السلفية لصاحبها محمد عبد المحسن .

٨٨- عفيفي ، محمود ، سراج الدين – (١٤١٢هـ – ١٩٩١م) ، **آيات التوحيد – قوانين الله وليست قوانين الطبيعة –** ، ط ٣ ، القاهرة : دار الفكر العربي .

٨٩- عفيفي ، محمد ، عبد الله – (١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) ، **النظرية الخلقية عند ابن تيمية** ، ط ١ ، الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية .

٩٠- العلاونة ، أحمدß (١٤١٨هـß ١٩٩٨م) ، **ذيل الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ، ط ١ ، جدة : دار المنارة للنشر والتوزيع .

٩١- العلواني، طه، جابر – (أ – ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، ابن تيمية وإسلامية المعرفة، ط٢، الرياض: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، أمريكا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٩٢- العلواني، طه، جابر – (ب – ١٩٩٥م)، إسلامية المعرفة بين الأمس واليوم، مجلة التأصيل، السودان – الخرطوم: وزارة التعليم العالي – إدارة تأصيل المعرفة، العدد ٢، ص ص ٦-٢٢.

٩٣- العلواني، طه، جابر – (ج- ١٤١٥هـ-١٩٩٥م)، آفاق التغيير ومنطلقاته.. الأزمة الفكرية ومناهج التغيير في الواقع العربي، ط١، بحث مقدم إلى ندوة «مناهج التغيير في الفكر الإسلامي المعاصر» المنعقدة في الكويت في الفترة من ١٢-١٦/شعبان/١٤١٥هـ الموافق ٢٤-٢٨/يناير/١٩٩٤م، ط١، الكويت: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ص ص ٣٣-٦٣.

٩٤- عمارة، محمد – (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م)، الغزو الفكري وهم أم حقيقة؟، ط١، القاهرة: دار الشروق.

٩٥- عمارة، محمد – (١٤١٩هـ-١٩٩٨م)، السجل الأسود لحملة نابليون، الكويت: مجلة المجتمع، العدد ١٢٩٧، السنة ٢٩، ص ص ٢٠-٢٨.

٩٦- الغزالي، محمد - (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ، **كيف نتعامل مع القرآن ؟** ، مدارسة أجراها : عمر عبيد حسنة ، ط ٢ ، مصر - المنصورة : دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٩٧- الفارسي ، علي ، بلبان - (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان** ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

٩٨- فرحان ، إسحاق وآخرون - (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ، **نحو صياغة إسلامية لمناهج التربية** ، ط ٢ ، الأردن! - عمان : جمعية الدراسات والبحوث الإسلامية ، سلسلة الدراسات والبحوث الإسلامية (التربية ١) .

٩٩- الفيروز آبادي ، مجد الدين محمد ، يعقوب - (١٤٠٧هـ-١٩٨٧م) ، **القاموس المحيط** ، ط ٢ ، تحقيق : مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

١٠٠- القرضاوي ، يوسف - (١٤٠٥هـ-١٩٨٥م) ، **الخصائص العامة للإسلام** ، ط ٣ ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

١٠١- القرضاوي ، يوسف - (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) ، **أين الخلل ؟** ، ط ١ ، القاهرة : دار الصحوة للنشر .

١٠٢- القرضاوي ، يوسف – (١٤١١هـ-١٩٩١م) ، أولويات الحركة الإسلامية في المرحلة القادمة ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة وهبة .

١٠٣- القرضاوي ، يوسف – (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) ، المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير ، ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

١٠٤- القرضاوي ، يوسف – (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ، في فقه الأولويات دراسة جديدة في ضوء القرآن والسنة ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة وهبة .

١٠٥- القرضاوي ، يوسف – (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ، مدخل لمعرفة الإسلام – مقوماته . . خصائصه . . أهدافه . . مصادره – ، ط ١ ، القاهرة : مكتبة وهبة .

١٠٦- قطب ، سيد – (١٣٩٨هـ-١٩٧٨م) ، في ظلال القرآن ، ط ٧ ، بيروت : دار الشروق .

١٠٧- قطب ، محمد – (١٤٠٠هـ-١٩٨٠م) ، دراسات في النفس الإنسانية ، ط ٤ ، بيروت : دار الشروق .

١٠٨- قطب ، محمد – (١٤٠٣هـ-١٩٨٣م) ، منهج التربية الإسلامية ، ط ٧ ، بيروت : دار الشروق .

١٠٩- قطب ، محمد - (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) ، **حول التفسير الإسلامي للتاريخ** ، ط ١ ، جدة : المجموعة الإعلامية .

١١٠- قطب ، محمد – (١٤١١هـ-١٩٩١م) ، **رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر** ، ط ١ ، الرياض : دار الوطن للنشر .

١١١- قطب ، محمد – (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ، **ركائز الإيمان** ، ط ١ ، الرياض : مركز الدراسات والإعلام – دار إشبيليا .

١١٢- الكردي ، راجح ، عبد الحميد – (١٤١٢هـ-١٩٩٢م) ، **نظرية المعرفة بين القرآن والفلسفة** ، ط ١ ، الرياض : مكتبة المؤيد ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١١٣- كنعان ، أحمد ، محمد – (١٤١١هـ) ، **أزمتنا الحضارية في ضوء سنة الله في الخلق** ، ط ١ ، قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، كتاب الأمة (٢٦) .

١١٤- الكيلاني ، ماجد ، عرسان – (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ، **مناهج التربية الإسلامية والمربون العاملون فيها** ، ط ١ ، بيروت : عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع .

١١٥- الكيلاني ، ماجد ، عرسان – (١٤١٧هـ-١٩٩٧م) ، **أهداف التربية الإسلامية في تربية الفرد وإخراج الأمة وتنمية الأخوة الإنسانية** ، ط ٢ ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، سلسلة إسلامية المعرفة (٢٠) .

١١٦- مالك بن أنسß (١٤٠٦هـ-١٩٨٥م) ، **الموطأ** ، باعتناء : محمد فؤاد عبد الباقي ، لبنان – بيروت : دار إحياء التراث العربي .

١١٧- المباركفوري ، محمد عبد الرحمن ، عبد الرحيمß (د . ت) ، **تحفة الأحوذي شرح جامع الترمذي** ، بيروت : دار الكتب العلمية .

١١٨- متولي ، مصطفى ، محمد وآخرون – (١٤١٥هـ-١٩٩٥م) ، **أصول التربية الإسلامية**، ط ١ ، الرياض : دار الخريجي للنشر والتوزيع .

١١٩- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوريß (١٩٧٢م) ، **صحيح مسلم** ، ط ٢ ، بتحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، بيروت : دار إحياء التراث العربي .

١٢٠- مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوريß (١٤٠٤هـß ١٩٨٤م) ، **صحيح مسلم بشرح النووي** ، شرحه : أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ، ط ٣ ، لبنانß بيروت : دار إحياء التراث العربي .

١٢١- المصري ، محمود ، زايد – (١٤١٧هـ-١٩٩٦م) ، **تأملات في السنن الكونية التي تحكم قيام الحضارات وتراجعها في ضوء القرآن الكريم** ، بحث مقدم إلى «ندوة الفكر الإسلامي» الثانية والتي نظمها المعهد العالمي للفكر الإسلامي بمقره بأمريكا في الفترة من ٨-١١/محرم/ ١٤١٢هـ الموافق ١٩-٢١/٧/١٩٩١م ، ونشر في الكويت : مجلة المسلم المعاصر ، العدد ٨٠ ، السنة ٢٠ ، ص ص ٦٧-٩٧ .

١٢٢- **معجم ألفاظ القرآن الكريم** – (١٣٩٠هـ- ١٩٧٠م) ، ط ٢ ، القاهرة : مجمع اللغة العربية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

١٢٣- **المعجم الوجيز** – (١٤١٦هـ-١٩٩٥م) ، القاهرة : مجمع اللغة العربية : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر .

١٢٤- المودودي ، أبو الأعلى – (١٣٩٠هـ-١٩٧٠م) ، **الحضارة الإسلامية اسسها ومبادؤها** ، ط ٢ ، بيروت : دار العربية للطباعة والنشر والتوزيع .

١٢٥- المودودي ، أبو الأعلى – (١٤٠٢هـ-١٩٨٢م) ، **المنهج الإسلامي الجديد للتربية والتعليم** ، ط ٢ ، بيروت : المكتب الإسلامي .

١٢٦- **الموسوعة العربية العالمية** – (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ، ط ١ ، الرياض : مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع .

١٢٧- الميداني ، عبد الرحمن ، حسن ، حبنكة - (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ، **لا يصح أن يقال الإنسان خليفة عن الله في أرضه فهي مقولة باطلة** ، ط ١ ، بيروت : مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع .

١٢٨- النجار ، عبد المجيد ، عمر - (١٩٩٢م) ، **مباحث في منهجية الفكر الإسلامي** ، ط! ١ ، لبنان - بيروت : دار الغرب الإسلامي .

١٢٩- النحلاوي ، عبد الرحمن - (١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) ، **التربية بالآيات** ، ط ١ ، دمشق - سورية : دار الفكر ، وبيروت - لبنان : دار الفكر المعاصر .

١٣٠- نشوان ، يعقوب - (١٤٠٦هـ-١٩٨٦م) ، **الإدارة والإشراف التربوي بين النظرية والتطبيق** ، ط ٢ ، الأردن - عمان : دار الفرقان للنشر والتوزيع .

١٣١- النقيب ، عبد الرحمن ، عبد الرحمن - (١٩٩٦م) ، **مشروع منهجية البحث في التربية الإسلامية رؤية مغايرة** ، مصر : جامعة المنصورة ، إدارة البحوث .

١٣٢- نور ، زهير ، عثمان ، علي - (١٩٩٥م) ، **مقاييس التدين في مجتمع المسلمين** ، مجلة التأصيل ، السودان - الخرطوم : وزارة التعليم العالي - إدارة تأصيل المعرفة ، العدد ٢ ، ص ص ٧٨-٨٩ .

١٣٣- الهاشمي ، عبد الحميد ، محمد – (١٤٠٢هـ) ، **لمحات نفسية في القرآن الكريم** ، مكة المكرمة : رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، العدد (١١) .

١٣٤- الهراس ، عبد السلام – (١٤١٨هـ–١٩٩٧م) ، **اللغة العربية . . أعظم لغة في العالم** ، الكويت : مجلة المجتمع ، العدد ١٢٧٤ ، ص ٥٣ .

١٣٥- هيشور ، محمد – (١٤١٧هـ–١٩٩٦م) ، **سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها** ، ط ١ ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

١٣٦- وافي ، علي ، عبد الواحد ß (١٤٠٤هـ–١٩٨٤م) ، **عبقريات ابن خلدون** ، ط ٢ ، جدة : مكتبات عكاظ .

١٣٧- وهبة ، مجدي و المهندس، كامل ß (١٩٨٤م) ، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ، ط ٢ ، بيروت–لبنان: مكتبة لبنان .

١٣٨- يالجن ، مقداد ß (١٤٠٩هـ–١٩٨٩م) ، **أهداف التربية الإسلامية وغاياتها** ، ط ٢ ، الرياض : دار الهدى للنشر والتوزيع .

١٣٩- يالجن ، مقداد – (١٤١٣هـ–١٩٩٢م) ، **علم الأخلاق الإسلامية** ، ط ١ ، الرياض : دار عالم الكتب .

١٤٠- يالجن ، مقدادß (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) ، **أساسيات التأصيل والتوجيه الإسلامي للعلوم والمعارف والفنون** ، ط ١ ، الرياض : دار عالم الكتب .

١٤١- يوسف ، محمد خير ، رمضانß (١٤١٨هـß ١٩٩٨م) ، **تتمة الأعلام للزركلي** ، ط ١ ، لبنانß بيروت : دار ابن حزم .

تنويه

يرى سعادة المناقش الخارجي الدكتور سليمان صادق البيرة عدم صحة استخدام مصطلح "المذهبية الإسلامية" للأسباب التالية:

١. أن المذهب بمعنى (الرأي) والإسلام ليس برأي بل هو حكم وقضاء رباني .

٢. أن مستخدمي كلمة (المذهبية) إنما قاموا بمحاكاة رجال الفكر الغربي حيث شاع استخدامهم له بإطلاقه على المدارس والآراء الوضعية البشرية وبالتالي لا يصح وصف كليات الإسلام (بالمذهبية الإسلامية) محاكاة لهم؛ مما يوهم أن الإسلام (رأي) وهذا قد يؤدي إلى تجرؤ أعدائه عليه بالتعديل والنقد والتجريح كأنه رأي وضعي .

ومع أن كل من سعادة الأستاذ الدكتور محمد جميل بن علي خياط المشرف على الرسالة وكذلك الباحث لا يوافقان سعادته على ذلك لأنه لا مشاحة في الاصطلاح ؛ ولهما في ذلك حجتهما العلمية، لذا فإنهما أمام إصراره على محو مصطلح (المذهبية الإسلامية) حيثما وجد في الرسالة كشرط لاعتماد الرسالة في صيغتها النهائية بتوقيعه على نموذج رقم (٨) المتقدم؛ والذي تم اعتماده بالتوقيع من سعادة المشرف وسعادة المناقش الداخلي الدكتور محمود عطا محمد علي .

وإزاء هذا الموقف ! ! !، وحفظا على مصلحة الباحث؛ فقد قام الباحث –بعد موافقة مشرفه– على محو مصطلح (المذهبية الإسلامية) حيثما ورد في كتابته ووضع بدلا عنه مصطلحا آخر وهو مصطلح (الثقافة الإسلامية) ، علما أن هذا الإجراء غير مقبول علميا ولا منهجيا في نظرهما . وللأمانة العلمية جرى التنويه على ذلك .

حول مصطلح (المذهبية الإسلامية)

يخبر عبد الحميد(١٤١٦هـ-١٩٩٦م) أنه تبنى مصطلح « المذهبية الإسلامية »بعدما سمعه من د . محمود أبو السعود — ت ١٤١٣هـ-١٩٩٣م رحمه الله تعالى— في محاضرة ألقاها في مؤتمر الفقه الإسلامي الذي عقد بالرياض عام ١٣٩٦هـ-١٩٧٧م بعنوان « المذهبية الاقتصادية الإسلامية » ، فأخذ في استعماله والدعوة إليه في مؤلفاته (ص ٣٨) . وقد تلقته ثلة من العلماء والمفكرين بالقبول وانتشر في أدبياتهم .

ولقد بين عبدالحميد (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) مراده من مصطلح « المذهبية الإسلامية »بقوله : ~ الإسلام هو دين الله الخالد الثابت وحيا في القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة والبرهان العقلي المؤيد لهما . والمذهبية الإسلامية هي كليات الإسلام التي ثبتت بالوحي الإلهي القاطع في شؤون الكون وخالقه والنبوات والقدر واليوم الآخر والمجتمع والإنسان[1] { (ص ٤٠) .

ولما كان مفهوم الفكر الإسلامي أو التصور الإسلامي لدى عبدالحميد (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) هو ~ ما أفرزه فكر المسلمين في ظل الإسلام من أفكار اجتهادية بشرية من الفلسفة والكلام والفقه وأصوله والتصوف والعلوم الإنسانية الأخرى منذ عصر الصحابة إلى اليوم في إطار ضوابط الفهم الإسلامي ، وأما التصور فهو أيضا إفراز الفكر الإنساني في ضوء ضوابط الفهم الإسلامي ، ويمكن أن يستعمل بدل الفكر الإسلامي { (ص ٤٠) قامت في نفسه — أي عبدالحميد (١٤٠٤هـ)- القناعة بأنه : ~ [يجب أن يوضع] خطٌ فاصلٌ واضحٌ بين ما هو وحي إلهي وبين ما هو جهد بشري ، أو فكر بشري أو تصور بشري لمسائل حول الوحي الإلهي وتفسيره وشرحه في إطار قواعده وأصوله وفي ضوء المراحل التاريخية المتتابعة { (ص ٢٣) .

[1] أنظر عبدالحميد (١٤١٦هـ-١٩٩٦م) للوقوف على الخطوط الرئيسة للمذهبية الإسلامية في شرح شديد الإيجاز (ص ص ١٤٦- ١٥٢) .

ويؤكد هذا المعنى القرضاوي (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) بقوله : ~ فالقرآن والسنة هما المصدران الوحيدان لتعرف أحكام الإسلام وتعاليمه : في العقائد والتصورات والعبادات والتشريعات ، والأخلاق والآداب ، وشتى مجالات الحياة ، على أن نفهم القرآن والسنة فهما صحيحا { (ص ١٦) .

وللوصول إلى هذا الفهم الصحيح لكليات الإسلام في الوجود وبيان مذهبه فيها قال عبدالحميد (١٤١٦هـ–١٩٩٦م) :

~ إن المذهبية الإسلامية التي تعني كليات الإسلام في الخلق والكون والعالم والإنسان واليوم الآخر ، ثابتة قطعا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم قد ضبطت أصول تفسيره ضبطا محكما من خلال أربع حلقات أساس كل حلقة تحيط بالحلقة الأخرى في ترابط موضوعي دقيق [وهذه الحلقات هي :–

١– الحلقة اللغوية .

٢– كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ .

٣– إجماع الأمة .

٤– دليل العقل .] { (ص ١٥٦–١٥٩)

وتعود أهمية استخدام مصطلح "المذهبية الإسلامية" في الدراسات التربوية والنفسية في نظري إلى عدة أسباب هي:

١–أن لعلم التربية بعد نظري وآخر تطبيقي ؛ أما النظري فيتمثل في فلسفته الخاصة نحو القضايا الثلاث الرئيسة في الفلسفة وهي: الوجود ، والمعرفة ، والقيم . وعلم التربية الإسلامية يستند في بناء فلسفته على مرجعية خاصة يستحيل تجاوزها وهي "المذهبية الإسلامية" . وهي التي أرادت التأكيد عليها والالتزام بها ومراعاتها خصوصا في مباحث فلسفة التربية الإسلامية والتي هي نتاج فكري بشري اجتهادي ، لاسيما وقد كثر التأليف في موضوعها مؤخرا ؛ رغبة مني في حماية الاجتهاد الفكري في فلسفة التربية الإسلامية من الزلل وإلزامه بلزوم القضايا

الكلية الأصولية التي قررها الإسلام وعدم التعدي عليها بحجة إعمال العقل لأن النص القطعي مقيد للعقل ومقدم عليه ولا يسعه إلا الامتثال له والتحاكم إليه .

٢-أن مصطلح "المذهبية الإسلامية" تلقته ثلة من العلماء الشرعيين والمفكرين المسلمين بالقبول وشاع في كثير من مؤلفاتهم وأدبياتهم حتى الأكاديمية منها ، ولم أقف على نقد نحوه -حسب إطلاعي المحدود- . ومع ذلك لا يخفى عليّ السَنة العلمية في بناء المصطلحات والمفاهيم حيث أنها لا تتبلور وتستقر إلا بعد زمن طويل من الحوار والتعديل والنقد لها . وكم أتمنى أن يبدي المعارضون لهذا المصطلح آراءهم فيه من خلال التأليف والنشر حتى تنال وجهات نظرهم حظها من التأمل والنقد العلمي كغيرهم ، وهذا مما يخدم مصطلحاتنا ومفاهيمنا المعاصرة ويثريها حضاريا ، ويمدها بالقوة في مراغمة المصطلحات والمفاهيم الوضعية المعاصرة ودفعها .

٣-أن الاشتقاق اللغوي لمصطلح "المذهبية الإسلامية" من مادة (مذهب) في لغتنا العربية ثري جدا وواسع الدلالة ولا يمنع من استخدامه ، ويثبت ذلك بالرجوع إلى معاجم اللغة العربية العديدة ؛ قال الزاوي (١٩٨٠م) ~ والمَذْهَب : المتوضأ ، والمعتقد الذي يذهب إليه ، والطريقة ، والأصل { (ج٢ ، ص ٢٧٠) . ومثله ابن منظور (د . ت ، ج١،ص٣٩٤) . وقال البستاني (١٩٨٠م):

> ~ المَذْهَب مصدر ميمي ، واسم لمكان والمتوضأ -مكان الوضوء- ،والمعتقد الذي يذهب إليه، ويبنون منه فعلا فيقولون: تمذهب بالمذهب أي اتبعه واتخذه مذهبا له ، وهو أكثر ما يستعمل في الأديان ، وقد يستعمل في غيرها من مطلق الآراء ، والمذهب أيضا الطريقة والأصل { (ص ٣١٢-٣١٣) .

أما المذهب في الاصطلاح فهو كما قال وهبة (١٩٨٤م) : ~ المَذْهَب **Doctrine**:مجموعة مبادئ وآراء متصلة ومنسقة لمفكر أو لمدرسة، ومنه المذاهب الفقهية والأدبية والعلمية والفلسفية { (ص ٣٤٦) .أما الزنيدي (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) فقد عرف المذهب في الاصطلاح بأنه: ~ منظومة من الحقائق المتماسكة والمتكاملة التي تفسر الوجود والكون والحياة والإنسان والعلاقات بينها { (ص ٨٦) . وبالتأمل في التعريفين نجد أن الأول استخدم المذهب بمعنى الرأي ، والثاني المذهب بمعنى الحقيقة ؛ والحقيقة لا تقوم إلا على أصل قطعي ثابت فكأنها والأصل سواء قال ابن منظور (د . ت) : ~ والحقيقة في اللغة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه { (ج ١٠، ص ٥٢) .

وبناء على ما تقدم نجد استخدام مصطلح (المذهبية) في الاصطلاح يحتمل معان عدة ودلالات واسعة لثراء معناه اللغوي ، ولا يؤثر شيوع استخدام كلمة (مذهب فلان) بمعنى (رأي فلان أو فكر فلان) فذلك وجه واحد في المعنى اللغوي، وإنما يمكن استخدامه بمعنى الطريقة والأصل ، فلغتنا العربية ثرية في اشتقاقاتها وما تبنيه عليها من دلالات حقيقية أو مجازية مما يؤهلها أن تكون لغة العلم في كل زمان لو وجدت لها أبناء بررة .

٤–أن مقتضيات العولمة أو الصراع المعاصر بين الحضارات في ميدان الخصوصيات الحضارية (الثقافة) يستلزم نتيجة الانفتاح والاتصال الحضاري مقابلة المذاهب الوضعية الإنسانية بالمذهبية الإسلامية ؛ لا باعتبارها ندا مقابلا لها وإنما بكونها قضايا كلية قاطعة جاء بها دين الله تعالى الإسلام الخالد في نصوص وحيه الموثوق به ويجب ديانة الخضوع والتسليم لها والتحاكم إليها ، فالمذاهب الوضعية الإنسانية في حيز الرأي والفكر والفرع الذي على غيره ينبني، وهي قابلة للنقد والطرح مادام أصلها وضعي بشري يجري عليها الخطأ حكما وعقلا . بينما المذهبية الإسلامية في حيز الطريقة والأصل الذي عليه غيره ينبني ولا يجري عليها الخطأ البتة لأنها قضاء رباني وحكم إلهي وبلاغ عن رسول معصوم ، وشتان بين الثرى والثريا .

وجدير بالذكر أن عبدالحميد (١٤١٦هـ–١٩٩٦م)–واضع المصطلح والداعي إلى استخدامه– قد أجاب على بعض النقد الموجهة للمصطلح وأكد على أن شيوع الاستخدام السليم له يبدد كثير من الأوهام الاحترازية التي يخشى منها حيث يقول:

> ~ وقد يُعترض على هذا المصطلح بأنه قد يلتبس بالمذهبية الفقهية الضيقة، فنقول لا يحدث هذا إن شاء الله تعالى ، لأن الإطلاق الإسلامي الموجود في (المذهبية الإسلامية) يبعد هذا الاحتمال تماما . فمفهوم المذهبية الفقهية واضح في أذهان علماء الإسلام ومثقفيه، والباحثين في الدراسات الإسلامية . فإذا عرفوا المقصود بالمذهبية، ميزوا بينهما بوضوح لا يؤدي إلى أي التباس . ثم إن المصطلح إذا عم وأخذ مكانه في الاستعمال، فحينئذ يتحدد معناه عند الجميع { (ص٣٩) .

وبناء على ما ذكر ففي نظري المتواضع أن من الأنسب عندئذ امتثال كل من المؤيدين والمعارضين للمصطلح للقاعدة المشهورة (لا مشاحة في الاصطلاح) لأن مصطلح "المذهبية الإسلامية" يندرج في القضايا الاجتهادية التي لا

تمس العقيدة الإسلامية ولا يؤدي إلى بدع مكفرة ولا يحط من شأن دين الله تعالى، وعلى كل من الفريقين أن يتعاذرا فيما افترقا عليه من اجتهاد سائغ وأن يتعاونا ويتحابا على ما اجتمعا عليه منه .

المراجع :

١- عبد الحميد ، محسن – (١٤١٦هـ–١٩٩٦م) ، **تجديد الفكر الإسلامي** ، ط ١ ، أمريكا : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

٢- عبد الحميد ، محسن – (١٤٠٤هـ) ، **المذهبية الإسلامية والتغيير الحضاري** ، ط ١ ، قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، كتاب الأمة (٦) .

٣- القرضاوي ، يوسف – (١٤١٤هـ – ١٩٩٣م) ، **المرجعية العليا في الإسلام للقرآن والسنة ضوابط ومحاذير في الفهم والتفسير** ، ط ١ ، بيروت : مؤسسة الرسالة .

٤- الزاوي، الطاهر أحمد – (١٩٨٠م)، **ترتيب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة** ، ط ٣ ، طرابلس–ليبيا : الدار العربية للكتاب .

٥- ابن منظور ، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري – (د . ت) ، **لسان العرب** ، بيروت : دار صادر .

٦- البستاني، المعلم بطرس – (١٩٨٣م)، **محيط المحيط** ، بيروت – لبنان : مكتبة لبنان .

٧- وهبة ، مجدي و المهندس، كامل – (١٩٨٤م) ، **معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب** ، ط ٢، بيروت– لبنان: مكتبة لبنان .

٨- الزنيدي ، عبد الرحمن ، زيد – (١٤١٨هـ – ١٩٩٨م)، **السلفية وقضايا العصر** ، ط ١، الرياض:مركز الدراسات والإعلام بدار اشبيليا .